

موسوعة الفقه الشافعي
المجلد السادس عشر
الكتاب الخامس والعشرون

تاريخ أئمة المالكية والفقهية

إعداد
الشيخ الدكتور
عبد العزيز بن محمد سهيل الخطيب
الحسني الشافعي الدمشقي



تاريخ أئمة
المذاهب الفقهية

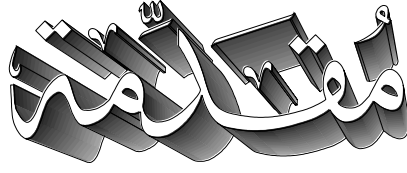
حقوق الطبع لكل مسلم

الطبعة العاشرة

١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م

تطلب النسخة من المؤلف

هـ ٠٩٣٣٤٨٤٩٥٦



قامت دعوى خطيرة في عصرنا هذا تدعو إلى بناء مذهب جديد سماه صاحبه باسم « فقه العافية » وادّعى صاحبه أن ما سبق من فقه المذاهب الإسلامية هو فقه المرض والجمود، وأن الواجب في عصرنا أن « ننتقي من الأنظمة والتشريعات ما يصلح لزماننا وبيئاتنا وأحوالنا في إطار النصوص العامة والمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية الرحبة » .

والحقيقة أن هذه البدعة مذمومة، ولا أدري بماذا يحق أن يلقب من عنده مثل هذه الهواجس والوساوس. أهو مجنون مكشوف الأمر، غَلَطَ من لم يقده إلى مستشفى المجاذيب أم مذبذب بين الفريقين يختلف أهل العقول في عده من عقلاء المجانين أو مجانين العقلاء !!؟.

وهم في حاجة شديدة إلى الكشف عن عقولهم قبل الالتفات إلى مزاعمهم تلك .

وقد بدأنا نسمع هذه النعمة منذ القرن الماضي، حيث دعا بعض من سموا أنفسهم بالمصلحين والمنورين إلى نبذ التمثذهب بالمذاهب الأربعة الإسلامية، التي قال عن أئمتها سيدنا رسول الله بأنهم من القرون الخيرة وهذه الخيرية شهادة أعظم من شهادة الدكتوراه التي يحملها هؤلاء المنورون - كما يدعون - لأن الذي قدمها لهم هو سيدنا رسول الله ﷺ .

وأئمة المذاهب الأربعة - ﷺ - لهم من الفضل العظيم على الفقه الإسلامي وعلى هذه الأمة الإسلامية ما يجعلنا ندعو لهم في كل صلاة، وكل إنسان يدعي بأنهم « فرقوا الدين وجعلوه شيعاً » فهذا على تقدير ثبوت أن عنده بعض عقل، لابد أن يكون من صنائع أعداء هذا الدين الحنيف وممن لهم غاية ملعونة ترمي إلى تشتيت اتجاه الأمة الإسلامية في شؤون دينهم ودنياهم تشتيتاً يؤدي بهم إلى التناحر والتناذب والتشاحن والتناذب يوماً بعد يوم بعد إحاء مديد استمر بينهم منذ بزغت شمس الإسلام إلى اليوم .

والمسلم الرزين لا ينخدع بمثل هذه الدعوى ، لأن اللامذهبية هي بالذات قنطرة اللادينية، وعلى الأمة اليوم أن تكون يقظة - أشد مما كانت من قبل - من الذين

يندسون بين المسلمين ليثيروا النعرات الطائفية وأسباب
الفرقة والخلاف بينهم، وأن المجتهدين في الإسلام إلى
اليوم كلهم على خطأ وأنه يستدرك عليهم في آخر الزمن
الصواب الذي خفي على الأمة منذ بزوغ شمس الإسلام
إلى اليوم، وهذا في الحقيقة من التهور والمجازفة
البالغين حد النهاية .

ونحن في كل يوم نسمع دعوى الاجتهاد من العلماء
المعاصرين، ونسمع من آخرين رفض حديث الآحاد
ونسمع رفض بعض مسائل الإجماع والقياس وكل هذا
يجري تحت بصر العالم الإسلامي وسمعه ورجاله
سكوت فإذا تم لهم ذلك فسوف نصحو يوماً ما وقد
وضع الدين مع الكتب يتبرك فيه كما يتبارك بالقرآن
اليوم في مجالس التعزية.

ولذلك رأيت أن أقوم بتذكير المسلمين بفضل كل واحد
من هؤلاء الأئمة الأعلام وأبين ببعض الإيجاز حياته العلمية
ومصادره الشرعية وفقهه الموافق للكتاب والسنة ومصادر
الشريعة الغراء لأردّ على هؤلاء المنافقين الذين يعبثون
ويفسدون ويهلكون أنفسهم بالخروج عن دائرة الإجماع في
وجوب تقليد المذاهب الأربعة الإسلامية.

ولن يستطيع هؤلاء أن ينفذوا ما يهدفون إليه لأن
حكامنا المخلصين لهم بالمرصاد وستبقى راية المذهبية
خفاقة عالية، بينما ستهوي اللامذهبية إلى حضيض
ودرك الهاوية مع أصحابها والداعين إليها إلى غير
رجعة، إن شاء الله تعالى.

خويدم العلم الشريف
عبد العزيز محمد سهيل الخطيب الحسني
الشافعي الدمشقي

فضل العلم والعلماء

- ١ -

الحمد لله الأكرم ، الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان مالم يعلم، سبحانه ألهم الألسن أن تفصح عما تكن الضمائر من الحِكم ، و نشكره أن لطف بنا وعمنا بمزيد النعم، فهو الإله المتفضل المنان الذي يغمر عباده - وإن عصوه - بالإحسان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، المبعوث رحمة للعالمين سيد الخطباء ، وأمير الفصحاء والبلغاء ، من أوتي جوامع الكلم، من أطاعه واقتدى به فقد نجا وسلم . وهو القائل : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » .

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم وأنعم وتفضل وتكرم على هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا وحبیبنا وقرّة أعیننا ونور قلوبنا سيدنا محمد سيد المرسلین ، وخاتم النبیین وإمام المتقین وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

أما بعد :

فقد قلت لكم قبل أن يدخل علينا شهر رمضان المبارك لهذا العام ١٤١٥ هـ و في آخر خطبة للخلفاء الراشدين وهو سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنني سوف أتكلم على هذا المنبر المقدس عن سيرة الفقهاء، والأئمة الأعلام الذين سادوا البرية في الفقه الإسلامي.

وقد رأيت قبل أن أفتح هذا الملف الفقهي ونحن على أبواب عيد المعلم أن أبين فضل هذه الطبقة المباركة، أعني طبقة العلماء و الفقهاء ،فيكون الحديث عن هذه الطبقة وعن فضلها مقدمة لسيرة الفقهاء ووفاءً ليوم المعلم الإسلامي .

أيها الإخوة الكرام :

خلق مولانا ﷺ الخلائق ورفع بعضهم فوق بعض درجات فكان خير الخلائق بعد نبينا ﷺ بقية الرسل من أولي العزم ثم بقية الرسل فالأنبياء ثم الملائكة ثم أولاد نبينا الأعظم ﷺ .

ثم يلي هؤلاء جميعاً في الفضل سيدنا أبو بكر صديق هذه الأمة، ثم يأتي بعده في الخيرية الخليفة العادل سيدنا عمر بن الخطاب ثم سيدنا عثمان ثم سيدنا علي فبقية العشرة المبشرين بالجنة ، فأهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم أهل الفتح ثم بقية الصحابة وخيرهم السابقون إلى الإسلام فالتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وإذا استعرضنا آيات مولانا ﷺ في كتابه ،وجدنا أن مولانا ﷺ قسّم الخلائق فوضع في المرتبة الأولى: الأنبياء ثم الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين يقول مولانا ﷺ: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين } .

أيها الإخوة الكرام:

ترون هذه الطبقات كلها، إنها عظيمة عند الله ﷻ ولكن الرسول الأعظم ﷺ رغم ذلك ذكر طبقة لها أجر عظيم ومكانة عند مولانا ﷻ، طبقة بيّنها في حديثه الشريف سيد الخلق وحبيب الحق فقال ﷺ: « العلماء ورثة الأنبياء » .

إن الصديقين لا يرثون النبوة، وإن الشهداء لا يرثون النبوة، وإن الصالحين لا يرثون النبوة، بل إن الذي يرثها فئة واحدة منهم هم: العلماء (المعلمون للناس دينهم)، المعلمون، تلك الطبقة التي تحترق لتتير الدرب للأجيال:

أرأيت أعظم أو أجلّ من الذي يبني وينشيء أنفساً وعقولا

فهو:

يبني الرجال وغيره يبني القرى شتان بين قرى وبين رجال

أيها الإخوة :

إن أعظم فخر للمعلمين في يوم عيدهم، وكل لحظة عيد لهم أن مولانا ﷻ بدأ الوحي الكريم بالقراءة والتعليم: { اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم } . وراحت الآيات تتابع تؤكد هذا المعنى الكريم وتوضحه فאלله يسأل

وهو العليم: { هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون } ويقول: { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات } بل وأمر مولانا نبيه الكريم أن يزداد علماً: { وقل رب زدني علماً }.

فيأَيُّها المعلمون والعلماء، يامعقل الأمل نقف لكم اليوم وكل يوم تحية إكبار وإجلال، كيف لا وقد أمرنا الحبيب الأعظم ﷺ بأن نكون طالبيين للعلم مدى حياتنا، وجعل طلب العلم الفقهي والشرعي فريضة على كل مسلم فقال ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال لنا إن علامة الخيرية عند الانسان أن يكون طالباً للفقهِ مدى الحياة فقال:

« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

أيها الإخوة الكرام :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى الحبيب الأعظم - ياسعد من صلى عليه - هاهو يتحدث إلى أصحابه الكرام حديثاً جامعاً عظيماً في ثواب طلب العلم يرويه لنا الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه قال: « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ».

ومن هنا نجد عظمة المعلم والعلماء ، لأن المعلم وهو على منبر العلم يمثل دين الله ، يمثل قال الله ، ويمثل قال رسول الله ، فإذا كان عالمًا يتكلم إلا باسم الله ، ولم يتكلم إلا بحديث رسول الله .

ومن هنا نعطيهِ قيمته ، ومن هنا نرفعه ونجلّه ونعده أسوة وقدوة ، ولهذا كان العلماء والمعلمون متبوعين ، لأن المعلم يأبى أن يكون تابعاً ، إن المعلمين قادة ، لأنهم يقتدون برسول الله ، ومن كان يقتدي برسول الله لا ينبغي أن يكون مقوداً ، إن المعلمين سادة فلا ينبغي أن يكونوا مسودين ، إن العلماء قمة لن يرقى عليها أحد إلا سيدنا رسول الله ﷺ لأنهم ورثته ، وقيمة الوارث بما يحمله من الإرث .

إن أهل الشام يعظمون علماءهم ومعلميهم حتى يعظمون من يتشبهون بالعلماء ، وإنك لتجد أن كثيرًا من طلاب العلم الصغار (أمثالي) يتقدم الرجل الذي بلغ السبعين فيقبل يد طالب العلم الصغير إكراماً للعلم وهكذا كان يفعل الصحابة وإليكم الدليل :

صلى سيدنا زيد بن ثابت على جنازة ، فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء سيدنا عبد الله بن عباس ووضع يده ليصعد سيدنا زيد على الدابة ، فقال سيدنا زيد : خلّ عنك يا ابن عم رسول الله .

قال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء .
فقبل زيد ابن ثابت يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ .

لأجل هذا - أيها الإخوة - كرّم الإسلام العلماء والمعلمين طوال العام، لا كما تفعله بعض الأمم تكريمه في ثاني سبت من آذار، ثم تهينه بقية العام بالتسخير مرتباً ونقلاً وعزلاً، بل الإسلام كرّمه طوال عمره وأمر بتكريمه. يقول المعلم الأول عليه السلام : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » وقال: « ثلاثة لا يستهين بهم إلا منافق بين النفاق : ذو الشيبة في الاسلام ،والإمام المقسط،ومعلم الناس الخير » فالعالم معلم ،والمعلم يصنع المعروف للناس، و« من صنع اليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله» وإني:

أقدم فضل أستاذي على فضل والدي
وإن كان لي في خدمة الوالد الشرف

فهذا مربّي الروح والروح جوهر
وذاك مربّي الجسم والجسم من صدف
أيها الإخوة :

ما زلنا هناك عند الحبيب الأعظم ،هاهو في روضته الشريفة المطهرة في مسجده الشريف،خرج فوجد فيه مجلسين مجلساً يتفقهون فيه ومجلساً يدعون الله ويسألونه . فقال: « كلا المجلسين إلى خير : أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ،وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل، هؤلاء أفضل، بالتعليم أرسلت ،ثم جلس معهم » .

ولأجل هذا كان عليه السلام يقول : « من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن

يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حاج تاماً حجه .
وكان يقول : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا :
يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر ، فإن
للّٰه سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا
عليهم حفّوا بهم » .

يقول عطاء التابعي رحمه الله تعالى :
« حلق الذكر هي مجالس الحلال و الحرام ، كيف
تشتري وتبيع ، وتصلي وتصوم ، وتنكح وتطلق ، وأشباه
هذا » .

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله : « طلب العلم أفضل من
صلاة النافلة وليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم
.. إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء فليس لله ولي » .

ويقول جدي سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه : « لولا
العلماء لصارت الناس كالبهائم » .
وقال سفيان بن عيينة : « أرفع الناس عند الله منزلة من
كان بين الله وعباده وهم الرسل والعلماء » .

وكان سيدنا سهل بن عبد الله التستري يقول : « من أراد
أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فليُنظر إلى مجالس العلماء
فاعرفوا لهم ذلك » .

وكان جدي سيدنا علي رضي الله عنه يقول : « العالم أعظم
أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله ، ومن حق
العالم عليك أن تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية
ولا تقولن له : قال فلان خلاف قولك ، ولا تشبع من طول

صحبتة ،فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء» .

أيها الإخوة :

هذا هو قدر العلماء عند الله تعالى،فليعلم الناس أي مكانة أحلَّ الله تعالى المعلمين ،وإلى أي منزلة رفعهم الله إليها،ومن هنا تبرز شخصية المعلم،ليعرف العلماء قدرهم عند الله تعالى،إن المعلم أعز وأعظم من أن يميل مع الريح حيث مالت ،إنه كالجبل لايتزحزح أبداً،يطوف الناس من حوله،ولكنه لا يطوف من حول أحد،لأن الناس إذا طافوا حوله فإنما يطوفون حول:ماحكم هذه المسألة، وماذا تعني مسألة كذا وكذا.

أيها الإخوة :

إنني لأقول هذا الكلام تكبراً ولاتعاضماً ولاترفعاً،وإنما أقوله ونحن متواضعين لله تعالى ولرسوله الكريم، أقوله لأن كلمة المعلمين من كلمة الله، مادام المعلمون مع كلمة الله، ولأن المعلمين يجب أن يكونوا

مع الله،فيجب عليهم أن لا يكون همهم الدنيا أبداً،إن المعلم أرفع من المادة،أرفع من كل شيء، إن أرزاقنا على الله تعالى، وما أحد يرزق أحداً،هذه عقيدتنا. فعلى المعلمين أن يبقوا في أوج عزهم، ويبقوا في المكانة العالية التي وضعهم فيها مولانا ﷺ .

لما قدم إبراهيم باشا دمشق، دخل عليه الناس أفواجاً
يسلمون عليه، ثم سأل سؤالا، قال: هل أحد من العلماء لم
يقدم علينا، لم يسلم علينا.
فقالوا: الشيخ سعيد الحلبي.
قال: من هذا؟

قالوا: متولي ومدرس الجامع الأموي.
فخرج إبراهيم باشا يزور الجامع الأموي، ووصل إلى
حلقة العلم التي كان يدرس فيها هذا الشيخ الجليل، وكان
ماداً رجله. فلما رآه الشيخ سعيد لم يطوِ رجله. وانتهى
الدرس وخرج إبراهيم باشا وأرسل إليه مئة ليرة ذهبية
عثمانية. فردها إليه الشيخ سعيد وقال لرسول الوالي: قل
لسيدك إن الرجل الذي يمد رجله لايمد يده. إن الله هو
الرزاق ذو القوة المتين.

أيها الإخوة :

إن أمة فيها أمثال هؤلاء المعلمين والعلماء ماتزال
عزيزة، إن أمة فيها من المعلمين من يشمخ حتى يبلغ
الجوزاء لأمة عزيزة، ولكنها تذلل وتضعف وتهوي إذا
ضعف المعلمون وذلوا واستجابوا لدواعي الدنيا.

وإن من يحترم المعلم ويوقره - أيها الإخوة - فإنما
هو يحترم رسول الله ويوقره وإن احترام النبي وتوقيره
من إجلال مولانا ﷺ، فعلموا أولادكم حب المعلم
واحترامه وإياكم أن تكونوا مع جهل أولادكم على
المعلمين وقديماً قالوا:

لولا المربي ما عرفت ربي، من علمني حرفاً كنت له
عبداً:
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء

علينا أن نحترم المعلمين ونتأدب معهم، يقول إمامنا
الشافعي رحمته الله «لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزة النفس
فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس وخدمة العلماء أفلح
». «

ويقول أيضاً رحمته الله وأرضاه - اسمعوا الأدب من الإمام
الشافعي مع شيخه سيدنا الإمام مالك إمام دار الهجرة
رحمته الله - يقول:

« كنت أصفح الورقة بين يدي أستاذي مالك بن
أنس رحمه الله صفحاً رقيقاً هيباً له لئلا يسمع وقعها
». «

وهذا شيخ عصره الإمام النووي الشافعي يقول رحمته الله : «
ينبغي أن ينظر المتعلم إلى معلمه بعين الاحترام، ويعتقد
كمال أهليته ورجحانه على أكثر طبقاته، فهو أقرب إلى
انتفاعه ورسوخ ما سمعه في ذهنه » .

هكذا كان السلف الصالح يعاملون المعلمين وأساتذتهم،
فخلف من بعدهم خلف لا يعرفون قدر العالم وفضله إلا
يوم جنازته:

فالمرء مادام حياً يستهان به

ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

فخلف من بعدهم خلف زهدوا بالعلماء والمعلمين
وأضاعوهم وسخروا منهم وكم من عالم تكالب عليه
جيرانه وشياطين الإنس، زهدوا به وأهانوه وأسأؤوا إليه
بمعنى ما قيل:

لا ترى عالماً يحل بقوم إلا أورثوه دار الهوان
هذه الكعبة بيت الله يسعى لحجها الثقلان
وترى أزهـد الناس فيها أهلها لقرب المكان
وكل إنسان يتكلم على معلم أو عالم بأي سوء فعاقبته
وخيمة، وكل شخص ينتقص من العلماء الربانيين فهو
على خطر عظيم، اسمعوا ابن عساكر رحمه الله تعالى
يقول:

« اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته ،وجعلنا
ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته.أن لحوم العلماء
مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة،
وأن من أطلق لسانه في العلماء بالسب ابتلاه الله قبل
موته بموت القلب، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن
تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .
أيها الإخوة :

وأما من يخدم العلماء والمعلمين فذلك سبب
لنيل كل خير من الله تعالى، انظروا إلى خادم سيدنا
رسول الله سيدنا أنس بن مالك خدم رسول الله عشر
سنوات فأكرمه الله تعالى فأصبح من أعظم شخصيات
الإسلام، فبقيت مكانته عظيمة في حياته وبعد مماته،
وكذلك العلماء مكانتهم ممتدة إلى ما بعد الموت يقول

ﷺ: « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء
فيرجح مداد العلماء » .

ويقول ﷺ: « يقال للعابد يوم القيامة ادخل الجنة
ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس » .

هنا مدرسة الفقه والفقهاء من مدرسة سيدنا محمد ﷺ
الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم
وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام
عليك .

الولادة ، طلب العلم

- ٢ -

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه

الحمد لله الذي هدانا للتعققة في الدين ، وشرح صدورنا لاقتفاء سلف المؤمنين وشرع لنا الشرائع والأحكام لنميز بها الحلال من الحرام.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحصى كل شئ علما ووسع كل شئ رحمة وحلما .
وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خاتم الأنبياء وإمام الأصفياء وسيد العلماء وخير من مشى تحت أديم السماء القائل عليه الصلاة والسلام :
«لو كان العلم بالثريا لتناوله رجال من فارس» .
اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأشياعه وأحزابه ماجرى يراع وطابت بذكره الأسماع وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فيا أيها الإخوة الكرام :

كيف ؟. ولماذا ؟.

سؤالان هاما أسألهما وأستمد العون من مولانا عز وجل لأجيب عنهما .

كيف أصبح سيدنا أبوحنيفة النعمان رضي الله عنه علماً من أعلام الأمة الذين خلّد ذكرهم التاريخ وعمّ فضلهم الملايين من الأنام..؟ ولماذا هو يلقب بالإمام الأعظم..؟ لماذا كان قمة شامخة في الفقه وكان الفقهاء من بعده عالية عليه...؟

لماذا كان من أعلم هذه الأمة بما جاء عن الله ورسوله ..؟

كيف كان من الزهد والورع والسخاء والبذل وإيثار الآخرة وأخلاق القرآن التي هي بمحل لا يدركه فيها أحد..؟

لماذا كان يؤثر رضاء الله على كل شئ ولو أخذته السيوف في الله لاحتملها ..؟

هذه الأسئلة أستمد العون من مولانا رحمته لأجيب عنها، وأقول باختصار :

إننا أمام قمة شامخة من قمم الفقه الإسلامي ورث علم الصحابة والتابعين .

كان هذا - أيها الإخوة - هو الموجز ، وقبل أن أنقل لكم الأنباء بالتفصيل اسمحوا لي أن أنتقل بكم أولاً إلى صاحب الرسالة ومنبع الهداية إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

لأذكر لكم سلسلة الذهب الفقهية في الإجابة عن السؤال الأول: كيف أصبح الإمام الأعظم سيداً وفقياً؟
أيها الإخوة الكرام :

كان سيدنا رسول الله ﷺ مرجع الصحابة الكرام ﷺ في جميع ما يعرض لهم من القضايا، في العقيدة، في الفقه، في علوم الشريعة الأخرى. وكان مع ذلك جماعة من فقهاء الصحابة الكرام يفتون في عهد النبي الكريم ﷺ في غيبته وفي حضوره، ولكنهم كانوا يرجعون إلى حضرة النبي الأعظم ﷺ بكل ما أفتوا أو قضاوا، ليستيقنوا حكم الله فيما قضاوا أو أفتوا وانتهى علم الصحابة جميعاً واجتمع في ستة من كبارهم وهم:

سيدنا عمر، سيدنا علي، سيدنا عبد الله بن مسعود، سيدنا زيد بن ثابت، سيدنا أبو الدرداء ، وسيدنا أبي بن كعب .
خلاصة فقه الصحابة انصب في هؤلاء الستة، ثم اجتمع علم هؤلاء الستة الكبار في علمين من أعلام الأمة وأشرفها هما **سيدنا علي وسيدنا عبد الله بن مسعود** اللذين سكنا الكوفة ، فهذان الصحابيَّان الجليلان خلاصة فقهاء الصحابة جميعاً .

وابن مسعود - أيها الإخوة - يلقب بابن أم عبد، وهو سادس من أسلم من الصحابة وكان ﷺ لا يفارق سيدنا رسول الله ﷺ في كل أحواله، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة وشهد جميع المشاهد، وأعطاه النبي ﷺ وساماً عظيماً علقه على صدره فقال ﷺ : « رضيتُ

لأمتي ما رضي لها ابنُ أم عبد وسخطُ لها ما سخط
لها ابنُ أم عبد .» .

وقبل وفاة الحبيب الأعظم قلّده وساماً زيّن به صدره
الشريف طول العمر وأبد الدهر، فقال ﷺ : « اقتنوا
باللّذين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار،
وتمسكوا بعهد ابن أم عبد .»، فحاز هذا الصحابي الجليل
شرفاً وفخراً عظيماً لم ينلهما كثير من الصحابة الكرام
وقد بلغوا أكثر من مئة ألف صحابي، وقد بيّن لنا سبب
هذا الشرف الذي حازه ابن مسعود أمين سر سيدنا
النبي ﷺ حذيفة بن اليمان ﷺ فقال : « لقد علم
المحفوظون^(١) من أصحاب سيدنا محمد أن عبد الله
بن مسعود كان من أقربهم وسيلة إلى الله يوم
القيامة، وحلفت بالله لأعرف أحداً أشبه دلاً^(٢) وهدياً
برسول الله من حين يخرج من بيته إلى حين يرجع من
ابن مسعود .» .

ولأجل هذا - أيها الإخوة - كتب سيدنا عمر بن
الخطاب ﷺ إلى أهل الكوفة حين أرسله إليهم معلماً
قال: « إني قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميراً، وعبد
الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من
صحابة رسول الله من أهل بدر، وقد أثرتكم بعبد الله
على نفسي .» .

(١) الذين حفظهم الله

(٢) حالاً

أترون - أيها الإخوة - هذه الشهادات العظيمة التي شهدها لابن مسعود الخليفة العادل عمر، إذاً هو يعلم تماماً القدر الفقهي والعلمي الذي كان يحمله عقل وقلب هذا الصحابي الجليل.

بهذا الصحابي الجليل تفقه أهل العراق، حتى أحصى عددهم فبلغ أربعة آلاف رجل، من هؤلاء الأربعة آلاف تابعي جليل القدر يدعى علقمة بن قيس النخعي، وعلقمة هذا قال فيه ابن مسعود: « لا أعلم شيئاً إلا وعلقمة يعلمه »، وكان له ابن أخ اسمه إبراهيم بن يزيد النخعي كان تلميذاً عند علقمة واحفظوا هذا الاسم جيداً إبراهيم بن يزيد النخعي، لماذا يجب علينا أن نحفظ هذا الاسم..؟ لأن هذا الفقيه الإمام قال فيه من أرخ للتاريخ والفقه: « إنه كان أفقه أهل الأرض في عصره »، ليس أفقه أهل الشام، بل أفقه أهل الأرض كلهم، وقد سئل هذا الإمام الفقيه من نسأل بعدك؟ فقال: « سلوا حماد بن أبي سليمان » أسمعتم: أفقه أهل الأرض رشح تلميذاً من تلامذته واسمه حماد بن أبي سليمان وحماد هذا - أيها الإخوة - يكفيه فخراً أن تلميذه الأول هو:

سيدنا أبو حنيفة

هذه هي سلسلة الذهب الفقهية:

المعلم الأول حبيبنا وقرّة أعيننا سيدنا رسول الله ﷺ .

الثاني سيدنا عبد الله بن مسعود .

الثالث سيدنا علقمة بن قيس .

الرابع سيدنا إبراهيم بن يزيد .

الخامس سيدنا حماد بن أبي سليمان ؓ .

وانصب علم هؤلاء كلهم في سيدنا

الإمام أبي حنيفة النعمان ؓ .

وهنا يأتي جواب السؤال الثاني: لماذا هو الإمام الأعظم..؟

هو الإمام الأعظم لأنه روى عن الإمام حماد ألفي حديث من أحاديث الأحكام ولأنه بقي تلميذاً عنده حتى مات، لأجل ذلك كان سيدنا أبوحنيفة النعمان ؓ أعلم أهل عصره، ورث العلم كابراً عن كابر.

أيها الإخوة الكرام :

إننا في الصفحة الأولى لهذا الإمام الأعظم وعنوان هذه الصفحة:

الآباء والأجداد : من هو الإمام الأعظم ؟ ما نسبه وسلالة آبائه ؟.

سيدنا أبوحنيفة هو النعمان بن ثابت بن المرزبان^(١) فارسي الأصل من الأسر الشريفة الأحرار في فارس ، وأصل أجداده من كابل (التي يتصارع فيها الأفغان الآن).

قدم جده المرزبان وأسلم زمن سيدنا عمر ؓ ، ثم تحول هذا المرزبان وسكن الكوفة، وأما ثابت والد الإمام الأعظم فقد قدم إلى سيدنا علي ؓ وهو صغير فدعا له سيدنا علي بالبركة فيه وفي ذريته، وقد استجاب الله له

(١) هو اسم فارسي وهو يعني بالعربية الرئيس

فجعل ملوك الأرض والآفاق وأكثر أهل الإسلام تبعاً
لسيدنا أبي حنيفة في الدين وعالة عليه في الفقه.
أيها الإخوة الكرام :
وقبل أن أُلج إلى سيرة هذا الإمام الأعظم أدعكم
لتصلوا على الحبيب الأعظم من قلوبكم **f** ولأبدأ معكم
بـ :

الولادة المباركة

فقد ولد هذا الإمام وأطل على الوجود الإنساني سنة
ثمانين للهجرة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان
،ونما وترعرع ونشأ في أسرة صالحة غنية كريمة
بالكوفة لأبوين صالحين كريمين، وكان والده يعمل في
بيع الأثواب (خزّاز)، وكان من صلاحه وتقواه أنه
وضع ولده الصغير في الكتاب ليحفظ القرآن فحفظ
سيدنا أبوحنيفة القرآن الكريم غيباً وهو بعد مازال
صغيراً ،وحين بلغ السادسة عشرة من عمره خرج مع
أبيه لأداء فريضة الحج وزيارة سيدنا رسول الله ﷺ ،
وفي هذه الحجة اجتمع بأحد الصحابة الكرام ، إنه
الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث بن شذب الزبيدي،
رآه يحدث الناس فاقترب منه مع أبيه وسمعه يقول
السهم الإندفاعي الأول في حياة الإمام، سمع الصحابي
يقول بما يرويه عن سيدنا رسول الله ﷺ : « من تفقه في
دين الله كفاه همه، ورزقه من حيث لا يحتسب ». كان
هذا الحديث الكريم إشارة توجيهية بسلوك طريق

الفقه، حتى التقي بأحد أعلام الأمة في الكوفة عندما عاد إليها بعد حجته تلك، إنه قاضي الكوفة وكبير محدثي الإمام الشعبي، وجرت بينهما المحاوراة التالية :

قال الإمام الشعبي : إلى من تختلف..؟

قال الفتى : أختلف إلى السوق.

قال : لم أعن هذا الاختلاف إلى السوق بل أعني الاختلاف إلى العلماء.

هناك تفكر النعمان هنيهة ، وأكمل الإمام الشعبي كلامه : عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فإنني أرى فيك يقظة وحركة.

ومنذ تلك اللحظة المباركة انفتح الطريق أمام هذا الفتى ، هذه الطريق التي سار فيها بقية حياته وأعطى المسلمين منها زاداً يانعاً مازال حياً معطياً ولكنه وقع في حيرة إلى أي متون العلم يتجه والكوفة زاخرة بحلقاته وفنونه، والبصرة يومئذ تعج بالعلماء، وفيها مجلس التفسير والفقه والعقيدة، ترى هل يُعلم القرآن ويدرسه للصبيان..؟ أم يسمع الحديث ويحفظه..؟ أم يلتبس من حلقات النحو أم الشعر ما يروق له..؟ وراح يمر يجلس في هذه الحلقات جميعاً، ولكنه يبدو أنه لم يجد نفسه عند واحدة منها حتى وقف بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان الفقيه، فجاءت النعمان امرأة تسأله قالت : رجل له امرأة أمة (جارية) أراد أن يطلقها نفسه كم يطلقها ، قال: فلم أدر ما أقول لها ، ثم أمرتها أن تسأل حماداً ثم ترجع فتخبرني ، فسألت حماداً الفقيه

فقال لها : يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقه ، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين ، فإذا اغتسلت حلت للأزواج ، فرجعت المرأة فأخبرتني، فقلت في نفسي : لا حاجة لي في شيء . ومضيت إلى حلقة حماد . وأراد الله به خيراً كثيراً لأن الحبيب الأعظم ﷺ يقول في صحيح البخاري : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

وفتح الله على هذا الفتى فكان يسمع مسائل حماد ويحفظ أقواله ثم يعيدها في الغد، كان يحفظها ويخطئ أصحابه حتى قال حماد الفقيه مرة : « لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة » .

هل رأيتم هذه الشهادة العظيمة، لقد بزّ أقرانه في تعلم الفقه ، وتجاوز أمثاله وسابقيه في حلقة شيخه لحفظه وأدبه، وكان أدبه مع شيخه موضع العجب، ولا يُنال العلم إلا بالأدب، فلقد كان يقصده في بيته، ينتظره على بابه حتى يخرج لصلاته أو حاجته، فيسأله ويصحبه، و إذا احتاج شيخه إلى شيء قام هو على خدمته، و إذا جلس في بيته لم يمد رجليه جهة بيت شيخه حماد وإن بينهما سبع حارات، وكذلك الكعبة، فيكره مد الرجلين باتجاه القبلة، وهكذا كان سيدنا حماداً كعبةً للعلم في عصره، لم يمد رجليه جهة بيت حماد، وكان إذا صلى دعا لشيخه حماد مع والديه ، فلازم شيخه ثمانية عشر عاماً حتى مات شيخه، وأخذ عن سبعة من الصحابة وثلاثة وتسعين من التابعين، وكثير من أتباعهم حتى بلغ

عدد مشايخه أربعة آلاف شيخ (وهناك من لا يوجد له حتى شيخ واحد ، وهناك أيضاً أناس شيخهم إبليس يفعلون ما يوسوس لهم) بينما ونحن في المسجد أسأل الله أن يجعل قلوبنا على قلب رسول الله ﷺ ، اللهم اجعل قلوبنا مرتبطةً بنبيك الأعظم ﷺ .

فهل أثمرت جهود هؤلاء جميعاً في هذا الفتى ..؟

هل أثر صلاح أبويه ..؟

كيف بلغ العلا ..؟

كيف رقى ذروة المجد ..؟

أعلق هذه الأسئلة إلى الجمعة القادمة بإذن الله .

هنا مدرسة الفقه والفقهاء من مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم ، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك .

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وما توفيقي
واعتمادي وتوكلي واعتصامي إلا بالله.

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتم نعمته علينا
ورضى لنا الإسلام ديناً فلن نرضى عنه بدلاً ، أحمده
سبحانه وتعالى وأشكره إذ أخرجنا من ظلمات الجهل إلى
نور الفقه والفهم في كتابه وسنة رسوله الكريم ﷺ فلا
نبغ عن ذلك حولا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له من قالها
خرج من قلبه كل شرك بالله .

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا
وقرة أعیننا سيدنا محمد عبده ورسوله وصفیه وخلیله
، خاتم الأنبياء وإمام الأصفیاء الذي فتح الله به أعیناً
عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وهدانا به من الضلالة
وعلمنا به من الجهالة، سيدي أبا القاسم يا رسول الله

روحي بحبك في الضياء تهيم

والشوق مني في هواك عظيم

والقلب مسرور بذكر محمد

في ذكره نور وفيه نعيم

اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد
السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه
الكرام ، وسلم تسليماً كثيراً .

إلهي إن كان صغيراً في جنب طاعتك عملي ، فقد كُبر
في جنب رجائك أملي . إلهي كيف أنقلب بالخيبة
محروماً ، وظني بجودك أن تقبلني مرحوماً . إلهي
أعزّزت نفسي بإيمانك ، فكيف تذللها بين أطباق نيرانك .
إلهي إذا تلونا في كتابك شديد العقاب أشفقنا ، وإذا
تلونا منه الغفور الرحيم فرحنا ، فنحن بين أمرين
سخطك ورحمتك ، فأفّض علينا يا مولانا رحمتك ، ولا
تقطع عنا برّك ، إن غفرت فبفضلك ، وإن عذبت فبعدلك
، يامن لا يُرجى إلا فضله ولا يُخشى إلا عذابه هب لنا
توبة نصوحا تذيبنا فيها من حلاوة إيمانك واجعلنا في
رحمتك مع الأبرار .

أما بعد : فيأيها الإخوة الكرام .

بهذه الكلمات كان الإمام الأعظم سيدنا أبوحنيفة
النعمان رحمته الله يناجي مولانا عز وجل في ظلمات الليل .

إننا اليوم على موعد مع الحلقة الثالثة من سيرة
الفقهاء ، إننا مع إمام الأئمة الذي يلقب عند الفقهاء

بالإمام الأعظم ، إننا مع سيدنا أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان ، واليوم نجيب عن سؤال هام : كيف أصبح هذا الفقيه إماماً أعظماً للمسلمين...؟ ولماذا هو الإمام الأعظم دون سائر الأئمة...؟ أدعكم أولاً لتصلوا على الحبيب ﷺ فقد تحققت معجزة لنبينا الكريم في هذا الفقيه الذي يرجع أصله كما قلت لكم إلى بلاد فارس ، يقول ﷺ : « لو كان العلم بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس » ، فكيف تناول هذا الإمام العَلم هذا العلم الشريف ..؟ وكيف دانت له الرجال والبلدان ..؟

إليكم الخطة العلمية التي رسمها الإمام لنفسه ، والتي اتخذها لنفسه سلوكاً ومنهاجاً :

إن الإمام أبا حنيفة لم تذق

عيناه قط لَذَاذَةَ الإغفاء

وعلى كتاب الله مذهبه بُني

لله ثم السنة الغراء

ثم اجتماع المسلمين فإنهم

نظروا بنور الحق في الظلماء

ثم القياس على النصوص فإنه

زهرٌ لأهل الملة الزهراء

إن سيدنا أبا حنيفة النعمان ﷺ صحب شيخه الفقيه

حماداً مفتي الكوفة ثمانية عشر عاماً لا يفارقه ، فلما

مات الفقيه حماد خاف أصحابه أن يموت ذكر العلم

ويندرس بموته ، فراحوا يبحثون عن يرأس حلقة الفقه

حتى وصلوا إلى سيدنا أبي حنيفة ﷺ، وكان قد بلغ

الأربعين من عمره، فسأله أن يرأس مجلس العلم هذا فقال لهم: « لا أحب للعلم أن يموت » وجلس معهم .
وهنا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ سيدنا أبي حنيفة النعمان رحمته الله مرحلة التعليم والتدريس وكان يفقه أصحابه في الدين، وكان شديد البر بهم والتعاهد لهم ، وكان رجلاً موسراً سخياً ذكياً يجلس إليهم ويصبر نفسه عليهم ويحسن مواساتهم .

بقي كذلك مدة ثلاثين عاماً ، أفتى فيها في خمسمئة ألف مسألة، وبلغ عدد تلامذته في الحلقة سبعمئة وثلاثين شيخاً كلهم علماء ،ملؤوا أصقاع الأرض علماً شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً حتى استحکم أمره واحتاج إليه الناس وأكرمه العلماء والأمرء ،واتسع شأنه في الكوفة حتى أصبحت حلقة في مسجد الكوفة أعظم حلقة ،وأصبح آية من آيات الذوق والعلم والخلق واتفق له من العلم شيء كثير فأظهره الله على بقية الفقهاء، وفاق أهل زمانه في العلم والفقه والعقيدة وكان فضل الله عليه عظيماً .

فما السر يا ترى في ذلك ..؟ما الذي فعله سيدنا أبوحنيفة النعمان رحمته الله حتى أقبل عليه الناس ؟
أتدرون لماذا ؟ لشيئين :

الشيء الأول نقله لنا الإمام أبوحنيفة نفسه رحمته الله فقال:
« إنما أدركت ما أدركت بالحمد والشكر لله تعالى فكلما علمت أووقفت على علم وفقه وحكمة قلت الحمد لله فأزداد علماً بفضل الله تعالى » { لنن شكرتم لأزيدنكم } .

والشيء الآخر أن هذا الإمام ابتكر منهجاً وطريقةً جديدةً في تقرير مسائل الاجتهاد فقد وضع مذهبه شورى بين أصحابه ، لم يستبد به بنفسه دونهم، وهذا الأمر كان اجتهداً منه في الدين ومبالغة في النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، فكان ﷺ يطرح المسألة أمام أصحابه العلماء، وكل واحد من تلامذته يدلي برأيه فيها ،ويقول ما عنده من العلم ، ويبقى في المسألة الواحدة يناظرهم ويحاورهم شهراً أو أكثر ، وكلهم في هذه المجالسة يعرضون عليه القرآن ، فإذا لم يجدوا فيه الجواب عرضوا ما وصل إليهم من سنة رسول الله ﷺ ، ثم بحثوا في القياس ، قاسوا الأمور بعضها على بعض ثم يستعرضون أقوال الصحابة ويختارون من أقوالهم ما يشاؤون ، فإذا وصلوا إلى أقوال التابعين اجتهد الإمام كما اجتهد التابعون وقال كلمته:«التابعون هم رجال ونحن رجال» لأنه من التابعين ﷺ حتى يستقر أحد الأقوال في المسألة، ثم يأمر تلميذه أبا يوسف أن يثبت هذه المسألة عنده، وهكذا فعلوا في كل مسألة حتى دونوا الفقه كله.

إذاً - أيها الإخوة - الفقه ليس وليد الإمام فحسب ، ليس اجتهد الإمام فقط ،إنه نتيجة آراء لعلماء قلبوا وجوه الرأي في كل مسألة عرضت لهم حتى خرجوا بهذه القواعد والأسس المتينة في جوانب الإسلام .

وقد كان حول أبي حنيفة رضي الله عنه ثلة مباركة من أصحابه العلماء، كل واحد منهم متخصص في علم من علوم الشريعة وإليك الدليل بعد أن تصلوا على الحبيب صلى الله عليه وسلم.
إننا سنردُّ اليوم - أيها الإخوة - رداً شافياً وافياً على من يقول إن فقه أبي حنيفة غير نافع، وأنه لا يفي بضرورات العصر؟!!!

ذكر مسألة أمام سيدنا وكيع بن الجراح^(١) فقال رجل في الجلسة: أخطأ أبو حنيفة.

فقال سيدنا وكيع : وكيف يقدر أبو حنيفة أن يخطئ ومعه مثل أبي يوسف ومحمد بن الحسن وزُفر في قياسهم واجتهادهم ، ومعه مثل يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وحفص بن غياث وحبان وقندل ابني علي في حفظهم للحديث ومعرفتهم به ، ومعه مثل القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود في معرفته بالأنحوال واللغة وداود الطائي والفضيل بن عياض في ورعهما وزهدهما ، وعبد الله بن المبارك في معرفته بالتفسير والأحاديث والتواريخ . ثم قال سيدنا وكيع : فمن كان أصحابه وجلسائه هؤلاء كيف يخطئ وهو بينهم؟ وكل منهم يثني عليه ، لأنه إن أخطأ ردوه إلى الصواب . ثم قال سيدنا وكيع : من زعم أن الحق مع من خالف أبا حنيفة رحمه الله (حيث وضع المذاهب وحده) أقول له ما قال الفرزدق :

(١) وهو شيخ الإمام الشافعي رحمه الله ، يقول الإمام الشافعي: شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك لمعاصي وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أيها الإخوة الكرام :

إن الذي دون الفقه الحنفي مجلس أعلى من مجالس
فقه الشريعة ليفهم هذا تماماً من يريد أن يأتي بفقه جديد
من جعبته ، ليفهم من يريدنا أن نترك فقه الأمة
الإسلامية إلى فقه معاصر متساهل جديد ، إن الذي يتكلم
بهذه الكلمة ويتهم فقه الأولين بفقه المرض وفقه المحنة
لهوالمريض وهوالممتحن هذه الدعوى النفاقية وإن
صدرت من أصحاب العمائم فلم يكن يراد بها وجه الله
تعالى ولكنه كان يريد بها وجه إبليس ، وجه الدنيا ، وجه
الكراسي المزخرفة ، ومن لم يكن همه وجه الله سقط من
عين نفسه وسقط من أعين الناس .

وقد فهم الإمام أن العلم يجب أن يكون لله تعالى ،
اسمعوا ماذا يقول الإمام عليه السلام ، يقول: « من تعلم العلم
للدنيا حُرِمَ بركته ، ولم يرسخ في قلبه ، ومن تعلمه لله
بورك في علمه ورسخ في قلبه وانتفع الناس منه
بعلمه » وكان يردد قول سيدنا الأعظم عليه السلام: « لا تعلموا
العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا
لتحتازوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار».

وكان يوصي تلامذته ويقول: من ظن أنه يستغني
عن العلم فليبيك على نفسه ، قال يوماً لأحدهم: « إن
بقيت عشر سنين من غير قوت ولا كسب فلا تعرض
عن العلم، فإنك إن أعرضت عنه كان عيشك ضنكا»،

ويقول لإخوانه : « مَن مَرَضَ مِن إِخْوَانِكَ فَعَدَهُ بِنَفْسِكَ
وتعاهده برسائلك ، ومن تكلم فيك بالقبيح فتكلم فيه
بالحسن الجميل ، وأفشِ السلام ولو على قوم لئام » .
{واتبع السيئة الحسنة تمحها } .

إن الإمام الأعظم كان من سادة الأمة وأشرفها ، أقر
بفضله كل واحد سمع به أو رآه . ومما زاد في خبرته
عمله في التجارة ومعرفته بالحلال والحرام والمعاملات
التجارية . اللهم ارضَ عن هذا الإمام الأعظم ، كان
يفيض علما ، يطرح المسألة واحدة واحدة حتى يفهم
الناس رأيه ويقتنعوا به ثم يقول : « هذا رأينا أحسن ما
قدرنا عليه فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى
بالصواب » .

واتسم عليه السلام بالسماحة والرفق في النقد ، وكان قدوة في
الأدب والذوق والصبر إذ جمع فيه مع العلم المحبة ومع
العلم القصة والعبرة ولا يذكر الخصم بالنقد ، وكان
يقول : « إن لم تريدوا بهذا العلم الخير فلن توفقوا » .

تناهى إلى سمع الإمام أن في الكوفة رجلاً يقول
عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يهودياً ، ولم يقدر
العلماء على إقناعه أو حمله على أن يغير مقالته ، فأتاه
سيدنا الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ، وقال له : أتيتك خاطباً . قال :
لمن ؟ قال لابنتك ؛ رجل شريف غني بالمال ، حافظ
لكتاب الله ، سخي يقوم الليل في ركوع ، كثير البكاء .
فقال له : دون هذا مَقْنَعٌ يا أبا حنيفة . فقال : إلا أن فيه
خصلة . قال : وما هي ؟ قال : يهودي . قال : سبحان الله

!. أتأمرني أن أزوج ابنتي من يهودي . قال: ألا تفعل.
قال : لا.

قال : إن النبي قد زوج ابنته من يهودي وهو سيدنا
عثمان .

وهنا أدرك الرجل خطأه الفادح وسارع فقال : أستغفر
الله وأتوب إليه

النبي لا يزوج ابنته من يهودي ، بل قال لسيدنا
عثمان : «**لئن ماتت الأولى لأزوجنك الثانية**» وقال له
لما ماتت بنتا النبي وهما زوجتا سيدنا عثمان رضي الله عنه : «**لو كان عندي عشر بنات لزوجتهن لك يا عثمان**» . أهذا
يهودي..!!؟

فتاب الرجل إلى الله. رد مفحم يدل على قوة فراسة
هذا الإمام وبصره بنفوس الرجال.
يقول أحد تلامذته وهوزفر بن الهزيم : «**إذا تكلم الإمام
خُيِّل إليك أن ملكاً يلقيه ما يقول**» . وقال عنه غيره «**إنه كان إذا سُئِل في الفقه تفتح وسال كالوادي وسمعت
له دويّاً وجهارة في الكلام**» .
أيها الإخوة :

شهد لهذا الإمام بورعه وتقواه كل من عرفه والتقى
به، على رأس هؤلاء إمام دار الهجرة سيدنا مالك بن
أنس رضي الله عنه وقد دخل عليه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه فرفعه
واحترمه وقَدَّرَه ثم قال لأصحابه : **أتدرون من هذا ؟**
قالوا : من هذا ؟ .

قال : هذا النعمان ، لو قال إن هذه الاسطوانة^(١) من ذهب لأحضر لك الدليل على أنها من ذهب من قوة علمه وقوة بصيرته .

وقال عنه الإمام الشافعي رحمه الله : « الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة »، أي زيادة .

وقال فيه سيدنا عبد الله بن المبارك^(٢) رحمه الله وقد دخل الكوفة فسأل عن أفقه أهلها، ف قيل له أبوحنيفة . وسأل عن أزهد أهلها، ف قيل له أبوحنيفة. وسأل عن أورع أهلها، ف قيل له أبوحنيفة. فأراد أن يعرف من هذا أبوحنيفة، فلما التقى به وجلس إليه وحدثه خرج من عنده وهو يقول: « ليس أحد أحق أن يُقتدى به من أبي حنيفة ». (قولوا رضي الله عنه) .

كان إماماً تقياً نقياً ورعاً عالماً فقيهاً، به كُشف العلم كشفاً لم يكشفه أحد ، ببصر وفهم وفطنة وتقى، ولأجل هذا قال عنه الإمام الذهبي : « الإمامة في الفقه ودقائقه مُسلّمة إلى هذا الإمام وهو أمر لا شك فيه ». أيها الإخوة الكرام :

عاش الإمام الأعظم سبعين سنة ملاً حياته خلالها بالفقه والعلم والمعرفة دخل عليه رجل في حلقة في مسجد الكوفة، وحوله أصحابه المخلصون، فقال للإمام: « ما تقول في رجل لايرجو الجنة، ولا يخاف

(١) عضادة في المسجد

(٢) كان يحج عاماً ويجهاد عاماً قال عنه ابن عيينة (أحد الفقهاء): هذا عالم المشرق والمغرب وما بينهما

النار ، ولا يخاف من الله تعالى ويأكل الميتة، ويصلي بلا ركوع ولا سجود، ويشهد بما لا يرى ، ويبغض الحق ، ويحب الفتنة ، ويفر من الرحمة ، ويصدق اليهود والنصارى ؟ قال الإمام أبوحنيفة - وكان يعرف أن الرجل شديد البغض له - :

يا فلان سألتني عن هذه المسائل فهل لك علم بها .
قال الرجل : لا .

فالتفت الإمام لأصحابه وقال لهم : ما تقولون في هذا الرجل الذي يصفه .

قالوا جميعاً: شر رجل ، هذه صفات رجل كافر .
تبسم الإمام أبوحنيفة النعمان رحمه الله وقال لأصحابه : هذا الذي يصفه هذا الإنسان ولي من الأولياء ، ثم قال للرجل : إن أنا أخبرتك أنه من أولياء الله تعالى تكف عن سوء لسانك . قال : نعم .

فقال سيدنا أبوحنيفة : أما قولك إنه لا يرجو الجنة ولا يخاف النار فإنه يرجو رب الجنة ويخاف رب النار ، وأما قولك لا يخاف من الله فإنه لا يخاف من الله أن يجور ويظلم في حكمه وعدله جل جلاله { إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم } .

وأما قولك يأكل الميتة ، فإنه يأكل السمك ، وقولك يصلي بلا ركوع ولا سجود أراد الصلاة على النبي ﷺ - والفقهاء يقولون الصلاة على النبي خير من صلاة النافلة(اللهم أنزل أكمل صلواتك وأتم تسليماتك على سيدنا محمد)، وقولك يشهد بما لم ير فهو يشهد أن لا

إله إلا الله وأن محمداً رسول الله — فهو لم يرَ الله ﷻ وكذلك لم يرَ رسول الله ﷺ — وقولك يبغض الحق فهو يبغض الموت وهو الحق ويحب البقاء حتى يطيع الله تعالى {وجاءت سكرة الموت بالحق } ، وقولك يحب الفتنة أراد أنه يحب المال والولد { إنما أموالكم وأولادكم فتنة } ، وقولك يفر من الرحمة فهو يفر من المطر وهو غيث ورحمة ، وأما قولك يصدق اليهود والنصارى فهذا قول الله ﷻ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب {وقد صدّق كليهما في هذا القول فهو صدق قول الله ﷻ. فقام الرجل وقبّل رأس الإمام وقال : أشهد أنك على الحق.

أيها الإخوة:

روي عن هذا الإمام أحواله التي تشبه أحوال الصحابة ، وورعه وزهده وعبادته وقيامه الليل حتى قيل إنه ختم القرآن سبعة آلاف مرة، وقرأ القرآن كله في ركعتين من الليل، وحج خمساً وخمسين حجة، وصلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة — اللهم تب علينا يا تواب —.

وكان الإمام الأعظم إذا أراد أن يصلي تزين وسرح لحيته وتعطر ولبس ثوبه الغالي الذي تبلغ قيمته ألف وخمسمئة درهم، ثم يقوم إلى الصلاة ويقول: «**التزين لله عز وجل أولى**» . وليس التزين للمخلوق قال تعالى {خذوا زينتكم عند كل مسجد } .

أيها الإخوة الكرام :

الناس في بلدان الدنيا كانوا يركضون وراء الوظائف التي تملأ جيوبهم من الرّشوة ، أما الإمام الأعظم فقد رفض أن يتولى القضاء مرتين ، مرة في عهد بني أمية ومرة في عهد بني العباس، وكان يقول: « إذا ارتشى القاضي فهو معزول شرعاً وإن لم يُعزل » وذلك لأن الرّشوة من الكبائر ، وصفات القاضي العدل ألا يرتكب كبيرة ولا يصر على صغيرة ويحافظ على مروءة أمثاله وأن تغلب حسناته سيئاته ، فلما ارتشى ارتكب كبيرة وذهبت عدالته وسقطت مروءته لذلك فحكمه أنه معزول شرعاً وإن لم يُعزل.

كان الإمام عليه السلام حسن الجوار حسن السمات حسن المعاشرة والمواساة كان يحتمل الناس ويداريهم ، وكان بجواره جار فاسق ، يضرب العود في الليل ويسكر كلما جن عليه الليل ، أقبل على لعبه وهواه وكان أكثر صياحه وغناه إذا سهر هو وأصحابه قوله:
أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر
حتى حفظ عنه هذا البيت لكثرة ما كان يردده ، فأخذه الحرس من داره وهوسكران وحبسوه فلما قام الإمام الأعظم من الليل لم يسمع صوت جاره ، افتقده ، فلما أصبح سأل عنه فقيل في السجن فقال لأصحابه : قوموا بنا نسعى في خلاص جارنا فإن حق الجوار عظيم عند الله ومشى حتى أتى مجلس الأمير، فلما رآه الأمير قام من

مكانه وأجلسه بجواره، وقال له: هلا دعوتني فجتك يا إمام.

فقال له الإمام الأعظم عليه السلام : إن في سجنك جاراً لي أخذته الحرس البارحة. فقال الأمير: كل سجين حر اليوم لأجل الإمام أبي حنيفة، وأخرج من السجن وأخذ الإمام بيده وقال له: أضعناك يا فتى..؟

قال : لا يا سيدي ومولاي ما تراني بعد اليوم أفعل شيئاً تتأذى به.

فأعطاه الإمام صلة ومضى ، فإذا به يديم على حضور درسه ومجلسه حتى أصبح هذا الرجل من فقهاء الكوفة.

هذا هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان عليه السلام كان يعمل من كسب يده ، لم يقبل الجوائز والعطايا كما يفعل رجال السوء في عصرنا ، كان إذا رأى منكراً احمرت عيناه وانقلبت في أم رأسه، وانتفخت أوداجه، ما رأى منكراً قط إلا أزاله عليه السلام وكان يؤثر رضى مولانا رحمته الله على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله تعالى.

أبعد هذا يأتي أحد المنافقين الذين يدعون المشيخة قد أفسد دينه بالنفاق، يأتي منادياً أن نبذل مذهبه ونستغني عنه ونأتي بفقهِ جديد...؟ كيف يتسنى هذا ..؟

هذا المتمشيخ لم يرد بكلمته وجه الله ﷻ وسوف يحاسبه الله، وسوف يهوي إلى الحضيض بدعواه النفاقية تلك.

إن الإمام الأعظم رفض أن يبيع دينه ، رفض أن يتولى القضاء مرتين ، وحين أرسل إليه أبوجعفر المنصور وأراد أن يوليه القضاء أبى فحلف أبوجعفر عليه إلا ليقبلن فحلف سيدنا أبوحنيفة لا أفعل فقال رجل للإمام الأعظم : ألا ترى أمير المؤمنين قد حلف.

قال سيدنا أبوحنيفة عليه السلام : أمير المؤمنين أقدر على كفارة يمينه مني على كفارة يميني.

فأمر أبوجعفر المنصور بحبسه في السجن وبضربه كل يوم عشرة أسواط ، ثم دعا به فقال له : أترغب عما نحن فيه.

فقال سيدنا الإمام عليه السلام : أصلح الله الأمير ، يا أمير المؤمنين اتق الله ولا تشرك في أمانتك من لا يخاف الله ، والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ، فلا أصلح لذلك .

فقال أبوجعفر المنصور : كذبت أنت تصلح له .

فقال له الإمام عليه السلام : يا أمير المؤمنين قد حكمت على نفسك كيف تولي قاضياً كذاباً .

ولبت طويلاً في السجن وضربه المنصور مئة وثلاثين سوطاً وهو في سجنه ممتنعاً عن ولاية القضاء ، وجاءته أمه تزوره وهو يضرب في السجن ، وكان له ولد وحيد سماه حماداً على (اسم شيخه) قالت له: « يا أبا حماد ما خير علم يضيعك كل هذا الضياع » .

فقال لها : أيا أماه إنهم يريدونني على الدنيا وإنني أريد الله والآخرة وإنني أختار عذابهم على عذاب الله ، والله يا أمي لو أردت الدنيا لوصلت إليها ولكن أردت أن يعلم الله أنني صنت العلم ولم أعرض نفسي لهلكته، ثم قال : والله ما أوجعتني الشياط قدر ما أمتني دموع أمي .
وخرج الإمام من السجن مريضاً وقد بلغ السبعين من عمره وبقي أياماً وهو مريض متقل، فلما أحس الإمام بالموت سجد لله سبحانه وصعدت روحه إلى ربها وهو ساجد فهنيئاً له القرب من الله تعالى. لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) .

أيها الإخوة الكرام :

توفي الإمام سنة مئة وخمسين للهجرة وفي السنة التي توفي فيها الإمام الأعظم عليه السلام ولد إمام عظيم هو الإمام الشافعي عليه السلام .

واسمعوا وصية سيدنا أبي حنيفة عليه السلام اسمعوها وقد كان يكررها على أصحابه ، كان يقول لكل واحد منهم

« كن لله في سرك كما أنت في علانيتك فلا يصلح
للعالم إلا بأن يجعل سره كعلانيته». .
لقد خصص الله النبي محمدا
بأشياء منها النفس دام ابتهاجها
فأتمته قد أخرجت خير أمة
كما جاء ، والنعمان فيها سراجها
فها هو في أرض بغداد قد ثوى
أضاءت به أرجاؤها و فجاجها
هنا مدرسة فقهاء الأمة من مدرسة سيدنا محمد ﷺ
الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم
وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام
عليك .

فقه الطهارة والصلاة على المذهب الحنفي

- ٤ -

الحمد لله الذي جعل الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً، فمن جحدّها كان بصفة الكافرين منعوتاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خاطب نبيه الكريم بقوله { وربك فعبّر }.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل «مفتاح الصلاة الوضوء وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم» . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فيا أمة الإسلام وحراس العقيدة : معكم اليوم على منبر سيد الوجود والبركة العامة لكل موجود في الحلقة الرابعة من سلسلة سيرة الفقهاء ، ومن مدرسة سيدنا محمد ﷺ يرتفع نداء الحق الله أكبر ، حي على الصلاة ، من أجل ذلك خلق مولانا ﷺ عبده ، أن يناجيه ويخاطبه ، ويعترف له بوحدانيته يقول مولانا ﷺ { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } . فليقف العبد بين يدي ربه معترفاً له بعبوديته ، وقوفك يا أخي بين يدي ربك اعتراف

بألوهيته وذلك وعبوديتك ،وقوفك بين يديه شعور بأن الله كرمك على جميع الأمم فجعلك أهلاً لمخاطبته، شرف عظيم ما بعده شرف أن يتكلم العبد مع من ؟ مع رئيس أمريكا أو روسيا أو الصين ، لاشيء لا يستويان مثلاً إنه يتكلم مع رب العالمين رب الإنس والملك والجان .

ولكن قال لك عندما تريد أن تخاطبني وأسمع نداءك عليك أن تسلك الطريق الرسمي . وتمشي على الأصول (البروتوكول) : لاتعص،لاترتكب المخالفات،تظهر جيداً،صلّ جيداً،واخضع جيداً يقول مولانا { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي } وكثير من الناس يصلون ويصومون ويتعبدون ثم يخرجون إلى الفحشاء والمنكر ،فهل كلام مولانا غير صحيح،معاذ الله ،تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ،إذاً أنا عندما صليت لم تكن صلاتي منضبطة ،لما كانت صلاتي صحيحة كاملة فيها الخشوع،عندها تنهاني صلاتي عن الفحشاء والمنكر .

ولقد وصل المسلمون المحافظون على الصلاة إلى حالة من الإزدراء بالله تعالى من حيث لا يشعرون ،يظنون حركات القيام والركوع والسجود أنها هي العبادة ،وحقيقتهم بعيدة عن العبادة إذ أنهم يؤدونها حركات فقط دون خشوع يقرؤون القرآن كالمسجل والمذيع دون وعي ولا إدراك ،فما بالك بغير المحافظين أو الذين يرقعون ،وهذه الحالة ينتج عنها عند الشباب المشكلة التالية : يقول لك الشاب : إني لا أصلي لأنني كلما قمت إلى الصلاة يوسوس الشيطان في فكري

فأتترك الصلاة ،ويقول لك أنا لأرضى بهذه الصلاة ،فكيف يرضى بها مولانا ﷺ .ولأجل ذلك بعضهم ترك الصلاة وهذا عين الخطأ ،لأن الخشوع ليس ركناً ولا واجباً بل هو سنة مستحبة وإن كان هو روح الصلاة وكمالها ،وأنت عندما تصلي يسقط عنك الفرض ولو كانت صلاتك بغير خشوع .

أما الخشوع في الصلاة فيجعلها تامة غير منقوصة لقوله ﷺ : « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها » ومنها أخذت التسمية: الصلاة صلة بين العبد وربّه ،فإذا لم تصلك الصلاة بالله فهي ليست كاملة .

وقد وعدتكم أيها الإخوة أن أحدثكم بعد كل إمام من الأئمة عن فقه هذا المذهب في الطهارة والصلاة باختصار يتناسب مع خطبة الجمعة.

إننا في الصفحة الأولى من فقه الصلاة على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت ﷺ مضافاً إليها روح الصلاة ومعنى حركاتها وأقوالها

وللصلاة: شروط وأركان وواجبات وسنن مؤكدة .

والصلاة شُبِّهت بالإنسان : فالركن كـرأسه ،والشرط كحياته، والواجب كأعضائه، والسنن كشعره .

والشروط والأركان إذا فُقدت بطلت الصلاة ولم تصح، والواجبات إن تركت عمداً يجب إعادة الصلاة

، وإن تركت سهواً تجبر بسجود السهو. وأما السنن
فيستحب أدائها وتصح الصلاة بتركها مع الإساءة .

وأما شروطها فستة :

الأول - الطهارة في الثوب والبدن ومكان أداء الصلاة
، وتكون الطهارة بالبدن بالوضوء أو الغسل من الجنابة
، وأركان الوضوء عند الحنفية أربعة: غسل الوجه -
غسل اليدين مع المرفقين - مسح ربع الرأس - غسل
الرجلين مع الكعبين ويجب عليه غسل ظاهر اللحية الكثة
وبشرة اللحية الخفيفة ، وأما الغسل من الجنابة فله ركن
واحد هو غسل عموم الجسم بإيصال الماء إلى كل جزء
منه ، أي أنه يغسل الفم والأنف والبدن وداخل السرة
والثقب غير المنضم إذا كان في جسمه وداخل المصفور
من شعر الرجل وبشرة اللحية والشارب والحاجب
والفرج الخارج.

الثاني - ستر العورة : وهي للرجل من تحت السرة إلى
تحت الركبة، والمرأة كلها عورة إلا وجهها وكفيها
وقدميها .

الثالث - استقبال القبلة : ومن كان بعيداً عن الكعبة
فقبلته ما بين المشرق والمغرب لمن كان في بلاد الشام .
الرابع - دخول وقت الصلاة : فإذا صار وقت الصلاة
وجبت الصلاة.

الخامس - النية للصلاة ، ويأتي بها عند تكبيرة
الإحرام لأنها أول الصلاة لتكون النية مقارنة للعبادة
، فإن تقدمت قبل ذلك بزمن يسير فهو جائز عندهم

،فينوي بقلبه أو بلسانه:أصلي فرض الظهر (مثلاً)،وفي السنن:أصلي سنة الظهر القبلية،والمقتدي بالإمام يزيد نية الاقتداء لينال ثواب الجماعة .

السادس - التحريمه : وسميت بالتحريمه لأن المصلي يحُرَّم عليه ماكان حلالاً قبلها من مفسدات الصلاة كالأكل والشرب والكلام والحركة ،وقد جُعِل التكبير فاتحة الصلاة ليستحضر المصلي معناه الدال على عظمة من تهيأ للقيام بين يديه حتى تتم له الهيبة والخشوع ،إذ لاروح للصلاة ولا كمال بدونهما .

وتكبيره الإحرام من خصوصيات هذه الأمة ،وأما الأمم السابقة فكانوا يدخلون الصلاة بالتسبيح والتهليل .ولفظ التكبير واجب عند الحنفية،ورفع اليدين بالتكبير حذاء أذنيه سنة ومعناه التبرئة من كل معبود سوى الله تعالى ،والعبد عندما يرفع يديه بالتكبير يعلق حبله بحبل الله المتين،أو يضع فيش العبودية ببريز باب الألوهية ويقول: **الله** ،أين بقيت البلاد ،أين ذهب العباد ،أين الدنيا، أين قوة العالم كله **الله** بالونات نفست جميعها .

ولم يقل الله الكبير بل قال الله أكبر :أي أن أي صورة تضعها في عقلك فالله أكبر .

ودعاء الثناء والتعوذ والبسملة :سنةمؤكدة ،إذا تركها لاشيء عليه،ويتلفظ بها سرّاً عند الحنفية ،والحكمة من التعوذ أن العبد قد ينجس لسانه بالكذب والغيبة والنميمة

،فأمر الله عبده بالتعوذ ليصير لسانه طاهراً فيقرأ بلسان طاهر كلاماً أنزل من رب طيب طاهر .

ثم ينزل يديه فيضع اليمنى على اليسرى تحت سترته عند الأحناف، وهيئات اليمين خمس كلها من السنة : وضع - أخذ - تحليق - اسبال - تكتف . وأما أركان الصلاة عند الحنفية فهي خمسة :

١ . القيام للقادر في الفرض (عند قراءة الفاتحة والسورة) .

٢ . قراءة القرآن ، ويجب (من الواجبات) أن يقرأ الفاتحة الشريفة وسورة قصيرة بعدها أو ثلاث آيات قصار ، والمتدبر للفاتحة الشريفة يرى من غزارة المعاني وجمالها وروعة تناسب آياتها ما يأخذ بالألباب ، ويضيء جوانب قلب الإنسان ، فهو يبتديء ذاكراً تالياً باسم الله الموصوف بالرحمة التي تظهر آثار رحمته متجددة في كل شيء مستشعراً أن أساس الصلة بينه وبين خالقه العظيمة هو هذه الرحمة التي وسعت كل شيء فإذا استشعر هذا المعنى ووقر في نفسه انطلق لسانه : الحمد لله رب العالمين ، رب كل العوالم ، وهذه التربية ليست عن رغبة ولا رهبة ولكن عن تفضل ورحمة فينطق لسانه ثانية الرحمن الرحيم .

ومن كمال هذا الإله العظيم أن يقرن الرحمة بالعدل ويذكر بالحساب بعد الفضل فهو مع رحمته السابقة المتجددة سيدين عباده ويحاسب خلقه يوم الدين .

لذلك لابد للعبد أن يبحث عن وسائل النجاة والإستعانة بالهداية إلى صراطه المستقيم فيلتجئ إلى خالقه ومولاه ويخاطبه: إياك نعبد وإياك نستعين.وعليك أن ترى كيف ترفع عبادتك وتأخذ بدلاً عنها قوة ورحمة ثم يسأله الهداية إلى صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم بمعرفة الحق واتباعه ، غير المغضوب عليهم وهم اليهود ولا الضالين وهم النصارى.ثم تختتم على هذا الدعاء بقولك : آمين علمها سيدنا جبريل للنبي الكريم ﷺ كل ذلك وأنت متقن للقراءة والتجويد وأحكام اللفظ والشدات وهي في الفاتحة مع البسملة أربع عشرة شدة .

٣. الركن الثالث :الركوع: وهو تعظيم مولانا ﷺ وتحية له، لأن الركوع في اللغة:التحية.كالإنسان يريد أن يقف بين يدي الملك،يمشي في سرادقات طويلة ويدخل أبواب كثيرة ،باب الطهارة، وسترة العورة، والذكر ، وقراءة القرآن،حتى يصل إلى الملك فيركع ويحييه ويعظمه،فيقول له الملك تكلم ،فيتكلم . هذا الإيتيكييت مأخوذ من مولانا ﷺ لذلك يحرم الركوع لغير الله تعالى ويكره إن لم يصل الانحناء إلى أقل الركوع ، وهو خلاف الأولى إن أحنى رأسه فقط ، فالركوع تعظيم للرب ﷻ ، لذلك ماذا نقول فيه ؟ نقول سبحان ربي العظيم ثلاثاً وهو قول نبيناﷺ:وأما الركوع فعظموا فيه الرب.

فالركوع تحية ،وقبل التحية مشاهدة ،فالمصلي عندما ينحني كما لو أن الله تعالى أمامه: « أن تعبد الله

كأنك تراه » ،الروح تعطي الصورة،أما العين فلا تؤمن إلا بالمحسوس ،اسألوا عقولكم من هو الله ؟ ...العقل ما رأى الله ماسمعه ما لمسّه ،اسألوا العقل عن الجن عن الملائكة عن النار عن الجنة ،لايعرف ،لأن العقل لا يؤمن بالغيب،بل القلب هو الذي يؤمن بالغيب ،مجرد ما تقول الله قلبك يقول لاإله إلا الله ،لذلك الإيمان بالغيب جزء لا يتجزأ من الدين الإسلامي ،قال تعالى { ألم - ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين - الذين يؤمنون بالغيب..... } .

ولما رفعت رأسك هو الذي قال لك : أسمعك إذا حمدتني ،فأنت تجيب: ربنا ولك الحمد ،عبدني ! سمع الله لمن حمده ،هذه كلمة الله إنما خرجت على لسانك لكي تسمعها أذنك ويتلفظ بجوابها لسانك،كان يمكن أن تقولها بقلبك فقط ،قال : لا ،يجب أن تشهد عليك الحواس أنك نفذت أمر الله تعالى .

الله يسمعك عندما تحمده :تشويق ،ترغيب ، وانظروا إلى هذه المكالمة بين العبد وربّه، مشاهدة وخطاب وتعظيم، مشاهدة: استشعار وجود الحضرة الإلهية معك (كأنك تراه) وخطاب : تكلم معك فأجبتّه.

فإذا سجدت :وهو الركن الرابع عند الحنفية تسجد على جبهتك وأما مالان من أنفك فهو واجب ،(زيادة عليها الأنف) فهو واجب .

لما سجدت رميت بكل شيء عندك على الأرض ،وانسلخت من قوتك إلى قوته (الله) ،جبينك ،أنفك ،

يديك ،رجليك، آلاتك كلها ألقيتها على الأرض وأنت تقول الله: لاحول لي، لا قوة لي إلا بحولك، إلا بقوتك أستعين بك ،أتوجه إليك، أعبدك، تركت كل شيء، بجسمي بقوتي بسلطاني، باسمي، بسمعتي، بعلمي، بمالي، بجاهي: أرميه على الأرض وأسجد بعشرتي.

أخاطبه فأقول: سبحان ربي الأعلى (ثلاثاً) ،سبحانك ما أعلاك وما أحقرني،سبحانك ما أقواك وما أضعفني ،سبحانك ما أعزك وما أذلني ،أنفك شرفك كله على الأرض وأنت ساجد وهنا منتهى الخضوع ،لذلك ورد في الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ،منتهى الخضوع (التلكس) بل (الفاكس) ،الصورة التي أراها ،أين أنا مقابل مولانا في علاه،رجعت إلى أصلي إلى التراب الذي خلقتني منه مولاي ،ترابك ارتمى فوق التراب وروحك عنده يحركها كيف يشاء ،وهنا المناجاة أعظم من الركوع والقيام^(١) .

الركن الخامس : القعود الأخير مقدار قراءة التشهد :أما قراءة التشهد فهو واجب في القعود الأخير .وبه تدخل على الله كما دخل من قبل سيدنا رسول الله ومشى على بحر النور فدخل على الله وسلم على الله ورد الله عليه السلام ، وأما لفظ السلام في الصلاة فهو واجب أيضاً.

(١) سنخّص بإذن الله تعالى في آخر الكتاب خطباً عن الخشوع في الصلاة .

والواجبات التي يتركها العبد عمداً توجب عليه أن يعيد الصلاة ، وأما إن كان ساهياً فيجبر بسجود السهو ، فإن لم يعدها أو لم يسجد للسهو سقطت الصلاة مع الكراهة التحريمية .

هذا هو بعض من فقه الطهارة والصلاة على المذهب الحنفي تنمة لترجمة الإمام الأعظم سيدنا أبي حنيفة النعمان رحمته الله .

وعلى الحنفية أن يحفظوه وينفذوه ويتمسكوا به ليكسبوا رضى الإمام عنهم ورضى سيدنا رسول الله ﷺ الذي يحبه جميع من هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة الفقه والفقهاء من مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك .

الإمام مالك ، أمير المؤمنين في الحديث

- ٥ -

الحمد لله الذي رفع منار العلم في كل عصر ومصر ، وأقام أهله ظاهرين على الحق مؤيدين بالفتح والنصر ، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره حمداً وشكراً يستنزل الرحمة ويكشف الغمة ويغيث الملهوف ويزيل الكرب .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزل على نبيه سورتى الفتح والنصر .

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وأمیرنا وقائدنا وقرۃ أعیننا سيدنا محمد عبده ورسوله وصفیه وخليله القائل :
« ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة - وفي رواية - ليس على ظهر الدنيا أعلم منه ، فتضرب الناس إليه أكباد الإبل » .

اللهم صل على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد صلاة وسلاماً لا يعتريهما عد ولا حد ولا حصر وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيأبىها الإخوة الكرام :

حديثنا اليوم عن مَلِكٍ ، ليس من ملوك الدنيا الفانية العريضة الذين يضعون في صالة الروليت ملايين الليرات وينفقونها في لحظة من الحرام ، والصومال يتضور جوعاً ، ليس عن هؤلاء الملوك أتكلم ولكنني أتكلم عن ملك الحديث النبوي الشريف ، وتاج الفقهاء في

عصره ، مَن مَلِك سيادة العلم كابراً عن كابر ، وتلقف الفضل من عظيم عن أعظم ، مَلِك لم يكن بينه في رواية الحديث وعلوها وبين المشرع الأعظم سيدنا رسول الله ﷺ إلا رجلاً ، تابعي وصحابي ، مَلِك لم يدع عالماً كبيراً ولا محدثاً أوفقيهاً إلا وجلس إليه وأصبح له من الشيوخ ما لم يكن لأحد من علماء عصره، حتى جمع ثروة ضخمة من إرث النبوة من الحديث الشريف قولاً وفعلاً وإقراراً جمع ثروة لم يجمع أحد مثلها ، لا ثروة من العقارات أو الضياع أو الأموال ولكن ثروة من إرث سيدنا رسول الله ﷺ .

العلم ميراث النبي كذا أتى

في النص، والعلماء هم ورثته

ما خلف المختار غير حديثه

فينا فذاك متاعه وأثاثه

جمع ثروة من هذا الإرث واجتهادات الصحابة والتابعين وفتواهم ، ثم جلس بعدها للناس يفتيهم مجتهداً إماماً عالماً .

والمجتهد - أيها الإخوة - « هو الذي يبذل أقصى جهده ليكون في فقهه واجتهاده موافقاً لما شرع الله ورسوله ، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد » .

مَلِك أقبل كبار المحدثين والفقهاء من بقاع الأرض المسلمة من كل فج عميق من مكة والمدينة ، من الغرب والشرق، من الأندلس ومصر، من الشام والعراق، أقبلوا

إليه ليجمعوا منه كتاباً من أجل كتب الحديث هو الموطأ الذي رواه عنه الإمام الشافعي رحمته الله ومحمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة رحمته الله والإمام أحمد رحمته الله رواه سماعاً ممن رواه له ، حتى أصبح مذهب عظيم امتد من إفريقية الشمالية إلى مصر إلى المغرب الأقصى ، وكان هذا المذهب يلقب باسم شيخه المذهب المالكي وكان الإمام لهذا المذهب يقول : «كلكم يؤخذ منه ويرد عليه إلا سيدنا رسول الله».

كان هذا أيها الإخوة هو الموجز ، وقبل أن أنقل إليكم الأنباء بالتفصيل أدعكم لتصلوا على صاحب الرسالة عليه السلام ، الذي قال : «يخرج ناس من الشرق والغرب في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة» ، وقد أجمع أهل العلم أن عالم المدينة الذي بشر به سيدنا المصطفى عليه السلام هو أمير المؤمنين في الحديث

سيدنا مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي

الذي قيل عنه : إنه إمام دار الهجرة وسيد فقهاء الحجاز قولوا عليه السلام.

ولد الإمام مالك رحمته الله في خلافة سليمان بن عبد الملك ، في السنة نفسها التي توفي فيها صحابي جليل هو سيدنا أنس بن مالك رحمته الله أعني سنة ثلاث وتسعين للهجرة ، وقيل خمس وتسعين.

أيها الإخوة الكرام :

إننا مع الصفحة الأولى ، فقد ولد هذا الإمام في مدينة سيدنا رسول الله ﷺ بعد أن حملت به أمه ثلاث سنوات ، وخرج من بطنها وأسنانه مكتملة.

وأمه هي العالية بنت شريك بن عبد الرحمن من قبيلة الأزد. وجده أبوعامر الأصبحي عربي حميري يعربي ، كان صاحبياً جليلاً تباركت عيناه برؤيا سيدنا رسول الله ﷺ وشهد معه الغزوات كلها إلا بدر .

ومالك جده الأول من كبار التابعين وعلمائهم ، وكان جده الأول هذا من جملة نفر الأربعة الذين حملوا سيدنا عثمان الشهيد رضي الله عنه حينما اغتيل ، حملوه في الليل ودفنوه في البقيع .

وعمه نافع من ثقة التابعين ، روى عنه الإمام مالك كثيراً رضي الله عنه.

وأخوه النضر وكان أشهر من الإمام مالك رضي الله عنه في أول عهده حتى كان يقال عن سيدنا مالك رضي الله عنه جاء أخوانضر ، فلما اشتهر الإمام مالك أصبح يقال جاء النضر أخومالك.

هذه هي البركة التليدة التي منحها الله لأسرة هذا الإمام ، هذه البيئة الطيبة المباركة التي أخرجت نباتها بإذن ربها ، وقد دفعته هذه البيئة الصالحة لأن يحفظ القرآن وهو بعد لم يشب عن الطوق وانتسب إلى العلم وهولا يزال بعد شاباً، يحدثنا عن نفسه فيقول: «كان لي

أخ في سن ابن شهاب^(١) فألقى أبي يوماً علينا مسألة فأصاب أخي وأخطأت ، فقال أبي: يا مالك ألهمتك الحمام عن طلب العلم. فغضبت وانقطعت أتعلم إلى ابن هرمز سبع سنوات، بقيت آتية صباحاً فلا أخرج من بيته إلى الليل .»

وهكذا أيها الإخوة بنفحة ربانية، وإشارة من أبيه بدأت الحياة العلمية لهذا الفتى العربي المسلم وصدق مولانا رحمته الله { وما توفيقي إلا بالله } فقد قيض الله لهذا الإمام فقيه عصره في المدينة، مفتي المدينة ربعة الرأي، قيضه الله له وهو بعد ما زال فتى في ميعة الصبا، فأخذ عليه الفقه وآلات الاجتهاد ، وكان شيخه ربعة معجباً بعقله المتزن وبصيرته في مسائل الفقه، وكان إذا رآه يقول جاء العاقل .

وصدق سيدنا رسول الله ﷺ « من أخلص العبادة لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »، أو كما قال .

فقد انقطع سيدنا مالك رحمته الله إلى العلم والحديث وانعزل عن الناس حتى ما يراه أحد ، شكت ذلك أخته إلى أبيها فقالت: « هذا أخي لا يأوي إلى الناس »، فكان أبوه يقول لها : « يا بنية إنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ » .

(١) المحدث العظيم ، وهو شيخ الإمام مالك

وما زال ينقطع إلى العلماء والفقهاء والمحدثين
حتى أصبح لديه علم أكابر الصحابة : سيدنا أمير المؤمنين عمر

وولده عبد الله وأم المؤمنين السيدة عائشة وابن عباس وأبي هريرة وجابر .

كما ورث علم سيد التابعين سيدنا سعيد بن المسيب . وعلم
فقهاء المدينة السبعة وتلامذتهم وخاصة الإمام المحدث
محمد بن مسلم بن شهاب الزهري القرشي والإمام نافع
مولى ابن عمر وعبد الرحمن بن هرمز وربيعة الرأي
مفتي المدينة وهو أساس الفقه الذي جمعه الإمام مالك رحمه الله
(أنا أعدد الأسماء لأنه بذكر الصالحين تنزل الرحمة ،
يا رب إن كنت قبلت هؤلاء فاقبلنا يا مولانا)، وما زال
يَدْرُسُ وَيَتَعَلَّمُ وَيَتَّبِعُ الشيوخ والعلماء حتى أصبح عدد
مشايخه تسعمئة شيخ ثلاثمئة من التابعين وستمئة من
تابعي التابعين (فقولوا رضي الله عنهم) .

أيها الإخوة الكرام :

هذه الأسماء اللامعة في سماء الإسلام ورث علمها
هذا الإمام العَلم من تابعي التابعين بل غدا عَلماً طبقة
تابعي التابعين .

ومن هم تابعو التابعين ؟.. إنهم الطبقة التي علّق
الحبيب الأعظم على صدورهم وساماً دام فخره أبد
الدهر، اسمع إلى حبيبك رسول الله ﷺ يقول : « خير

القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ،
فالقرن الأول أصحابه والتابعون والقرن الثاني تابعو
التابعين ومن بعدهم من الطبقة الرابعة والقرن الثالث
الطبقة الخامسة والسادسة وسيدنا الإمام مالك ولد في
القرن الأول الهجري سنة ثلاث وتسعين للهجرة وكان قد
مضى على وفاة الحبيب الأعظم ﷺ قرابة ثلاث وثمانين
سنة .

ثم يأتي أحدهم ويقول: لا نريد فقه الإمام مالك ، دعونا
مع النبي فقط هذه كلمة حق أريد بها باطل ، وهل علم
هؤلاء إلا علم رسول الله ﷺ ؟

ليسمع الفتيان كيف كانت نشأة هذا الفتى المسلم
،ليسمعوا ويقلدوا ليفلحوا، كانت نشأته إسلامية فذة ،
جمع علوم أشياخه وتعلم منهم وحفظ آراءهم ونقل آثارهم
وعرف مذاهبهم وأحكم قواعدهم ، كان عاقلاً حافظاً
ضابطاً للحديث متقناً للسنة المطهرة ﷺ وتصدر
للتدريس والتعليم والفتيا في وقت مبكر، وكان عمره
حين جلس يدرس الناس عشرين سنة وكان ومشايخه
مايزالون على قيد الحياة، وظهر فضله وعلمه يوم جيء
إلى الوالي بسارق (اسمعوا هذا المشهد لتشهدوا سمو
هذا الإمام في سن مبكرة من حياته)جيء بسارق وحضر
العلماء وحكموا عليه بقطع يده، والإمام مالك جالس
ساكت لا يتكلم، وهو مازال بعد في شبابه وشهامته
ورجولته قالوا له: تكلم يا مالك. فقال الإمام : لا قطع
عليه .

فاستعظم أشيأخه هذه الفتوى وقالوا : وكيف ذلك ؟ .
قال لهم : هل يجب القطع إلا في ربع دينار فصاعداً ،
فأما أن يسرق من هذا درهماً ومن هذا درهماً فهذا لا
قطع عليه (فهولم يسرق ربع دينار من شخص واحد
ولكنه سرق من أكثر من شخص ما مجموعه ربع دينار
فأكثر ومن كل شخص منهم سرق ما يقل عن ربع دينار)
هذه القاعدة التي سمت بالإمام مالك إلى علياء عصره
وحبته احتراماً وتبجيلاً فانصرف العلماء وهم يُكَبِّرُونَ
هذا الفتى المسلم، وكانت هذه هي البداية .

ثم جيء إلى أمير المدينة بفتى أقر على نفسه بالقتل
عمداً وحضر العلماء وأفتوا بقتله إلا أن يعفو الأولياء ،
(أولياء القتل) والإمام مالك جالس ساكت، فسألوه فقال:
هو القتل حتى أنظر .

قالوا : وما تنتظر ؟ . فقال : هل حبستموه ؟ . قالوا:
نعم منذ كذا وكذا . فإذا عندما حبسوه وأقر بالقتل كان دون
سن البلوغ . فقال: لا قتل عليه لأنه كان حدث السن ولا يقام
الحد على ولد .

كانت هذه أولى تباشير تفتح عبقرية هذا الإمام إن جاز
لنا التعبير

أيها الإخوة الكرام :

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك ، إلى الروضة
المطهرة إلى حيث الحرم النبوي الشريف إلى حيث
يجلس الإمام مالك رحمته الله ، فقد بدأت حلقة الإمام تتسع
وتكبر يوماً إثر يوم، واتخذ مكاناً لها في المكان نفسه

الذي كان فيه فراش رسول الله ﷺ، بين القبر والمقام وهو المكان نفسه الذي كان يدرّس فيه سيدنا عمر وولده عبد الله ثم مولاه نافع ﷺ، حتى أصبحت حلقة بحجم حلقة شيخه ربيعة الرأي أو أكثر، وما جلس للفتوى وتدرّس الحديث والفقه حتى شهد له سبعون من علماء المدينة بالعلم وأذنوا له بالإفتاء، وكان من عاداته عندما يجلس في مجلسه العلمي ليدرّس ألا ينطق بشيء حتى يقول «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم»، يتبرأ من نفسه لأن العلم من لدن الله ﷻ، واتخذ مجلسين مجلساً عاماً للناس كلهم، ومجلساً خاصاً يجلس فيه فقهاء المدينة.

وكان مجلسه مجلس هيبة ووقار وإجلال، لا يستطيع أحد أن يتكلم فيه كلمة، كما لا يستطيع أحد أن يسأل إلا في حال من الأدب وخفض الصوت، ولقد بلغ من المكانة والسلطان والشهرة والعلم في عصره ما لم يبلغه أحد حتى قيل فيه «لا يُفتى ومالك في المدينة» وأصبحت مثلاً سائراً.

وترى العلماء يلتقون معه في موسم الحج في مكة يبحثون معه المسائل العلمية ﷺ وكان له شيء مميز، شيء ليس لأحد أبداً، أعظم شيء في رواية حديث سيدنا رسول الله ﷺ إنها سلسلة الذهب في الحديث إذ كان الناس يأتون إليه ليأخذوا هذا السند الحديثي، وقبل أن أذكر لكم هذه السلسلة الذهبية أريدكم أن تصلوا على الحبيب ﷺ لأن رأس هذه السلسلة هو الحبيب الأعظم ﷺ.

ويليه سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه .
ويليه عبده الذي أعتقه نافع مولى سيدنا عبد الله بن عمر
(وكان محدثاً رضي الله عنه) . ثم تنتهي هذه السلسلة بالإمام مالك رضي الله عنه
وتسمى هذه السلسلة بسلسلة الذهب الحديثية والتي هي
أعظم سلسلة في الحديث ، إذا روي الحديث عن مالك
عن نافع عن ابن عمر عن سيدنا رسول الله ﷺ
فهو أعظم شيء في الحديث النبوي .

ويكفي هذا الإمام فخراً أنه جمع في صدره من
حديث سيدنا النبي ﷺ مئة ألف حديث وكان الناس
يقبلون عليه من شرق البلاد وغربها ، يشدون إليه
رحالهم كما قال النبي ﷺ ويزدحمون على بابه حتى
يخرج الخادم فيقول : انتظروا! ليدخل أولاً أهل مدينة
رسول الله ثم أهل الشام ثم أهل العراق ثم بقية الناس .

ورغم ذلك كان الإمام يخشى من الفتيا إذا سُئِلَ ،
كان إذا سُئِلَ مسألة قال نعم أو لا ، ولا يقال له من أين
قلت هذا؟ فالذين يجلسون في مجالس العلم ويقولون
لشيخ المجلس: « ما دليلك » ليعلموا أن هذا قلة أدب،
خاصة إذا كان الشيخ ثقة وكان المجلس مجلس فقه أي
بدون أدلة فالدليل يُطلب عندما يكون المجلس مجلس أدلة
أو مجلس حديث أو مجلس قرآن ولا يُطلب في مجلس
الفقه وكان ﷺ يكره أن يستزيده إنسان، أي يقول له ماذا
بعد..؟ عزة للعلم ورفعة للعلماء ، وربما أجاب مرات
ومرات عندما يُسأل « لا أدري » ، ومرة جاءه رجل
فسأله مسألة فلم يجبه فقال له الرجل: جئتكَ من مسيرة

سنة أشهر ثم تقول لا أدري ! وأي شيء أقول لأهل
بلادي إذا رجعت إليهم؟.

فقال له الإمام مالك رحمته الله : « تقول لهم سألت مالكا
فقال لا أدري » - نصف العلم لا أدري - ، ليس عيباً أن
تقول لا أدري فهاهو إمام دار الهجرة يقول : لا أدري
ولذلك كان يقول رحمته الله « **جُنَّةُ الْعَالَمِ لَا أَدْرِي إِذَا أَغْفَلَهَا
أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ** » .

وسئل مرة فقال : لا أدري ، فقال له السائل : إنها
مسألة خفيفة سهلة ، فغضب الإمام وقال : « **مسألة خفيفة
سهلة ! ليس في العلم شيء خفيف** أما سمعت قول الله
عز وجل { إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً } » ، وكان يكره الجدل
والمراء ويقول : « **إن هذا يذهب بنور العلم من قلب
العبد ويقسي القلب ويورث الضغن** »

وقد اعتاد ألا يجيب عن مسألة رحمته الله حتى يكون قتلها
بحثاً وتديلاً وهو الذي يقول : « **ربما وردت عليّ مسألة
فتمنعني الطعام والشراب والنوم** » فإذا قضى في مسألة
أو أفتى بها قال « **إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا
في رأيي فما وافق السنة فخذوا به ، كل يؤخذ منه ويرد
عليه إلا صاحب هذا القبر** » ويعني سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
جاءه رجل يسأله عن الاستواء في قوله تعالى :
{ الرحمن على العرش استوى } قال ما الاستواء ؟ كيف
استوى ؟ ..

فاحمر وجه الإمام وأطرق وتصيب عرقاً ثم رفع
رأسه فقال : « **الكيف منه غير معقول ، والاستواء منه**

غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وما أظنك إلا صاحب بدعة احمלוه فارموه خارج المسجد » فحملوه وألقوه خارجاً .

وكان يقول ﷺ « من سبَّ أبا بكر جلد ومن سبَّ عائشة قُتل » ، لأن أبا بكر صاحب النبي ﷺ فسبه يعني إهانة لسيدنا رسول الله ﷺ بطريق غير مباشر ، وأما الذي يقول إن السيدة عائشة زنت فهو يخالف صريح القرآن فأنه برأها من الزنى ومن سبها واتهمها يكون منكراً لذلك .

وكان لا يقاطعه أحد ، دخل عليه مرة الخليفة هارون الرشيد وأجلسه معه على منصته التي يجلس عليها ليسمع الحديث ثم قال : « يا أمير المؤمنين ما أدركت أهل بلدنا إلا وهم يحبون أن يتواضعوا لله » فنزل هارون الرشيد عن المنصة وجلس بين يدي الإمام مالك ﷺ تواضعاً وانقياداً لقوله .
أيها الإخوة :

هذا العلم الواسع العريض كان يرافقه عبادة وتقوى وكثرة ركوع وسجود كان إذا وقف الإمام مالك ﷺ في صلاته كأنه خشبة يابسة لا تتحرك وهو يناجي مولانا جلالة ، وكانت أكثر عبادته في الليل ، تقول خادمتها : « إن لمالك اليوم أكثر من أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء » - لم يكن يسافر إلى باريس وغيرها في الصيف ثم يعود إلى بلده في الشتاء - فإذا كانت ليلة الجمعة أحيائها كلها ، وسُئلت أخته ما كان يشتغل في

بيته قالت : «المصحف بين يديه» ، وكان ﷺ إذا صلى
الصبح جلس في مجلسه لا يتكلم ولا يكلمه أحد حتى
تطلع الشمس.
أيها الإخوة :

كان أعظم عمل قام به الإمام مالك ﷺ في المدينة
تدوينه للحديث النبوي في كتاب عظيم تولى فيه الإمام
مالك القوي من حديث أهل الحجاز ، ووضع فيه أقوال
الصحابة ومن بعدهم ، رتبته على الكتب والأبواب فكان
في كتابه محدثاً فقيهاً مجتهداً، وقد عرض كتابه هذا على
سبعين من فقهاء المدينة وكلهم وافقوه عليه ، وبقي يتفكر
ماذا يسمى كتابه هذا ، فرأى الحبيب الأعظم ﷺ منامه
فقال له : « يا مالك وطئ هذا العلم للناس » أي اشرحه
لهم فسمى كتابه الموطأ ، وبقي يجمعه مدة أربعين سنة
حتى قال الإمام الشافعي فيه ﷺ : « ما في الأرض
كتاب بعد

كتاب الله أنفع من موطأ مالك» . ليسمع المنافقون !!
لذلك أراد بعض الخلفاء أن يحملوا الناس على أن
يتبعوا الموطأ لكن الإمام مالكاً نهاهم عن ذلك استحياء
من علماء الأمة الإسلامية وكان يقول : «إن هذا العلم
دين فانظروا عن تأخذون دينكم» ليسمع هذا الكلام
من ينادي بفقهاء العافية وفقه المرض وفقه المحنة ! نعوذ
بالله من علماء السوء
أيها الإخوة :

وأقبل الناس من كل جهة من بلدان الدنيا إلى المدينة ، لينالوا قسطاً من علم الإمام مالك فأصبح له تلامذة كثيرون لا يُحصون عدداً ، لكنني أشير إلى تلميذ واحد من تلامذته إنه قدوتنا إلى الله سيدي محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله الذي قبل أن يأتي الإمام مالكا من مكة إلى المدينة حفظ الموطأ كله عن ظهر قلب ثم قدم إلى الإمام مالك فدخل المسجد وطلب أن يكون تلميذه قال له الإمام مالك : ما اسمك ؟ . فقال : محمد - هنيئاً لمن سُمي محمداً اسمعوا الحديث بإسناد حسن : « من جاءه مولود فسماه محمداً محبةً بي كان هو ومولوده في الجنة » ، وكذلك يقول النبي ﷺ « ما ضر لو كان في بيت أحدكم محمد أو محمدان أو ثلاثة » - يأسد من صلى على الحبيب .

قال له الإمام مالك : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن وأي شأن . وتابع الإمام قوله : واطلب من يقرأ لك . فقال الإمام الشافعي رحمه الله : أنا أقرأ .

وراح الإمام الشافعي يقرأ من الموطأ ويقرأ ويقرأ ، وكلما قرأ أعجبت الإمام مالكا رحمه الله فصاحة هذا الفتى وبلاغته ، ثم راح يسأل الإمام مالكا أسئلة ، ثم سأله الإمام مالك وراح الشافعي يجيب عن أسئلته فقال له الإمام مالك رحمه الله : « أنت يجب أن تكون قاضياً » .

أيها الإخوة :

كان الإمام مالك طويلاً جسيماً أبيض البشرة أشقر حسن الصورة أصلع أزرق العينين عظيم اللحية

وعريضها يحب استعمال الطيب الجيد من المسك وغيره، يلبس أجود اللباس وأغلاه وأجمله ويقول : « إنه من مروءة العالم أن يختار الثوب الحسن يرتديه، ويظهر به وإنه لا ينبغي أن لا تراه العيون إلا بكامل اللباس حتى العمامة الجيدة » وكان من يرى الإمام مالك يشبهه بالملوك ، وكان له خاتم من فضة، فسه من حجر أسود نقشه: **حسبنا الله ونعم الوكيل بكتاب جليل .** أيها الإخوة الكرام :

عاش الإمام مالك قريباً من تسعين سنة ، يفتي الناس نحواً من ستين أوسبعين سنة وأكرمه الله تعالى إكراماً عظيماً وكان من كرامته أن بعض مشايخه جاءوا إليه يستفتونه في المسائل العلمية، وبقي ذكره يتردد في كل عصر ومصر، يقول سيدنا الإمام الشافعي رحمته الله : « إذا **ذكر العلماء فمالك النجم** » ويقول الإمام الأوزاعي ^(١) عندما ذكر أمامه الإمام مالك رحمته الله قال : « **عالم المدينة ومفتي الحرمين** » وقال فيه الإمام الذهبي : « **لم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ** »، وقال فيه سيدنا الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله : « **كان مالك سيداً من السادات في عقله وفي أدبه** ».

هذه هي الشهادات، هذه هي الأوسمة التي إن دلت على شيء فإنها لتدل على أنه ما من مسلم يعظم الله ورسوله في نفسه إلا رفعه الله وعظمه بين الناس .

(١) إمام أهل الشام .

أيها الإخوة الكرام :

ما زلنا هناك عند الحبيب الأعظم ﷺ ما زلنا هناك في الروضة المطهرة حيث يجلس الإمام مالك ﷺ وأنقل لكم هذا المشهد في تعظيم الإمام لسيدنا رسول الله ﷺ ها هو يمشي مشياً ولا يركب دابة في المدينة، ولو بُعد المزار، قالوا له يا إمام لم لا تركب ؟ فقال : « إني لأستحي أن أطأ بحافر الدابة تربة فيها نبي الله سيدنا محمد ﷺ »، والله إنه لأدب والله إنه لاحترام والله إنه لتعظيم .

بل اسمعوا معي كيف كان يعظم حديث رسول الله ﷺ ، كان إذا أراد أن يتحدث بالحديث أويحدث يقوم فيتوضأ، ويضع الطيب ويلبس ثيابه الفاخرة، ويضع عمامته، ويلبس عباءته، ويجلس إلى المنصة وعليه الخشوع وأمامه البخور ، ثم يأخذ في الحديث النبوي، فإذا سئل : لم تفعل ذلك يا إمام ؟ قال الإمام مالك ﷺ : « أحب أن أعظم حديث رسول الله ولا أحدث به إلا على طهارة »

وكان يقول : « إني لأذكر وما في وجهي طاقة من شعر : ما منا أحد يدخل المسجد النبوي إلا معتماً بعمامة إجلالاً لسيدنا رسول الله الذي سن العمامة » ، اسمعوا أكثر من ذلك .. يقول عبد الله بن المبارك ﷺ : كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا فجاءته عقرب في رجله فلدغته وتصبر وتغير لونه حتى انتهى مجلس الحديث وانفض الناس قال له سيدنا عبد الله : يا أبا عبد الله وكان للإمام مالك أربعة أولاد ثلاثة ذكور وبنت ،

وأبي بنت ! ما سمعت بمثل هذه البنت كانت تقف خلف الباب والدرس قائم في غرفة أبيها وطالب العلم يقرأ وربما ينشغل الإمام مالك فيخطئ الطالب فتدق البنت الباب من الخلف فينتبه الإمام مالك ويقول له : أخطأت يا فتى - قال سيدنا عبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الله قد رأيت اليوم منك عجباً.

فقال: نعم صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ .
رفع مرة الخليفة أبوجعفر المنصور صوته في مجلس الإمام وهو يحدث فقال له الإمام : « اخفض صوتك فإن الله تعالى يقول { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي } ، وهذا الحديث هو كلام سيدنا رسول الله ﷺ .

فمن رفع صوته أثناء تلاوة الحديث فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ ثم قال : « وَحُرْمَتُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا سواء » ، أي يجب عليك تعظيم النبي حياً كان أو ميّتاً ومن تعظيم النبي ﷺ الصلاة عليه كلما ذكر .

يارب صلّ على النبي محمد واجعله شافعنا بفضلك في غدٍ

فلقد عرفتك منعماً متفضلاً وإذا دعوتك فاستجب لي سيدي

أيها الإخوة الكرام :

ماذا تتوقعون المكافأة من مولانا ﷺ على تعظيم الإمام ﷺ للنبي ﷺ ولشعائر الله ، أتدرون كيف كافأ

مولانا رحمته الله الإمام مالكا رحمته الله يقول الإمام مالك : « ما نمت ليلة إلا ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
هذه هي جولة الحق مع الإمام مالك رحمته الله ، فهل كان على الإمام جولة للباطل ؟ .

إن المكانة التي ارتقى إليها الإمام جعلته لا يسلم من الحكام الظلمة فقد كان أبوجعفر المنصور قد أكره الناس على البيعة لابنه، وجعلهم يحلفون بالطلاق على ألا ينكثوا البيعة، فأفتى الإمام مالك رحمته الله أن هذا اليمين باطل واستدعي إمام دار الهجرة استدعي من قبل أمير المدينة وجلده بالسياط على أن يرجع عن هذه الفتيا فلم يرجع ، فحُمِلَ الإمام على ناقه وحُلِقَ له شعر رأسه ودار به زبانية الظلمة في سوق المدينة وهو على الناقة، ولكنه لم يتراجع وكان وهو في هذه الحالة ينادي ويقول : « ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس أقول طلاق المكره ليس بشيء ^(١) » وكان الزبانية يضربونه بالسياط وكان كلما ضُرب يقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » حتى في هذه متبع للسنة فقولوا رضي الله عنه .

كانت هذه المحنة الشديدة سبباً لاعتزاله في داره خمساً وعشرين سنة لا يخرج من بيته، وما زال مولانا رحمته الله يعلي من قدر سيدنا مالك رحمته الله بعد هذه المحنة حتى أصبح في رفعة لا يسمو عليها مقام لأنه أعز دين الله فأعزه مولانا رحمته الله .

(١) طلاق المكره باطل على ثلاثة من المذاهب إلا المذهب الحنفي .

ومرض الإمام مالك رحمه الله اثنين وعشرين يوماً وحين حضرته الوفاة سمعه أهل بيته يقول: « أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لله الأمر من قبل ومن بعد » فدخلوا عليه فإذا هو قد فارق الحياة إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وخرجت جنازة الإمام ، حضرها كل من علم بها وراح الناس يقولون : « مات الليلة أعلم أهل الأرض » وحدث ذلك سنة ١٧٩ هـ ، ورئي بعد وفاته في المنام وهو يطير بين السماء والأرض على البراق فسئل: يا إمام ما فعل الله بك .

فقال: قدمت على ربي عز وجل وكلمني مواجهة وبدون واسطة وقال : سلني أعطك وتمنّ عليّ أرضك . هذه هي الحياة تطوى صفحة بعد صفحة وصدق مولانا رحمته الله { كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام } .

أعود بكم من هناك إلى هنا ، هنا مدرسة فقهاء الأمة من مدرسة سيدنا محمد صلوات الله عليه الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك .

ولادة الإمام الشافعي رحمته الله

- ٦ -

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويمًا، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً، وجعلنا من أهله تعلمًا وتعليمًا، حمد من عمته رحمته وأفضاله، وغمرته أعطيته ونواله .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أستزيد بها وفور نعمه ، وأسترفد بها وفور كرمه .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي جمع بمبعثه شمل الحق بعد تفرقه، وقمع برسالته حزب الباطل بعد تطوقه، القائل : «يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» يقول الإمام أحمد رحمته الله : « فنظرت في سنة مئة فإذا عمر بن عبد العزيز ثم نظرت في رأس المئة الثانية فإذا هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن إدريس الشافعي » .

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين سلكوا سننه وصوابه وسلم تسليماً .

أما بعد فيأبئها الإخوة:

نحن اليوم مع إمام عظيم وصفه أصحابه فقالوا :
تسربل بالتقوى وليدًا وناشئًا وخص بلب الكهل مذ
هو يافع
فمن يك علم الشافعي إمامه فمرتعه في ساحة العلم
واسع

لئن فجعتنا الحادثات بشخصه وهن لما حكمن فيه
فواجع

فأحكامه فينا بدور زواهر و آثاره فينا نجوم
طوالع

إنه الإمام الشافعي رحمته الله الذي كان يقول: « للمروءة
أربعة أركان : حسن الخُلُق، والسخاء، والتواضع،
والشكر .

ولا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع : الديانة،
والأمانة والصيانة والرزانة .

خير الدنيا والآخرة في خمس خصال : غنى النفس،
وكف الأذى وكسب الحلال، ولباس التقوى، والثقة بالله
في كل حال.

إنك لاتقدر أن ترضي الناس كلهم فأصلح ما بينك
وبين الله ثم لاتبال بالناس .

من استغضب فلم يغضب فهو حمار ،ومن استرضي
ولم يرض فهو شيطان .

من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه
نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في
اللغة رقى طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن
لم يصن نفسه لم ينفعه علمه

تفقه قبل أن ترأس ، فإذا رأست فلا سبيل إلى
التفقه».

ثلاث هن مهلكة الأنام وداعية الصحيح إلى
السقام

دوام مدامة ، ودوام وطف
الطعام
عُفُوا تعف نساؤكم في المحرم وتجنبوا مالا يليق
بمسلم
إن الزنا دين فإن أقرضته كان الوفا من أهل
بيتك فاعلم
يا هاتكأحرم الرجال وقاطعاً سُبُل المودة عشت
غير مكرم
لو كنت حراً من سلالة ماجد ما كنت هتاكاً لحرمة
مسلم
من يزن يُزن به ولو بجداره إن كنت ياهذا
لبيباً فافهم
أيها الإخوة :

هذه الكلمات التي ملئت حكمةً ونوراً ، وتنطق من
معدن النبوة هي من كلمات سيدنا محمد ، ولأعني به
سيدنا رسول الله ﷺ بل أعني به ابن عمه سيدنا وقدوتنا
إلى الله تعالى محمد بن ادريس .

« محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد

بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد سيدنا رسول الله ﷺ » .

فهو ابن عم المصطفى ولم نجد له نظيراً من
قريش مجتهد
مُطَبَّقاً بعلمه الطباقا مطابقا للوارد
اتفاقا

مجدداً في عصره للملة وبعده أصحابه
الأجلة

وفي أجداده أربعة جدود من الصحابة الكرام : عبد
يزيد، وولده عبيد، وولده السائب، وولده شافع بن السائب
رضي الله عنه .

والمطلب بن عبد مناف هو عم عبد المطلب جد
سيدنا النبي ﷺ وهو الذي رباه ونسب إليه فقيل عبد
المطلب، وهاشم ولده توفي في غزة من أرض فلسطين
أثناء تجارة له في بلاد الشام، فالإمام الشافعي المطلبي
عربي قرشي رضي الله عنه .

وكانت أمه ذكية فطنة ومن العابدات القانتات ، حملت
به مدة أربع سنوات ، ورأت في نومها كأن كوكب
المشتري خرج من بطنها ثم ارتفع في الجو ، وسقطت
منه أجزاء أصاب كل جزء منها بلداً فأضاءه ، وحين
قامت من نومها سألت المعبرين عنها، فقالوا : بأنها
ستضع ولداً يملأ طباق الأرض علماً .
أيها الإخوة :

كانت الولادة المباركة في نهار الجمعة آخر يوم
من شهر رجب من

سنة ١٥٠ / هـ في مدينة غزة بفلسطين في السنة نفسها
التي توفي فيها الإمام الأعظم سيدنا أبو حنيفة النعمان
بن ثابت رضي الله عنه . فأى حق رُفِعَ وأي فخر وُضِعَ ، حملته في
بطنها أربع سنوات حتى وضعتَه وقد اكتملت أسنانه رضي الله عنه .

ثم ولما بلغ السنتين ﷺ أتت به أمه إلى مكة المكرمة، وأعظم ما في مكة المكرمة المسجد الحرام الذي يكاد يكون عند كل سارية فيه محدث أو فقيه، وفي وسط الحرم الكعبة المشرفة التي لا يفتر الطواف حولها في ليل أو نهار أبد الدهر .

وفي وسط هذا الازدحام العلمي في مكة راح الفتى المطلبى يتلقى العلوم على أسيادها من قريش فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنوات، وأولع بالشعر واللغة وبرع فيهما، وجالس العلماء، وحفظ الحديث وعلوم القرآن، كل ذلك وهو يحفظه عن ظهر قلب، وكان يقول بعد أن يحفظه :

علمي معي حيثما يَمَّمْتُ ينفعني
صدري وعاءٌ له لا بطنٌ

صندوق
إن كنتُ في البيت كان العلمُ معي
أو كنت في السوق كان العلمُ في
السوق

وهكذا بدأ يأخذ مكانه بين العلماء الأشراف ، وما له لا يفعل.....؟ وهو القرشي الأصل ، الشريف نسبه ، وابن عم رسول الله ﷺ وهل لمثله غير طريق العلم .
ولكن الفتى المطلبى في دراسته كان واقعاً وسط آفة الفقر، وقبض الله تعالى له معلمين لا يأخذون على تعليمه أجراً فهو الذي يقول عن نفسه: كنت يتيماً في حجر أُمي

ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم رضي مني
أن أخلفه إذا قام وكان يقول أيضاً: كان المعلم إذا أُملي
على الطلبة الآية أو الحديث وإلى أن يفرغ من الإملاء
عليهم أكون قد حفظت جميع ما أملاه المعلم
فقال لي: لا يحل أن آخذ منك شيئاً .

ولكنه وقع في ثمن الورق، فعمد إلى التقاط العظام
وأكتاف الجمال وغيرها وراح يدون عليها بعض
ما يسمعه من العلم، حتى كانت لأمه جرة ضخمة مملؤها
عظاماً مكتوباً عليها الحديث .

وقد آتاه الله تعالى قوة حفظ مدهشة، بل كان إذا فتح
كتاباً ليحفظ منه اجتهد أن يغطي بطرف كفه الصحيفة
اليسرى مخافة أن يقع نظره عليها فيحفظها قبل أن يحفظ
الصحيفة اليمنى . وقد حدّث هو عن سبب تلك القوة
الحافظة لديه فقال : « كنت نائماً فرأيت النبي ﷺ في
المنام فقال لي: من أنت يا غلام ؟ فقلت له : أنا من
رهطك يا رسول الله . فقال : أدن مني فدنوت منه فأخذ
من ريقه وأمرّ على لسان الشافعي وفمه وشفتيه وقال
:امض بارك الله فيك »

وكانت هذه الرؤيا مفتاح باب الفتوح على الإمام

الشافعي رحمته الله

أيها الإخوة :

أقبل سيدنا محمد الشافعي على علم الحديث وحفظ موطأ الإمام مالك قبل أن يذهب إليه، فهو الذي يقول ﷺ : « حفظت القرآن وأنا ابن سبع وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر » .

ثم خرج يطلب العربية من أعراب البادية وتعلم فنونها كالرمي والطب وركوب الخيل .
ولقيه يوماً شيخ الحرم المكي مسلم بن خالد الزنجي (وكان أشقر) فقال له من أين أنت يا فتى ؟ .
فقال له : من أهل مكة . قال أين منزلك ؟ . قال : بشعب الخيف . قال : من أي قبيلة أنت ؟ . قال : من عبد مناف .

فقال له : بخ بخ لقد شرفك الله في الدنيا و الآخرة، ألا جعلت فهمك في هذا الفقه فكان أحسن لك .
هذه الإشارة من فقيه الحرم كانت اللمحة الأولى النورانية وأما الموقف الذي دفعه إلى العلم فقد حدث معه حينما سألته بدوي : ما تقول في امرأة تحيض يوماً وتظهر يوماً ؟ . قال : ما أدري .

قال : يا ابن أخي الفريضة أولى بك من النافلة .
وهنا لزم الإمام الشافعي أستاذه شيخ الحرم المكي مسلم بن خالد حتى ما إن بلغ الخامسة عشرة من عمره إلا وقد أتم علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب

والشعر، فلما رأى أستاذه ذلك ونبوغه أجاز له وأذن له بالفتوى وبالتدريس وقال : **أفتِ فقد آن لك أن تفتي .**
وجُعِلَ له مكان في المسجد الحرام يجلس على كرسيه يعلم الناس العلم ويفتيهم في أمور دينهم، يقول تلميذه حرملة : **«رأيت الشافعي يُقريء الناس وهو ابن ثلاث عشرة سنة» .**

وكان رحمته الله يقول :
كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وعلم الفقه والدين
العلم ما كان فيه قال :حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين
أيها الإخوة :

كان سيدنا محمد الشافعي معتدل القامة، واضح الجبهة، رقيق البشرة لونه إلى السمرة، إذا قبض على لحيته لاتفضل عن قبضته، يقول الناظر إليه: ما رأيت أحسن وجهاً من الشافعي .

وكان يلبس الثياب الرقيقة من الكتان والقطن البغدادي ،وكان يتختم في يساره بخاتم منقوش عليه :
كفى بالله ثقة لمحمد بن ادريس ،وكان رحمته الله منذ صغر سنه يقسم الليل ثلاثة أقسام : ثلث للنوم، وثلث للعلم، وثلث للصلاة. وكان يختم القرآن في كل يوم مرة، وفي رمضان يختمه في كل يوم مرتين في الصلاة .
وكان صوته جميلاً في قراءة القرآن : يجيء إليه علماء مكة وهو في الثالثة عشرة من العمر يجمعون بعضهم

بعضاً ويقولون : «هيا بنا إلى ذلك الصبي المطلبى
ليسمعنا القرآن فيبيكينا » ، فإذا جاؤوه وسمعوه رأيتهم
يتساقطون بين يديه من كثرة البكاء ، ورأيت أعينهم
تفيض من الدمع طرباً واستحساناً وخشوعاً وخضوعاً ،
فإذا رأى ذلك سيدنا الشافعي أمسك عن القرآن شفقة
عليهم ورحمة بهم .

ومنذ صغره كان يقف في الليالي الحالكة يناجي
مولانا ﷺ وعيون الناس غافلة، يدعوه ويسأله بخشوع
وذلة يناديه ويقول : « اللهم أنت عياذي بك أعوذ ، وأنت
ملاذي بك ألوذ ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة ، وخضعت
له مقاليد الفراعنة ، أعوذ بجلالك وكرمك من خزيك ،
وكشف سترك ، ونسيان ذكرك ، والانصراف عن ذكرك ،
أنا في كنفك في ليلي ونهاري ، وظعني وأسفاري ، ذكرك
شعاري ، وثناؤك دثاري ، لا إله إلا أنت تنزيهاً لاسمك ،
وتكريماً لسبحات وجهك ، أجرني من خزيك ، ومن شر
عذابك ، وقتي سيئات مكرك ، واضرب عليّ سرادقات
حفظك ، وأدخلني في حفظ عنايتك ، برحمتك يا أرحم
الراحمين » .

أيها الإخوة الكرام :

برز سيدنا الشافعي فقيهاً نابغة مفسراً بارعاً خبيراً بالعربية وبدأت أنظار أشياخه تتحول نحوه بالاحترام والتقدير وهو بعد في مقتبل سن الشباب حتى كان إذا جلس في حلقة شيخه سفيان بن عيينة رحمته الله يحدث الحرم المكي وجاءه سؤال في التفسير أو الفتيا التفت إلى سيدنا الشافعي فقال: سلوا هذا الغلام .

أيها الإخوة :

استوعب سيدي محمد الشافعي معظم ما في مكة من علم ، فأخذ عن الزنجي شيخ الحرم ومفتي مكة ، وروى عن سفيان بن عيينة عَلم مكة ، ولكنه بقي ظامناً إلى العلم الشريف فقرر أن يرحل إلى المدينة المنورة ليأخذ العلم عن إمامها العلم سيدنا مالك بن أنس إمام دار الهجرة أول من جمع بين الحديث والفقه والاجتهاد رحمته الله ، ولكنه رأى قبل رحيله إليها أن يستعير من رجل بمكة كتاب الموطأ ، فأخذه وحفظه في تسع ليال .

ثم انطلق نحو مدينة رسول الله ﷺ سار ومعه وساطة إلى والي المدينة من والي مكة ، فدخلها وسلم على واليها وانطلقا معاً في هيبة ووقار إلى الإمام العَلم ، ودخلا عليه (وهو بعد في لم يجاوز الخامسة عشرة) ، اسمعوا الحديث يرويه لنا الإمام الشافعي بنفسه ..

قال :نظر إلي الإمام مالك ساعة ،وكانت له فراسة
فقال لي : مااسمك.؟. قلت :محمد . فقال لي :يامحمد اتق
الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن وأي شأن .
ثم قال :نعم وكرامة ،إذا كان غد تجيء ويجيء من
يقرأ لك .

قال :فقلت :أنا أقوم بالقراءة قال :فغدوت عليه
وابتدأت أقرأ الموطأ ظاهراً والكتاب بين يدي فكلما
تهيبت مالكاً وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي
وإعرابي ،فيقول:يافتى زد حتى قرأته (الموطأ) في أيام
يسيرة .

أيها الإخوة :

وأقام الإمام الشافعي في المدينة المنورة يجمع كل ما
عند الإمام مالك وشيوخ المدينة من حديث وفقه واجتهاد
حتى فاق كل من حوله في المدينة المنورة .

أيها الإخوة الكرام :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى الروضة
المطهرة، إلى ما بين المنبر ومقام سيدنا رسول الله ﷺ
حيث أنقل لكم على الموجة الإيمانية الفقهية هذا المشهد
الفريد الذي نال فيه سيدي الإمام محمد الشافعي رحمه الله
شهادة التقدير والفتوى والتي هي أعظم من جميع
الشهادات التي يحملها الناس اليوم لأنها عن شيخه الإمام

مالك بن أنس عن شيخه سيدنا نافع مولى ابن عمر عن سيدنا عبد الله بن عمر عن سيدنا رسول الله ﷺ وتذكرون أن هذه الشهادة العالية تسمى بسلسلة الذهب الحديثية فقد انضم لهذه السلسلة الذهبية سيدنا الإمام الشافعي رحمه الله. وهاهو يجلس في حلقة الدرس عند شيخه إمام دار الهجرة فيدخل عليه رجلان مختصمان فيقول أحدهما: باعني هذا الرجل عصفوراً وحلف عليه بالطلاق أنه لايتوقف عن الصياح فاشتريته منه، فلما أخذته إلى البيت رأيته يسكت في أوقات من الليل والنهار، فقال الإمام مالك رحمه الله: أحق ما قال ؟ فقال البائع :نعم . فقال الإمام مالك : ما أرى زوجتك إلا طلقت منك .

وخرج الرجلان من عند الإمام مالك ،فتبعهما سيدي الإمام الشافعي وهو فتى لم يتجاوز العشرين من عمره وقال للبائع :لم تطلق زوجتك، فأخذ الرجلان بيد سيدنا الإمام الشافعي إلى الإمام مالك وقال له: إن تلميذك هذا يقول :إن زوجتي لم تطلق مني .

فقال الإمام مالك :وكيف ذلك يا شافعي ؟.

فقال سيدنا الشافعي :أنت حدثتني عن فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ أنه أتته فاطمة بنت قيس فقالت :خطبني معاوية وأبو الجهم ،فمن أتزوج منهما ،فقال

النبي ﷺ : أما معاوية فصعلوك لامال له ، وأما أبو
الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه .

أفلا ينام أبو الجهم فيضع عصاه عن عاتقه ؟. وإنما
أراد رسول الله أنه يعمل في أغلب أوقاته ، وهذا
العصفور في غالب أوقاته لا يكف عن الصياح فهذا قياس
على هذا الحديث ولأجل ذلك قلت له أن زوجته لم تطلق

وهنا قال الإمام مالك لتلميذه النجيب وقد أعجبه هذا
القياس والاستنباط الفقهي لهذه المسألة قال له :
أفت يافتي قد آن لك أن تفتي .

أيها الإخوة :

فكيف بلغ سيدنا الشافعي الإمامة ، كيف جمع بين
مدرستين عظيمتين ، بين مدرسة الفقه في مكة والعراق
ومدرسة الحديث في المدينة ؟. كيف ساد أهل عصره .. ؟
أترك هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة
بإذن الله تعالى وأنتقل بكم من هناك إلى هنا .

هنا مدرسة الفقه والفقهاء من مدرسة سيدنا محمد ﷺ
الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية للحبيب وتحيتنا إليك
يارسول الله هي الصلاة والسلام عليك .

ﷺ

إمامة سيدنا محمد بن ادريس الشافعي

- ٧ -

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين ،وقدوة للعاملين،ليظهر ه على الدين كله ولو كره الكافرون .وجعله هادياً ورسولاً وبشيراً ونذيراً،وكتب السعادة لمن كان من أتباعه واتبع هديه إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله كان أسعد الناس به صحابته الكرام ثم التابعون لهم بإحسان ثم تابعو التابعين ثم الطبقة الرابعة طبقة تابعي تابعي التابعين التي كان في صدرها وعلى رأسها سيدي محمد بن ادريس الشافعي رحمته الله الذي قال عنه الحبيب الأعظم عليه السلام : «**لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً**» وقد اتفق أهل العلم بأن هذا العالم الذي يملأ الأرض علماً هو سيدنا الإمام الشافعي رحمته الله .

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وجميع المسلمين وسلم تسليماً.

أما بعد :

فنحن اليوم مع أحد أئمة الدنيا فضلاً وعلماً ودينياً، انتفع المسلمون بعلمه واجتهاده منذ اثني عشر قرناً ولا يزالون ،وعرفه أئمة الإسلام في زمانه فشهدوا أنهم

مارأوا له مثيلاً وما عرفوا في عصره وما بعده أعظم
منةً على الإسلام منه وشهد المحدثون بفضله عليهم
فلقبوه بناصر السنة وقالوا على لسان الإمام أحمد :
«لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث»

ولقد كنت علّقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية
وهو :

**كيف ساد الإمام الشافعي عصره بعد أن جمع بين
مدرستين عظيمتين من مدارس سيدنا محمد ﷺ ؟..**
وأستعين بمولانا رَحِمَهُ اللهُ فِي الإجابة عن هذا السؤال .
أيها الإخوة :

ساد القرن الأول الهجري مدرستان عظيمتان :
مدرسة الفقه والرأي وزعيمها سيدنا أبو حنيفة النعمان
ومدرسة الحديث الشريف وزعيمها سيدنا سفيان بن
عيينة في مكة و سيدنا الإمام مالك بن أنس في المدينة .
ولا شك أن سيدنا الإمام الشافعي أحاط بعلم الحجاز
كله فإنه رَحِمَهُ اللهُ بعد أن جمع فقه مكة عن مفتي مكة مسلم بن
خالد الزنّجي وحديث مكة عن سفيان بن عيينة وانتقل
بعدها إلى المدينة فأخذ عن علماء المدينة علم الدليل
وملأ نفس الشافعي علماً وثقةً وفهماً حتى وفاة الإمام
مالك رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٧٩ هـ ، ثم عاد إلى مكة يزور أشياخه
وأمه العابدة القانتة، فعرض عليه بعض القرشيين أن
يصحبه إلى اليمن لعله يجد له عملاً هناك، وراقت الفكرة
للإمام الشافعي فهو يحب التجوال ليجمع أكثر من فقه
الناس وعقولهم ، فذهب إلى اليمن فشهد عدله وأمانته أهل

اليمن حتى طارت شهرته إلى مكة وعلم شيخه سفيان بن عيينة بذلك فنهاه حين قدم عليه مكة من اليمن وقال له : «نحن نتبأ لك بشأن عظيم وأن تكون من أئمة المسلمين ثم تذهب إلى العمل في اليمن ؟» .

وهنا عاد الإمام الشافعي إلى اليمن - لعله ينهي عمله هناك - ولكنه وقع في محنة عظيمة ، محنة كانت ضريبة الشرف والدين وإقامة العدل وإزهاق الباطل ، فسعى به من لا يحب الحق وعلى رأسهم والي اليمن ، سعوا به إلى الخليفة هارون الرشيد يتهمة وجماعة بالخروج على الخليفة ، فأمر به الخليفة أن يساق مع المتهمين إلى دار الخلافة في بغداد .

وهنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل عظمة الإمام ، مرحلة سوف يجمع فيها فقه الأحناف إلى ما تعلمه من مكة والمدينة فكيف تم ذلك ؟..
أيها الإخوة.

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى العراق إلى بغداد مهد الخلافة العباسية :
الزمان : سنة ١٨٤ هـ .

الحدث : مجيء الإمام الشافعي حاضرة الخلافة كرهاً لا طوعاً ، وهو الآن في بغداد ينتظر دخوله على الخليفة ، وأثناء هذا الانتظار لم يضيع الإمام وقته بل اجتمع بتلميذ الإمام أبي حنيفة الأول وهو المحدث الفقيه محمد بن الحسن ، واطلع على كل جديد من مذهب الفقه

والرأي، وهذا الحدث الذي قام به الإمام حدث عجيب في حياته لشيين :

- الأول : ضم الشافعي علم العراق إلى علمه وتفتحت عبقريته وازدادت معارفه قبل أن يضع مذهبه في الفقه .

- الثاني : رغم أنه متهم بتهمة توجب القتل وأنه رهن الطلب فإنه راح يتزود من العلم حتى قال : « حملت عن محمد بن الحسن حمل بُختي وأنفقت عليها ستين ديناراً ووضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً » .

وأذن له بالدخول على الخليفة الراشدي العباسي سيدنا هارون الرشيد وفي الطريق إلى حجرة الحكم في القصر رأى مؤدب أولاد أمير المؤمنين فقال له الخادم : هذا مؤدب أولاد أمير المؤمنين فلو أوصيته بهم .

فأقبل عليه الإمام الشافعي فقال له (اسمعوا الأدب اسمعوا أغلى من الجواهر والذهب) : « ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تكرهه، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روه من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مَضَلَّة للفهم » .

أيها الإخوة الكرام :

مازلنا في دار الخلافة في بغداد وأنقل لكم على
الموجة الإيمانية هذا المشهد الفريد بعد أن تصلوا على
الحبيب ﷺ فقد أذن الخليفة الرشيد للإمام الشافعي رحمته الله
بالدخول عليه وأمامه مجموعة سيوف وأنواع من
العذاب وقال لخادمه الفضل : « يا فضل عليّ بهذا
الحجازي » فقال الخادم : إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب
هذا الرجل

واسمعوا القصة من خادم مولانا هارون الرشيد. فقد
خرج الفضل إلى الإمام الشافعي وقال له: « أجب أمير
المؤمنين » ، فقال الإمام : « حتى أصلي ركعتين » ،
فقال : « صلّ » ، فصلّى ثم ركب بغلة كانت له، فسرنا
معاً إلى دار الرشيد ، فلما دخلنا الدهليز الأول حرك
الشافعي شفتيه (اسمعوا: حرك الشافعي شفتيه) . فلما
وصلنا إلى حضرة الرشيد، قام إليه أمير المؤمنين
كالمرئب له، وأجلسه موضعه وقعد بين يديه يعتذر
إليه، وخاصةً أمير المؤمنين قيام ينظرون إلى ما أعد له
من أنواع العذاب ، فإذا هو جالس بين يديه ، فتحدثا طويلاً
وهو معجب بفصاحته وبلاغته وعلمه وسعة عقله فقال
سيدنا هارون الرشيد: صدق الله ورسوله ، قال رسول الله
ﷺ « **تَعَلَّمُوا مِنْ قَرِيشٍ وَلَا تَعْلَمُوا قَرِيشاً**
وَلَا تُؤْخَرُوا، مَا أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ أَعْلَمَ
مِنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَسَنِ » .

وسأله أن يوليه القضاء فامتنع الإمام. فقال له: سَلْ.

فقال : حاجتي أن أُعطي من سهم ذوي القربى
بمصر، وأخرج إليها.

ففعل به ذلك وكتب إلى أميرها وأذن له بالانصراف
وقال لخادمه يا فضل ، قلت لبيك يا أمير المؤمنين فقال
: احمل بين يديه بدرة، فحملت ، فلما صرنا إلى الدهليز
الأول لخروجه قلت : سألتك بالذي صير غضبه عليك
رضى إلا ما عرفتني ما قلت في وجه أمير المؤمنين حتى
رضي فقال لي : يا فضل . فقلت له : لبيك أيها السيد الفقيه
قال : خذ مني واحفظ عني : «شهد الله أنه لا إله إلا هو
والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز
الحكيم، اللهم إني أعوذ بنور قدسك، وببركة
طهارتك، وبعظمة جلالك، من كل عاهة وآفة وطارق الجن
والإنس، إلا طارقاً يطرقني بخير يا أرحم الراحمين، اللهم
بك ملاذي فيك ألوذ، وبك غياثي فيك أغوث، يا من ذلت له
رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة، اللهم ذكرك
شعاري، ودثاري ونومي وقراري، أشهد أن لا إله إلا أنت،
اضرب عليّ سرادقات حفظك وقتي رعي بخير منك يا
رحمن».

يقول الفضل خادم الخليفة الرشيد : فكتبتها وجعلتها
في صدر قباي وكان الرشيد شديد الغضب عليّ وكان
كلما هم أن يغضب أحركها في وجهه فيرضى. فهذا
مأدركت من بركة الشافعي رحمته الله.

أيها الإخوة :

بقي الإمام الشافعي في العراق مدة طويلة يجمع علوم أشياخها وينظرهم حتى قالوا فيه « لو كان أمعن في الحديث لاستغنت به أمة سيدنا محمد ﷺ عن غيره من العلماء » وقد أثر عنه ﷺ : « إذا صح الحديث فخذوا به ودعوا قولي » ويقول « ما ناظرت أحداً وأحببت أن يخطيء ».

وهكذا - أيها الإخوة - عاد الإمام الشافعي إلى مكة وقد نال علوم مكة والمدينة والعراق وقبض في أهلية وقدرة وعلم على ناصية الاجتهاد، فراح يملئ مذهبه على الناس في المسجد الحرام، فأصل الأصول، ووضع القواعد وأنت إليه الوفود من كل مكان يستمعون إلى طرائقه الجديدة في الأصول والكلديات حتتأخذ عقولهم، وشهد له بالتفوق والفهم والعقل أهل زمانه، ومن كبارهم الإمام أحمد بن حنبل تلميذ الإمام الشافعي ﷺ الذي كان لا يصلي صلاة إلا ويدعو للإمام الشافعي ﷺ فكان ابنه يقول له : يا أبت أي رجل كان الإمام الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟

فيقول الإمام أحمد ﷺ : « يا بني الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن فانظر هل لهما من خلف أو عوض ».

وكان يقول لأحد أصحابه : « تعال حتى أريك رجلاً لم ترَ عيناك مثله » فأخذه إلى تحت ميزاب الرحمة فجلس إليه ودارت المسائل والإمام الشافعي يصول

ويجول في العلم والحكمة كالأسد الهصور حتى قام الناس من حلقتة وهم يقولون : « الشافعي إمام، الشافعي معه نصف عقل أهل الدنيا ».

وأصبحت حلقة الإمام الشافعي في المسجد الحرام يشار لها بالبنان، قال أحد العلماء: وقفت بمكة على حلقة عظيمة وفيها رجل فسألت عنه فقيل: هذا محمد بن ادريس الشافعي فسمعتة يقول: سلوني عما شئتم أخبركم بأية من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقول صحابي. فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جريء، ثم قلت له: ماتقول في المحرم يقتل الزنبور فقال: « قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر رضي الله عنه أمر المحرم بقتل الزنبور ».

هذه هي طريقة الإمام الشافعي في الإجابة عن أسئلة الدين والفقه، فقولوا رضي الله عنه.

وكان يقول: العلم علمان: علم الدين وهو الفقه وعلم الدنيا وهو الطب وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعيب.

وكان يكثر من الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ و يحض على ذلك أصحابه وحضوره فيقول: « أحب أن تكثروا الصلاة على رسول الله ﷺ » وكان يرى أن الدعاء

لله لا يتم إلا بالصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ ولذلك
أوجب وفرض الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ في
التشهد الأخير من كل صلاة ، وكان أشد الناس تعظيماً
للنبي ﷺ فهو يكره أن يقول الرجل : قال الرسول ، لكن
يقول : قال رسول الله ﷺ تعظيماً له .

وقد نصَّ الشافعية رحمهم الله بأنه يستحب عند ذكر اسم
سيدنا النبي أن يقول العبد قبله سيدنا فيقول العبد أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، وأما
حديث لا تسودوني في الصلاة فباطل وموضوع اتفاقاً
بين علماء الحديث ، وعند الشافعية قاعدة علينا أن
نحفظها جيداً وهي : **الأدب خير من الامتثال** ، والأدب
هنا أن نقول سيدنا محمداً .

وما أدراك ما هنا هنا مدرسة فقهاء الأمة من مدرسة
سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أنه يؤدي التحية إلى
الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي
الصلاة والسلام عليك



وفاة الإمام الشافعي

- ٨ -

الحمد لله البر الجواد، الذي جلت نعمه عن الإحصاء بالأعداد، المان باللفظ والإرشاد، والهادي إلى سبيل الرشاد، الموفق للتفقه في الدين من لطف به واختاره من العباد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الغفار .

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً، عبده ورسوله المصطفى المختار القائل « يبعث على رأس كل مئة سنة لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها » ، يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله فنظرت على رأس المئة الأولى فرأيت سيدنا عمر بن عبد العزيز ثم نظرت على رأس المئة الثانية فرأيت رجلاً من آل رسول الله هو سيدنا محمد بن ادريس الشافعي

اللهم صلّ على سيدنا محمد بعدد من صلى عليه، وصلّ على سيدنا محمد بعدد من لم يصلّ عليه، وصلّ على سيدنا محمد كما أمرت بالصلاة عليه، وصلّ على سيدنا محمد كما تحب أن يُصلى عليه، وصلّ على سيدنا محمد كما ينبغي الصلاة عليه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإن هذا الصلوات ليست من إعدادي بل صاغها وأعدّها سيدنا الإمام الشافعي رحمه الله كان يصلي على سيدنا النبي بهذه الصيغة، وهذه الصلاة دليل محبته له، كيف لا وهو من آل بيت رسول الله ﷺ وآل البيت أدري بعظمة سيدهم ﷺ هذه العظمة التي ملأت صدر الإمام الشافعي فحملته على طلب العلم وجعلته إماماً من أئمة الهدى والمذاهب المقتدى بها إلى يوم القيامة .
أيها الإخوة الكرام .

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك حيث الإمام الشافعي رحمه الله في رحلته الثانية إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ .

الحدث: رحلة الإمام التي لم تتجاوز السنتين:

المكان: بغداد:

الهدف: نصر السنة وتدعيم أهلها والفتح المبين الذي فتحه الله على الإمام في أصول مذهبه والاستنباط من القرآن والسنة والإجماع والقياس وإحكام أحكام الشريعة.

ها هو في الجامع الغربي في بغداد يأتي كل يوم بجديد في فهم كلام الله تعالى وفقه حديث رسول الله ﷺ حتى أخضع الأعناق لفضله وحمل العلماء على الإقرار بعلمه، وظهر أمره بين الناس وانفضت إليه المجالس والحلقات التي كانت في الجامع الغربي .
يقول أحد فقهاء المذهب الحنبلي : قدم الشافعي بغداد وفي الجامع الغربي عشرون حلقة لأصحاب الرأي

(السادة الأحناف) فلما كان يوم الجمعة لم يثبت منها إلا ثلاث حلق أو أربع . وكان من أهم تلامذته : الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وكان أحياناً يزوره ويبيت عنده ، وقد أرادت ابنة الإمام أحمد أن تراقب هذا الإمام الذي يهيم والدها به فرأته ليلة وقد أكل كثيراً ثم بعد أن رُفع الطعام استلقى الإمام وراح والدها يصلي من الليل فلما قارب الفجر قام الإمام يصلي بدون وضوء . فطرقت الباب على أبيها ووجهت إليه ثلاثة أسئلة ، فدخل الإمام أحمد إلى الإمام الشافعي وقال له : إن ابنتي تستفسر عن هذه الليلة وتقول : إنك أكلت كثيراً ، وأنتك نمت ثم قمت لتصلي بدون وضوء فكيف ذلك ؟ فقال الإمام الشافعي : «أولاً - أنا أكلت كثيراً لأنني أعلم أن طعامك حلال . ثانياً - أنا لم أتم ، فقد استلقيت أتفكر في حديث النبي ﷺ (يا أبا عمير ما فعل النغير) وقد استخرجت منه سبعين حكماً ففقيها ثالثاً - لما لم أتم فقد بقيت متوضئاً فقامت فصليت مباشرة » .

فقال الإمام أحمد لابنته : إن ما فعله الشافعي في هذه الليلة أعظم مما فعله أبوك طوال الليل . وألف الإمام كتباً عدة أهمها رسالة في الأصول ، وكتاباً في الفقه يدعى الحجة (أو الزعفران) في أربعين مجلداً وضع فيهما مذهبه وجمع فيه بين طريقة المحدثين وبين طريقة الفقهاء .

وكان الإمام فيما بين سنة ١٩٥ - ١٩٩ هـ يقوم بالتردد بين مكة وبغداد يتعاهد مذهبه الشافعي ، إلا أن مولانا رحمته الله

هياً له زيارة إلى مصر بصحبة واليها الجديد أواخر سنة ١٩٩ هـ فخرج من بغداد مُودَّعاً من قبل علماء بغداد بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم، وقال الإمام لمن حوله وقد رأى الإمام أحمد بن حنبل فقال : «خرجت من بغداد وما خَلَّفْتُ فيها أحداً أوره ولا أتقى ولا أفضه ولا أعلم من أحمد بن حنبل».

ووصل الإمام الشافعي مصر فنزل على أخواله من الأزد وجاء إليه شيخ المالكية عبد الله بن عبد الحكم واستضافه عنده، وقال للإمام إذا أردت أن تسكن البلد - مصر - فليكن لك قوت سنة ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال له الإمام الشافعي : من لم تعزه التقوى فلا عزَّ له ، ولقد ولدت بغزة وربيت في الحجاز وما عندنا قوت ليلة وما بتنا جِيعاً قط « أي لم ينسنا الله من فضله وكرمه، وكان ﷺ ينشد :

إذا أصبحت عندي قوت يومي فخلّ الهَم عني يا سعيد

ولا تخطر هموم غد ببالي فإن غداً له رزق جديد

أُسَلِّمُ إن أراد الله أمراً وأترك ما أريد لما يريد

أيها الإخوة :

كان المذهب المالكي في مصر هو السائد والأقوى بين المذاهب فما هي إلا سنة واحدة حتى وقف المذهب

الشافعي كأقوى مايكون وعدّل الإمام الشافعي بعض أقواله التي قالها في مذهبه القديم في العراق وابتكر أبواباً جديدة في الفقه، وكان يقول : «استخرت الله تعالى في تدوين المذهب سنة» . وأقبل عليه الناس في جامع عمرو بن العاص فاستمعوا إليه وأحبوه وما زال ينشر أصول مذهبه وآراءه ويستنبط الأحكام ويؤيدها بالأدلة حتى تحول الناس إلى مذهبه، وألف كتاباً سمّاه الأم في ستة مجلدات ضخام وقال فيه شيخ المالكية في مصر: « ما رأيت رجلاً مثل الشافعي وما رأيت رجلاً أحسن استنباطاً منه » وقال لابنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: «يابني الزم هذا الرجل فما رأيت أبصر منه بأصول الفقه» .

أيها الإخوة :

اسمحوا لي أن أستعرض معكم جدول الأعمال اليومي الذي كان الإمام العلم قد التزمه في حياته اليومية

فإن الإمام الشافعي كان يصلي الفجر في المسجد ثم ينصرف إلى مجلسه فيه ويختلف إليه التلاميذ من كل صف وتعتقد بهم الحلقة من حوله يبدؤه أهل القرآن ، فإذا طلعت الشمس جاء أهل الحديث، فإذا ارتفعت الشمس جاء أهل العربية فإذا انتصف النهار انصرف لبيته .

يقول تلميذه الربيع : « كان أصحاب مالك يفخرون فيقولون، إنه يحضر مجلس مالك نحو من ستين معمماً، والله لقد عدت في مجلس الشافعي ثلاثمائة معمم سوى ماشدّ عني» .

يقول تلميذه المُزني: كنّا يوماً عند الشافعي إذ جاء شيخ وعليه ثياب صوف، وفي يده عكازة، فقام الشافعي وسوّى عليه ثيابه، وسلّم الشيخ وجلس، وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبة له، فسأل الشيخ الإمام الشافعي: ما الحجة في دين الله؟

قال الإمام: كتاب الله. قال: وماذا؟ قال الإمام: سنة رسول الله ﷺ. قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة. قال: من أين قلت اتفاق الأمة؟

فتدبر الشافعي ساعة، فقال الشيخ: قد أجَلْتُكَ ثلاثاً، فإن جئنتني بحجة من كتاب الله وإلا تب إلى الله تعالى فتغير لون الشافعي، ثم ذهب فلم يخرج من بيته إلى اليوم الثالث بين الظهر والعصر، وقد انتفخ وجهه ويدها ورجلاه وهو مريض فجلس، فما هو إلا أن أسرع إليه الشيخ فقال: حاجتي؟

فقال الإمام الشافعي نعم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

« ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً »

ثم قال: فلا يُصَلِّه جهنم على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض. فقال الشيخ: صدقت. وقام فذهب. فقال الإمام الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى جمعني الله تعالى بهذه الآية

أيها الإخوة :

اجتمع للإمام الشافعي تلامذة كثيرون لايحصون فإنه لا يكاد يوجد في مصر مكان لم يدخله علم الشافعي، ولكن نذكر منهم أربعة: الأول خليفة الإمام الشافعي أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي الذي يقول : قد رأيت الناس، والله ما رأيت أحداً يشبه الشافعي ولا يقاربه في صنف من العلم، والله إن الشافعي كان عندي أروع من كل من ينتسب إلى الورع .

والثاني :المزني أبو إبراهيم اسماعيل بن يحيى وهو ناصر المذهب الشافعي، قال فيه الشافعي : لو ناظره الشيطان لغلبه .

الثالث :الربيع بن سليمان المرادي المؤذن وهو راوية كتب الشافعي وقد حط يوماً على بابه تسعمئة راحلة كلهم حريص على سماع كتب الشافعي من الربيع .

الرابع : محمد بن عبد الله بن عبد الحكم .ترك المذهب الشافعي بعد وفاة الإمام وعاد إلى مذهبه المالكي .

أيها الإخوة :

مرض الإمام الشافعي بمرض البواسير حين قدم مصر ولمدة أربع سنوات ،ومع ذلك بقي يواصل الدروس والأبحاث والمناظرات والمطالعات في الليل والنهار وكان هذا الدأب والنشاط في العلم والبحث هو الدواء الوحيد للإمام الشافعي رحمته الله .

يقول تلميذه الربيع : « أقام الشافعي ههنا أربع سنوات فأملئ ألفاً وخمسمئة ورقة ، وخرّج كتاب الأم ألفي ورقة وكتاب السنن وأشياء أخرى في مدة أربع سنين ، وكان عليلاً شديد العلة ، وربما خرج الدم وهو راكب حتى تمتليء سراويله وخفه من البواسير » .

أيها الإخوة الكرام :

اسمحوا لي أنتقل بكم إلى هناك إلى فسطاط مصر حيث الإمام الشافعي يودع الناس وينتظر انتهاء الأجل ، فقد ألحّ المرض على الشافعي وأذابه السقم ، ودخل عليه تلامذته الأربعة يعودونه ويزورونه عام ٢٠٤ هـ فرأوا حوله ولديه - وكان له ولدان وبنت كل واحد منهما اسمه محمد ، وكل واحد منهما كان قاضياً ، وتزوجت ابنته زينب من ابن عم لها فأعقبت ولداً اسمه أحمد عُرف بابن بنت الشافعي قال عنه الإمام النووي : « كان إماماً مُبَرِّزاً لم يكن في آل الشافعي بعد الشافعي مثله ، سرت إليه بركة جده » - فرأوا رسالة من الخليفة المأمون إلى والي مصر يدعو الإمام الشافعي للقضاء فقال الشافعي : « اللهم إن كان خيراً لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فأمضه وإلا فاقبضني إليك » . وهنا سأل المزني شيخه فقال له : كيف أصبحت ؟ فقال الإمام الشافعي أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخوان مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله جلّ ذكره وارداً ، لا والله

مأدري روعي تصير إلى الجنة فأهنئها أو إلى النار
فأعزيها ، ثم بكى وأنشأ يقول :
ولما قسا قلبي وضافت مذهبني جعلت الرجا مني
لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان
عفوك أعظما
وما زلت ذا عفٍ عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منه
وتكرما

ونظر الإمام إلى تلامذته الأربعة فقال : أما أنت يا
أبا أيوب فستموت في حديد لك ، وأما أنت يامزني
فسيكون لك بمصر هنات وهنات ولتدركن زماناً تكون
فيه أقيس أهل زمانك ، وأما أنت يامحمد فسترجع إلى
مذهب أبيك ، وأما أنت يارببيع فأنت أنفعهم لي في نشر
الكتب ، قم ياأبا يعقوب فتسلم الحلقة .
يقول الراوي ياسادة ياكرام : فكان كما قال الإمام
الشافعي رحمته الله .

أيها الإخوة :

قُبض الإمام الشافعي رحمته الله في ليلة الجمعة بعد العشاء
الآخرة آخر يوم من رجب سنة أربع ومئتين عن أربع
 وخمسين سنة وحُمِل على الأعناق من بيته في فسطاط
مصر حتى مقبرة بني زهرة ولم يزل قبره يُزار ويُتبرك
به .

أَكْرَمَ به رجلاً مامثله رجل
مشارك لرسول
الله في نسبه

اضحى بمصر دفيناً في مقطمها
والمدفون في تربه

يقول الأصبهاني : رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت :
يا رسول الله ! محمد بن ادريس الشافعي ابن عمك هل
نفعته بشيء أو خصصته بشيء فقال : نعم سألت الله
تعالى ألا يحاسبه.

فقلت : بماذا يا رسول الله ؟
قال : إنه كان يصلي علي صلاة لم يصل علي بمثل تلك
الصلاة أحد.

فقلت وما تلك الصلاة يا رسول الله ؟
قال : كان يصلي علي فيقول : اللهم صل على محمد
كلما ذكره الذاكرون ، وصل على محمد كلما غفل عن
ذكره الغافلون .

هنا مدرسة الفقه الإسلامي من مدرسة سيدنا محمد
ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية للحبيب الأعظم
وتحيتنا إليك ياسيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام
عليك .



فقه الطهارة والصلاة على المذهب الشافعي

- ٩ -

الحمد لله الذي جعل الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً، فمن جردها أو تركها كان بصفة الكافرين منعوتاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل {وأقم الصلاة لذكري}.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: « مامن مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته فيعلم مايقول إلا انفتل (خرج) نقياً وهو كيوم ولدته أمه » (م).

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .
أما بعد :

فيقول سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم : « مامنكم رجل يقرب وضوءه فيمضمض ويستنشق فيستنثر إلا خرت خطايا وجهه من فيه وخياشيمه ، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله تعالى إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء ، فإن هو قام وصلى فحمد الله تعالى وأثنى عليه ومجّده بالذي هو

أهله وفرّغ قلبه لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه» .

أيها الإخوة الكرام :

هذا هو البرنامج اليومي لطهارة المسلم عليه أن يكرره خمس مرات يومياً كي يلقي الله تعالى نقياً تقياً، والله ﷻ يقول : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»

ونحن اليوم على موعد مع هذا الحب الإلهي إننا مع الحلقة التاسعة من ملف سيرة الفقه والفقهاء ، نحن على موعد في درس الطهارة والصلاة على مذهب إمامنا سيدي محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله .

ومقاصد الطهارة عند الشافعية رحمه الله أربعة :الوضوء والغسل والتيمم وإزالة النجاسة .

ووسائلها (أي آلاتها) أربعة أيضاً : الماء والتراب والدابغ وحجر الاستنجاء .

وسأقتصر اليوم إن شاء مولانا ﷻ على الحديث عن الوضوء والغسل من الجنابة والحيض والنفاس وعن الصلاة .

وشروط الوضوء ستة :

الأول : الإسلام فلا يصح وضوء كافر ولا مرتد حتى يسلم من جديد

الثاني التمييز : فلا يصح وضوء مجنون .

الثالث : الماء الطهور ،أي الماء الطاهر المطهر فلا يصح الوضوء بغير ماء ولا بماء غير طهور بأن كان متنجساً أو مستعملاً أو متغيراً ولأجل ذلك شرع في

الوضوء غسل اليدين والمضمضة والاستنشاق: لأن العبد إذا غسل يديه عرف هل الماء متغير لونه أم لا، وإذا أجرى المضمضة ذاق طعم الماء أنه غير متغير، وإذا استنشق عرف هل رائحته متغيرة أم لا .

الرابع : عدم الحائل، فلا يصح الوضوء مع وجود حائل يمنع وصول الماء إلى الأعضاء كشمع وقشرة، ومن الحائل وسخ تحت الظفر فتجب إزالته لمنعه وصول الماء لما تحته لكنه يعفى عن القليل في حق من ابتلي به كالذين يشتغلون بالطين .

الخامس : عدم المنافي كحيض ونفاس ولمس امرأة ومس فرج وخروج بول من غير سلس لأنها جميعاً مبطلات للوضوء .

السادس : معرفة كيفية الوضوء وفرائضه وسننه، نعم العامي يكفي أن يعرف أن كل أفعال الوضوء فرض .

أما دائم الحدث أو الذي معه سلس فيشترط في حقه : دخول الوقت، تقدم الاستنجاء والتحفظ بالحشو أو العصب، والموالاة بين الاستنجاء والتحفظ، وبين التحفظ والوضوء، وبين أفعال الوضوء بعضها مع بعض، وبينه وبين الصلاة، ويجب عليه الوضوء لكل فرض.

فإذا فرغ من الاستنجاء وَغَسَلَ يديه اشتغل بالوضوء فلم يُرَ رسول الله ﷺ قط خارجاً من الغائط إلا توضأً. وابتدئ بالسواك وينوي عنده تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة وكان ﷺ يقول : « لولا أن أشق على

أمتي لأمرتهم بالسواك لكل صلاة»، وكان ﷺ يقول :
«عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب» .
وكان جدي سيدنا علي رضي الله عنه يقول : « السواك يزيد في
الحفظ ويذهب البلغم » . ومن فوائده أيضاً أنه يبيض
الأسنان ويشد اللثة ، وإدامته تورث الغنى وتسكن
الصداع وتجلو البصر وتزيد في الفصاحة والله أعلم .
أيها الإخوة الكرام :

هذا كله قبل الوضوء فإذا فرغ منه استقبل القبلة
وسمى الله تعالى قبل الوضوء لأنه ورد « **لا وضوء
لمن لم يسم الله تعالى** » . أي لا وضوء كاملاً .
ثم يبدأ بغسل يديه وينوي سنن الوضوء ثم إذا بدأ
بوجهه نوى فرض الوضوء وهذه النية هي **أول** فرض
من فرائض الوضوء :

الثاني : غسل الوجه ويجب إيصال الماء إلى منابت
اللحية الخفيفة وأما الكثيفة فلا، بل يفيض على ظاهر ما
استرسل من اللحية ولا بأس بالدعاء عند غسل الوجه
كأن يقول: « اللهم بيبض وجهي بنورك يوم تبيض
وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه
أعدائك »

ثم يأخذ بغسل يديه مع المرفقين وهو الفرض الثالث
من فروض الوضوء ويبدأ باليمنى ويدعو إن شاء : «

اللهم أعطني كتابي بيمينى وحاسبني حساباً يسيراً وعند الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري .

ثم يمسح رأسه ولو شعرة وهو الركن الرابع والأفضل شعره كله ويقول ندباً « اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك .

وأما مسح الأذنين فهو سنة يمسحهما بماء جديد ويستحب أيضاً أن يدعو « اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه».

ثم يغسل رجليه إلى الكعبين وهو الركن الخامس ويدعو ندباً: « اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام في النار اللهم إني أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين .

ويستحب أن يطيل غرته أي أن يغسل زيادة على المفروض غسله من أعضاء الوضوء حتى يحشر يوم القيامة مع قائد الغر المحجلين سيدنا رسول الله ﷺ.

والركن الأخير هو الترتيب أي أن يتوضأ بهذا الترتيب المذكور، قال الإمام شرف الدين العمريطي :

فرض الوضوء نية مع غسله لوجهه وغسل وجهه كله

وغسل كل ساعد ومرفق فإن أبين بعضه
فما بقي
ومسح بعض الرأس مطلقاً بما
كعبيهما
والسادس الترتيب مثلما ذكر وغطسة تكفي وإن لم
يستقر

فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال : أشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد
عبده ورسوله سبحانه اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت
عملت سوءاً وظلمت نفسي أستغفرك اللهم وأتوب إليك
فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم اللهم
اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني
من عبادك الصالحين واجعلني عبداً صبوراً شكوراً
واجعلني أذكرك ذكراً كثيراً وأسبحك بكرة وأصيلاً. وقد
ورد أن من قال هذا بعد الوضوء فتحت له أبواب الجنة
الثمانية يدخل من أيها شاء .

أيها الإخوة :

هذا الترتيب الذي رتبته مولانا رحمته الله و سيدنا رسول الله
ﷺ لندخل به على الله تعالى أتقياء أنقياء .
وأما الغسل فيجب علينا بستة أشياء : خروج المني ،
دخول الحشفة في فرج ما ، حيض ، نفاس ، ولادة ،
موت :

وجوبه بستة أشياء ثلاثة تختص
بالنساء

الحيض والنفاس والولادة
للعباد
عند انقطاع الكل

واشترك النساء مع الرجال
والجماع والإنزال
في الموت

وشروطه ك شروط الوضوء، وأما فروضه فشيئان :
١ - النية . ٢ - تعميم ظاهر البدن بالماء، حتى
الأظفار وما تحتها والشعر ظاهره وباطنه، وما يظهر
من صماخي الأذنين، ومن المَسْرُبة حالة الاسترخاء،
ويجب تخليل اللحية الكثيفة. والقاعدة في ذلك « تحت
كل شعرة جنابة » .

ولو اجتمع عليه الحدث الأصغر والأكبر فاغتسل
بنية رفع الحدث الأكبر كفاه ذلك الغُسل عن الحدثين لأن
الحدث الأصغر يندرج في الأكبر وإن لم ينو، وإن اجتمع
عليه غُسل جنابة وغُسل جمعة فإن نواهما معاً حصلاً وإلا
حصل مانواه، ويتعهد غسل معاطف البدن وليتق أن يمس
عورته أثناء ذلك فإن فعل فليعد الوضوء .

ويَحْرُم بالحدث الأصغر خمسة أشياء :
أحدها: الصلاة فرضاً أو نفلاً .

ثانيها : الطواف ركناً كان أو واجباً أو مندوباً .
ثالثها خطبة الجمعة .

رابعها وخامسها : مس المصحف وحمله ولا فرق
في حرمة المس بين أن يكون بحائل أو بدونه.
ويحرم بالجنابة والولادة ثمانية أشياء: هذه الخمسة
وقراءة القرآن والمكث في المسجد والتردد فيه .

ويحرم بالحيض والنفاس اثنا عشر شيئاً : هذه
الثمانية مع :
التاسع : الصوم .
العاشر : الطلاق مع أنه يقع .
الحادي عشر : الوطء
الثاني عشر : المباشرة فيما بين السرة والركبة ولو
بلا شهوة .

أيها الإخوة الكرام :

هذه هي أهم أبحاث الطهارة .

أما الصلاة فتجب فرض عين على كل مسلم بالغ
عاقل خالٍ عن حيض ونفاس خمس صلوات كل يوم
وليلة .

ويُقتل حدّاً تاركها كسلاً وتساهلاً وتهاوناً مع اعتقاد
وجوبها إن لم يتب فيطالبه الإمام أو نائبه بأدائها عند
ضيق وقتها ويتوعده بالقتل على تركها ، فإن لم يمتثل
أمره بل أصرّ على الترك حتى خرج الوقت الأصلي
ووقت العذر استحق القتل إن لم يتب، وتوبته تكون
بفعلها قال عليه الصلاة والسلام : «من ترك الصلاة
متعمداً فقد كفر جهاراً» وقال الله تعالى { ما سلحكم في
سقر. قالوا لم نك من المصلين } ولأجل هذا يقول سيدنا
رسول الله ﷺ « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً
ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له
نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة
مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف» وإنما

يُحْشَرُ تَارِكُ الصَّلَاةِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا اشْتَغَلَ عَنِ الصَّلَاةِ بِمَالِهِ وَمُلْكِهِ أَوْ بَوَازَارَتِهِ أَوْ بِتِجَارَتِهِ فَإِنْ اشْتَغَلَ بِمَالِهِ حُشِرَ مَعَ قَارُونَ وَإِنْ اشْتَغَلَ بِمَالِهِ حُشِرَ مَعَ فِرْعَوْنَ وَإِنْ اشْتَغَلَ بِبَوَازَارَتِهِ حُشِرَ مَعَ هَامَانَ وَإِنْ اشْتَغَلَ بِتِجَارَتِهِ حُشِرَ مَعَ أَبِي بَنٍ خَلْفَ تَاجِرِ الْكَفَّارِ بِمَكَّةَ .

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ :

لِلصَّلَاةِ شُرُوطٌ وَأَرْكَانٌ وَسُنَنٌ مُؤَكَّدَاتٌ وَهَيِّئَاتٌ .
مَنْ تَرَكَ الشُّرُوطَ وَالْأَرْكَانَ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ ، وَمَنْ تَرَكَ السُّنَنَ الْمُؤَكَّدَةَ وَجِبَ عَلَيْهِ سَجُودُ السُّهُوِّ وَمَنْ تَرَكَ سُنَنَ الْهَيْئَةِ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ .

وشروط صحة الصلاة أربعة :

١- الطهارة عن الحدث والخبث في البدن والثوب والمكان .

٢- استقبال القبلة .

٣- ستر العورة وهي في حق الذكر والأمة ما بين السرة والركبة وفي حق الحرة جميع بدنهما إلا الوجه والكفين .

٤- ودخول وقت الصلاة.

ولو ترك واحدة منها سهواً أو عمداً بطلت صلاته .
١. فإذا تحصّلت هذه الشروط الأربع انتصب قائماً فرضاً للقادر عليه ويرأى بين قدميه ولا يضمهما ، وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق ، والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذي يصلي عليه .

٢. ثم يقف ليستحضر النية فإنها ثاني أركان الصلاة. أصلي فرض الظهر مثلاً أو يقول أؤدي فريضة الظهر ولتكن معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه إلى آخر تكبيرة الإحرام.

٣. فإذا حضرت النية في قلبه فليرفع يديه إلى حذو منكبيه ويكبر للإحرام في الصلاة (الله أكبر) فهو الركن الثالث من أركانها.

ثم يضع يديه على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى بأن تكون محمولة ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح عقب قوله (الله أكبر) ويسن أن يقول: « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً، وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العلمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين » ثم يقول: « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ». وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها.

٤. ثم يستحب له الاستعاذة ثم يفرض عليه (رابعاً) بعدها قراءة الفاتحة وبسم الله الرحمن الرحيم آية منها - ويرفع صوته بقدر ما يسمع نفسه بقراءة الفاتحة وبكل قول من أقوال الصلاة - وهو الركن الرابع، يقرأها بتشديداتها الأربعة عشرة، ويقول آمين في آخر الفاتحة ندباً . ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء ندباً

إلا أن يكون مأموماً ، ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليقراً المأموم الفاتحة في الجهرية في أثناء هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام فيما بعد الفاتحة، ثم إن الاطمئنان في الركوع وفي الرفع منه وفي السجود وفي الجلوس بين السجدين ركن من أركان الصلاة ،والاطمئنان يعني استقرار الأعضاء بعد كل حركة.ثم يقرأ السورة بعد الفاتحة ندباً.

٥. ثم يركع فرضاً وهو الركن الخامس : يرفع يديه ويمد التكبير إلى الانتهاء من الركوع ،وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة ،وينصب ركبتيه ولا يثنيهما ويمد ظهره مستوياً وأن يكون عنقه ورأسه مستويان مع ظهره ،ولا يكون رأسه أخفض ولا أرفع ،وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيه ويقول: سبحان ربي العظيم ثلاثاً ندباً والزيادة إلى السبعة أو إلى العشرة حسن إن لم يكن إماماً.

٦. ثم يرتفع من الركوع إلى القيام فرضاً سادساً يرفع يديه ويقول: سمع الله لمن حمده،ويقول المأموم ذلك أيضاً ويطمئن في الاعتدال ويقول ندباً : ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد وفي ذلك يقول ﷺ : « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده» .

ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التسبيح والكسوف
والصبح لوجود القنوت في الصبح في الركعة الثانية
بالكلمات المأثورة - قبل السجود - فإذا تركه (القنوت)
سجد للسهو، وألفاظ القنوت هي: « اللهم اهْدني فيمن
هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت
،وبارك لي فيما أعطيت، ووقني واصرف عني شر ما
قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من
واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت فلك
الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك، اللهم صلِّ
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم » .

٧. ثم يهوي إلى السجود فرضاً سابغاً مكبراً دون أن
يرفع يديه مع تكبيره، فيضع ركبتيه على الأرض ثم يديه
فجبته، وأما وضع الأنف عند الشافعية فسنة، ويجافي
مرفقيه عن جنبيه بعكس المرأة، ويفرّج بين رجليه ولا
تفعل المرأة ذلك، ويرفع بطنه عن فخذه ويضع يديه
على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرّج بين أصابعهما بل
يضمهما ويضم الإبهام إليهما ولا يفتersh ذراعيه على
الأرض فإنه منهي عنه ويقول : سبحان ربي الأعلى
ثلاثاً ندباً.

٨. ثم يرفع من السجود فرضاً ثامناً مكبراً ليجلس
مطمئناً معتدلاً، ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه
اليمنى ويضع يديه على فخذه والأصابع منشورة قائلاً
ندباً : رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني
واجبرني وعافني واعف عني فمن دعا بهذه الكلمات

قال عنها الحبيب الأعظم ﷺ : « من قالها جمعت له دنياه وآخرته » ولا يطيل هذه الجلسة لأنها ركن قصير إلا في جلوس صلاة التسبيح ثم يأتي بالسجدة الثانية فرضاً كالأولى .

ويستوي منها جالساً جلسة خفيفة ندباً للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبيها. ثم يقوم فيعتمد بيديه على الأرض ولا يقدم إحدى رجليه في حال الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام.

ويصلي الركعة الثانية كالأولى ويعيد التعوذ كالابتداء.

والتشهد الأول عند الشافعية سنة مؤكدة فإذا تركه عمداً أو سهواً سجد للسهو قبل أن يسلم من الصلاة ، فإن عاد بعد أن قام إلى الركعة الثالثة عامداً عالماً أن القيام ركن والتشهد الأول سنة بطلت صلاته أما إن كان جاهلاً أو عاد ناسياً لم تبطل صلاته .

٩. فإذا جلس للتشهد الثاني فهو الركن التاسع يجلس فيضع يده اليمنى على فخذه ويقبض أصابعه اليمنى إلا المسبحة.

١٠. فيقرأ التشهد وهو الركن العاشر وألفاظه :
التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن إله إلا الله وأشهد أن

سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، أو أشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله .

١١ . ثم يصلي على سيدنا محمد ﷺ وهو الركن
الحادي عشر وأقله أن يقول اللهم صلّ على سيدنا محمد
، وأما الصلاة على الآل فهي سنة مؤكدة إذا تركها يسجد
لها سجود السهو .

ويستحب أن يأتي بصيغة الصلوات الإبراهيمية : «
اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما
صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ،
وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما
باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في
العالمين إنك حميد مجيد » ويجلس في هذا التشهد على
رجله اليسرى كما بين السجدين وفي التشهد الأخير
يدعو ندباً بالمأثور بعد الصلوات الإبراهيمية :

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار، ربّ اغفر لي ولوالديّ ربّ ارحمهما كما
ربياني صغيراً اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر
وعذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة
المسيح الدجال ، اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً
كبيراً فاعفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

ويجلس ندباً في التشهد الأخير على وركه الأيسر
ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى
ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه .

أيها الإخوة الكرام :

١٢. هذا الترتيب على هذا الشكل [القيام قراءة الفاتحة والركوع والرفع منه والسجود والجلوس بين السجدين فالجلوس للتشهد فقراءة التشهد فالصلاة على النبي] هذا الترتيب فرض من فروض الصلاة.

١٣. أما الفرض الأخير وهو الثالث عشر فهو السلام عليكم أي الخروج من الصلاة ويستحب أن يكون كاملاً أي السلام عليكم ورحمة الله، ويلتفت يميناً بحيث يرى خده الأيمن ويأتي ندبا بمثله في التسليمة الثانية، وينوي بالسلام عن يمينه وشماله على الملائكة والمسلمين، وينوي المأموم بتسليمه جواب الإمام.

هذه هي الصلاة التي تعلمناها على مذهب الإمام الشافعي وأما أسرار هذه الأقوال والأفعال فلنا وقفة أخرى معها في نهاية ملف سيرة الفقه والفقهاء إن شاء الله تعالى .

أدعكم جميعاً لترفعوا التحية إلى المعلم الأول لهذه الأمة سيدنا ومولانا محمد، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك .

ولادة الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله

- ١٠ -

الحمد لله العلي الكبير الوهاب، الذي يعطي من فضله من يشاء بغير حساب، نحمده على ما أطال من فضله وأطاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحيم التواب، سبحانه لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب. وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيماً وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المنتخب من أشرف الأنساب، المؤيد بجنود الملائكة كما جاء في الكتاب.

اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه خير آل وخير أصحاب، وسلم تسليماً. أما بعد : فيا معشر المسلمين.

نحن اليوم على موعد مع الحلقة العاشرة من ملف سيرة الفقه والفقهاء وبالذات مع رجل قال عنه المؤرخون : « إنه الإمام العَلَم، المجتهد البارِع الحافظ الضابط المتقن، الناسك العابد، عالم الإسلام، وكهف الدين، قاصع البدعة والمبتدعين، داحض الحجج الباطلة ».

إننا أمام إمام جعل حياته كلها رهناً لشريعة الله، رجل كان لا يتكلم ولا يفكر ولا يحس ولا يأكل ولا يشرب

ولاينام إلا إذا أذن له الشرع بذلك أو أن قدوته سيدنا رسول الله ﷺ أقر ذلك أو فعله، إنه واحد من كبار أئمة الإسلام على امتداد تاريخه، وأحد أفراد هذه الأمة العظام الذين يُقتدى بهم ويُقتبس من نورهم.

إنه سيدنا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي أعز الله به هذا الدين فلئن كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد أعز الله به الدين يوم الردة، فإن هذا الإمام قد أعز الله به الدين يوم محنة خلق القرآن، إلا أن الصديق وجد أنصاراً وأعواناً، وأما إمامنا ابن حنبل فلم يجد له ناصرًا إلا الله عز وجل، وكفى بالله نصيراً.

إننا اليوم نفتح ملف إمام قال عنه سيدنا الإمام الشافعي رحمه الله إنه «إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة».

أيها الإخوة الكرام :

قد من الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم :

١- بسيدنا الإمام الشافعي، تفقه بحديث رسول الله ﷺ وفتح للناس الأقفال.

٢- وبسيدنا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ثبت في محنة خلق القرآن ولولا ذلك لكفر الناس.

٣- وبسيدنا يحيى بن معين نفى الكذب عن حديث سيدنا رسول الله ﷺ

٤- وبأبي عبيد القاسم بن سلام فسّر الغريب في حديث رسول الله ﷺ ولولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ.

كان هذا هو موجز السيرة الحياتية لهذا الإمام وإليكم الأنباء بالتفصيل :

الإمام أحمد هو أبو عبد الله بن محمد بن حنبل بن هلال بن

أسد من بني شيبان بن ذهل، من ولد نزار بن معد بن عدنان، قال ابن الأثير عن قبيلة جده الثاني عشر شيبان: « ليس في العرب أعز داراً، ولا أمتع جاراً، ولا أكثر خلقاً من شيبان ».

وكان في قبيلة شيبان كثير من القادة والعلماء والأدباء والشعراء. فالإمام أحمد عربي أصيل، يلتقي نسبه مع سيدنا النبي ﷺ في تاسع عشر أجداده في نزار بن معد بن عدنان، والعنصر العربي في صدر الحكم الإسلامي له شأن وجاه، وهو موضع فخر لمن سعى إليه لأن كتاب الإسلام وهو القرآن الكريم عربي ورسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ عربي .

أما والده : فهو أحد القادة في جيش خراسان، ثم استقر ببغداد. وأما جده : حنبل بن هلال فقد كان والي سرخس في عهد الأمويين .

أيها الإخوة الكرام :

أذن مولانا ﷺ بولادة هذا الإمام في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومئة، ونشأ في حجر أمه لأن أباه كان قد انتقل إلى جوار أرحم الراحمين.

نشأ نقياً تقياً، وظهرت بؤادر فضل هذا الإمام وهو بعد مازال غليماً حين وضعت أمه في الكتاب فكانت النساء يرسلن إلى المعلم : أن ابعث إلينا بأحمد بن حنبل ليكتب إلى رجالنا في الغزو، فكان هذا الفتى العربي يجيء إليهن مطأطيء الرأس فيكتب جواب كتبهن لأزواجهن وربما أملوا عليه الشيء من المنكر فلا يكتبه لهن .

وهذه الحادثة - أيها الإخوة - تدل على تبكير برّه وورعه وكفّ نظره عما حرم الله تعالى حتى جعل الناس تتعجب من أدبه وحسن سلوكه.

على هذه الأخلاق - أيها الإخوة - شبّ هذا الفتى العربي تقياً يأكل من كسب يده، وخلف له والده داراً صغيرة ضيقة يسكنها، وكان مورده ضعيفاً، فكان يحاول أن يكسب مالاً حلالاً، ولا يبالي بالعمل الذي يأتيه بالمال مهما قيل فيه، وكان شعاره « **اعمل وتعفف ولا تحتج إلى أحد ولو كان من الأولياء أو أقرب الأقرباء** ».

وربما كان يؤجر نفسه ليحمل في الطريق ويعين الحمالين، وربما نسخ كتباً بالأجرة أو ينسخ التكم ويبيعها وينفق منها. وهذا يعني أن نفسه كانت عظيمة لا يضيرها أن تنزل إلى درك عمل ما قد يستهين به الناس مادام حلالاً، فليس في العمل حطة لأنه حرٌّ في عمله، هذه الحرية لا يدانيها حرية لامن حاكم ولا لامن محكوم ولا سيد ولا مسود. وحين بلغ السادسة عشرة من عمره أخذ يدور على حلقات العلم وبدأ يعي الحديث، أي منذ عام ١٧٩ هـ وأول

من كتب عنه الحديث أبو يوسف صاحب الإمام أبو حنيفة رحمهما الله، لكنه لم يلبث عنده إلا قليلاً، حتى انتقل إلى شيخه بشير بن هشيم الذي كان يتردد عليه أثناء صغره، فلزمه ثلاث سنوات فكتب عنه بعض كتب الحديث، نحواً من ثلاثة آلاف حديث حتى بلغ العشرين من عمره حيث راح يأخذ من شيوخ الحديث ويكتب كل ما يسمع، وعندما استوفى كل ما عند محدثي بغداد بدأ في رحلاته في طلب الحديث النبوي الشريف، لأن العصور الأولى لم يكونوا يعدون الرجل محدثاً وحافظاً حتى يرحل لبلاد الإسلام يلتقي بكبار علمائها وحفاظها خصوصاً مكة والمدينة، يقول ابن كثير الدمشقي: «طاف الإمام في البلاد والآفاق وسمع من مشايخ، وكانوا يجلبونه ويحترمونه في حال سماعه منهم».

أيها الإخوة الكرام :

رحل الإمام إلى الشام والجزيرة، وسمع من كبار الشيوخ وكتب عن علماء كل بلد، وفي رحلته إلى مكة المكرمة التقى بسيدتين عظيمين من أهل الحديث: سيدنا سفيان بن عيينة وسيدنا الإمام الشافعي وحين انتقل إلى اليمن التقى بالمحدث عبد الرزاق الصنعاني سنة ١٩٩/ هـ، وكان قد اجتمع به في موسم الحج، وراح الإمام أحمد يجمع الحديث من كبار علمائه وثقاته حتى بلغ عدد مشايخه أربعمئة وخمسة وعشرين شيخاً، فلم يترك الإمام لحظة من شبابه وكهولته إلا وحرص فيها أن يسمع حديثاً أو يصحح رواية، ورحل في سبيل ذلك إلى أدنى الأرض، فإن لم يجد

مايركب فعلى قدميه يسير، ويقطع المراحل حتى شقت قدماه، وماكان يرى بذلك بأساً مهما ينتهي إليه حاله وجسمه إذا ظفر ولو بخبر عن رسول الله ﷺ.

مر الإمام يوماً آتياً من الكوفة وبيده حِمْلٌ كُتِبَ فأخذه رجل بيده وقال: مرة إلى الكوفة ومرة إلى البصرة إلى متى؟!، إذا كتب الرجل ثلاثين ألف حديث ألم يكفه؟.

فسكت الإمام أحمد ثم قال (الرجل): ستين ألفاً؟. فسكت الإمام فقال الرجل: مئة ألف؟ فنظر الرجل في كتب الإمام أحمد فإذا به ثلاثمئة ألف حديث عن سيدنا رسول الله ﷺ.

ورأى رجل مع سيدنا الإمام أحمد محبرة فقال له: يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين؟! فقال الإمام أحمد: مع المحبرة إلى المقبرة.

وكان ﷺ يحب أن يجمع أحاديث الأسانيد العالية لأن الحديث كلما قلَّ رواته علاَّ إسنادُه، وكان يقول « **طلب علوَّ الإسناد من السنة** » وكان يحب أكثر أن يجمع الأحاديث الثلاثية (التي رواها ثلاثة بينه وبين سيدنا رسول الله ﷺ) وتسمى هذه الأحاديث بالثلاثيات^(١) فبلغ الإمام أحمد أن حديثاً ثلاثياً في ماوراء النهر عند رجل من أصحاب الحديث، فتكبد المشاق وسار مسيرة شهر أو أكثر حتى وصل إليه فوجده يطعم كلباً، فسلم عليه فرد عليه السلام وتابع إطعام الكلب.

(١) استخرجها الشيخ محمد السفاريني من مسند الإمام أحمد ﷺ وبلغت ٣٣٣ وقام بشرحها شرحاً موفياً طبعه المكتب الإسلامي في مجلدين كبيرين. قرأت منهما الكثير لى سيدي الشيخ أحمد المحاميد سيد علماء حي التوبة.

فلما انتهى قال للإمام : إن هذه المنطقة ليس فيها كلاب، فلما رأيت هذا الكلب علمت أنه ما جاء به إلا الجوع والعطش ورأيت أنه يحوم حولي يرجوني أن أطعمه وتذكرت أن فلاناً حدثني عن فلانٍ عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال « من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة » فقدمت له الطعام والشراب خوفاً أن يفعل الله بي ذلك يوم القيامة. فقال الإمام أحمد : « يكفيني هذا الحديث » وقفل راجعاً ﷺ .

أيها الإخوة الكرام :

لم يكن في عصر الإمام أحمد ولا بعد عصره أحد حفظ من الحديث ماحفظ، وجمع ما جمع، وأتقن من هذا الفن ما أتقن، فقد بذل للحديث والسنة النبوية راحته وجهده، وأنفق شبابه وشيخوخته لم يكل ولم يمل حتى بلغ الذروة في علمه وحفظه وفهمه وحتى صار يلقب عند الناس بـ « فقيه المحدثين ومحدث الفقهاء، وإمام السنة » .

سُئِلَ مرةً أحد الحفاظ للحديث وهو أبو زرعة قيل له: أيهما أحفظ أنت أم أحمد بن حنبل؟ قال: بل أحمد بن حنبل قيل: وكيف علمت ذلك؟ قال: وجدت كتب أحمد بن حنبل ليس فيها أوائل الأجزاء (أسماء المحدثين الذين سمع منهم) فكان يكتب نص الحديث فقط ويذكر من رواه له من حفظه ﷺ وأنا لا أقدر على هذا .

وقال أبو عبيد بن سلام: انتهى الحديث إلى أربعة : أبي بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني. فأبو بكر أسردهم له، وأحمد

أفقههم، ويحيى بن معين أجمعهم له، وأحمد وعلي أعلمهم به.

ومع هذا العلم والحفظ فقد كان الإمام أحمد إذا أراد أن يحدث لا يحدث إلا من كتاب حرصاً على جودة النقل والتثبت في الحديث، فقد جمع خلاصة علمه كله في كتابه العظيم مسند الإمام أحمد، وزعه على أبواب الرواة من الصحابة حيث جمع لكل صحابي أصح ما روي عنه من الأحاديث الشريفة، وجمع فيه أقوال الصحابة واجتهادهم وأقوال بعض التابعين، وبلغ عدد الأحاديث في المسند أكثر من ثلاثين ألف حديث سوى المكرر منها وقدره عشرة آلاف حديث، وقبل أن يموت الإمام قرأه على ابنه صالح وعبد الله وقال لهما : « إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمئة وخمسين ألف حديث، فاحتفظا به فإنه سيكون للناس إماماً ».

هذا هو الإمام أحمد بن حنبل المحدث ، فمن هو الإمام أحمد الفقيه أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله وأعود بكم من هناك إلى هنا ، هنا مدرسة الفقه والفقهاء، مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب ، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين المبين، وأكرمنا بالنبى الصادق الأمين، وجعل له خلفاء بررة متقين، ومن بعد الخلفاء سادة من التابعين، وأيد هذا الدين بالأئمة المجتهدين، فقادوا الأمة على ممر الأيام والسنين. **وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين.**

وأشهد أن سيدنا وحبينا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الهادي إلى الصراط المستقيم.

اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبى الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
أما بعد :

فإن دين الله واحد، وهو ما أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وارتضاه لعباده. كما أن نبيه واحد، وقبلته واحدة، فمن وافقه فهو المصيب وله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد على اجتهداه لأعلى خطأه، ولأجل هذا وجب على المجتهد أن يتحرى حكم الله تعالى في اجتهداه

بما عرف من أساليب العرب، وفهم المقاصد الشرعية من غير إجهاد للنص بتأويل يخرج به عما أُريد به. وهذا هو العمل الذي قام به سيدنا الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله في حديثنا عنه في هذه الحلقة الحادية عشرة من ملف سيرة الفقهاء، وقد اكتسب هذه المهارة الفقهية من مجالسته شيوخ عصره، وخاصة سيدنا الإمام الشافعي رحمته الله، يقول محمد بن الفضل الفراء : « سمعت أبي يقول: حجبت مع أحمد بن حنبل فنزلت في مكان واحد معه، فخرج باكراً وخرجت بعده، فدرت المسجد الحرام فلم أره في مجلس ابن عيينة ولا غيره، حتى وجدته جالساً مع أعرابي فقلت له : يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة وجئت إلى هذا؟ فقال لي : اسكت إنك إن فاتك حديث بعلو وجدته بنزول، وإن فاتك عقل هذا أخاف أن لاتجده، ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله من هذا الفتى، قلت من هذا ؟

قال: محمد بن ادريس (الشافعي). »

أيها الإخوة :

إننا نستطيع أن نقول : إن الإمام الشافعي قد أثر تأثيراً مباشراً في تربية الإمام أحمد على الفقه، حتى جعله حريصاً كل هذا الحرص على أن ينمي فيه مَلَكة الفقه قدر حرصه

على أن يكتب الحديث النبوي، وحتى قيل: إنه الشيخ الوحيد له الذي درس على يديه الفقه.

قال الحسن بن محمد الزعفراني : كنا نحضر مجلس بشر المَرِّيَّسي (وهو رجل من الضالين المضلين في العراق) فكنا لانقدر على مناظرته، فمشينا إلى الإمام أحمد بن حنبل فقلنا له: إئذن لنا أن نحفظ الجامع الصغير الذي لأبي حنيفة لنخوض معهم إذا خاضوا .

فقال الإمام أحمد : اصبروا فالآن يقدم عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة قال: فقدم علينا الإمام الشافعي فمشينا إليه فسألناه شيئاً من كتبه فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المَرِّيَّسي وتخطيت إليه فلما رأي قال : ما جاء بك يا صاحب الحديث ؟ قال : فقلت : ذرني من هذا . إيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟ فناظرته فقطعته فقال : ليس هذا من كيسكم، هذا من كلام رجل معه نصف عقل أهل الدنيا.

وهكذا - أيها الإخوة - نرى الإمام أحمد يعتمد أقوال الشافعي، بل إنه يتخذها حجة في دين الله تعالى، يقول أحد تلامذة ابن حنبل : كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة فقال رجل لأحمد : يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث.

فقال : إن لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي وحجته أثبت شيء فيه. (فقولوا رضي الله عنه) .

وكان يقول : إذا سُئِلت عن مسألة لأعلم فيها خبراً
قلت فيها بقول الشافعي لأنه عالم قريش الذي أخبر عنه
رسول الله ﷺ .

أيها الإخوة :

كان الإمام أحمد لا يحب الجدل في المسائل الفقهية
ولكنه أحياناً يتحرى البحث عن الحق مع من خالفه ، قبل
منه ذلك بصدر منفتح للعلم، جرى مرة بينه وبين شيخه
الإمام الشافعي مناظرة لطيفة حول مسألة :

هل تارك الصلاة كسلاً وتهاوناً يكفر أم لا ؟

وكان سيدنا وقدوتنا إلى الله محمد بن ادريس الشافعي
يقول: إنه لا يكفر وخالفه الإمام أحمد وقال: إنه
يكفر.

فقال له الإمام الشافعي : يا أحمد، أتقول إنه يكفر ؟
قال الإمام أحمد : نعم . قال الإمام الشافعي : إذا كان
كافراً فبم يسلم ؟ قال الإمام أحمد : يقول : لا إله إلا الله.
قال الإمام الشافعي: فالرجل مستديم لهذا القول لم
يتركه !!.

قال الإمام أحمد: يسلم بأن يصلي.

قال الإمام الشافعي: صلاة الكافر لا تصح، ولا يحكم
بالإسلام بها (فكيف تقول يسلم بأن يصلي)
فسكت الإمام أحمد .

يمكننا - أيها الإخوة - أن نقول : إن الإمام أحمد بن
حنبل نمت لديه الملكة الفقهية وأصبح على مقدرة علمية
رفيعة، وخاصة لغزارة علمه في الكتاب والسنة، لأنه

كان يخشى أن يقرر حكماً ليس هو حكم الله ورسوله وخاصة وهو يتلو قول الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » ويتلو كلام الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » أي لا تقولوا حتى يقول، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه.

وأما المنافقون، وأما الذين يريدون الدنيا ولا يريدون حكم الله ولا حكم رسوله فبشرهم بعذاب أليم، أولئك الذين قال مولانا رَحِمَهُ اللهُ فيهم:

{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } .

لذلك اسمعوا أيها الإخوة إلى سيدنا الإمام أحمد وأنتم تترضون عنه يقول: « من ردّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة »

وهذا القول أخذه الإمام أحمد من شيخه الإمام الشافعي فهو القائل : « أجمع المسلمون على أنه من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس »

وهكذا – أيها الإخوة – بنى الإمام أحمد أسس مذهبه على كتاب الله وسنة رسول الله، وكان لا يفتي إلا بآية أو حديث أو إجماع أو قياس أو فتوى صحابي وكان لا يعدل إلى اجتهد الصحابة حتى يستنفذ النصوص الشرعية وإذا كان للصحابه رأيان رجّح بينهما أو أقرّ الرأيين .

وإني لأعجب والله من الذين يقولون إننا بحاجة الى
فقه جديد، فقه العافية ، فإذا كان فقه الأئمة الأربعة مستمد
من الكتاب والسنة وأن كلاً من الأئمة نصّوا على قاعدة
شرعية هي « إذا صح الحديث فهو مذهبي » إذا كان فقه
الأئمة من الكتاب والسنة فمن أين سيأتي هذا المدعي
بفقهه ، من كتاب إبليس وسنة التلبيس ، وأنا متأكد تماماً
أن هذا المنافق شريك إبليس في هذا التلبيس .

إني أعلنها عالية خفاقة إن مصادر الفقه في مذاهب
الأئمة ومنهم الإمام أحمد هي الكتاب والسنة وهذه الطريقة
أيها الإخوة تسمى عند العلماء الطريقة الأثرية ، وتعني أن
الإمام أحمد لا يفتي إلا بحديث أو آية أو أثر عن الصحابة ،
ولهذا يقول عبد الوهاب الوراق :

ما رأيت مثل أحمد بن حنبل .

فقالوا له : وأي شيء بان لك من فضله ؟ .

فقال : لأنه رجل سئل ستين ألف مسألة فأجاب فيها :
حدثنا وأخبرنا وقد جمع هذه المسائل تلميذه أبو بكر
الخلال .

نعم ، كان الإمام أحمد لا يفتي إلا بحديث رسول الله
ﷺ حتى إنه يقول : « الخبر الضعيف عندي خير من
القياس (الرأي) »

ستون ألف مسألة هي التي صنعت من الإمام أحمد فقيهاً مجتهداً إماماً علماً حتى خضعت له رقاب العلماء إجلالاً وإكباراً وأكثروا من الثناء عليه وبالغوا في تعظيمه بما هو أهله، يقول أحد الأعلام في هذه الأمة وهو الإمام المحدث علي بن المديني : « إذا ابتليت بشيء فأفتاني أحمد بن حنبل لم أبالي إذا لقيت ربي كيف كان » (ليسمع الذين يريدون تبديل الفقه كلمة هذا الإمام ابن المديني التي تكتب بماء الذهب).

وقال أبو القاسم الحنبلي (من أئمة عصره) : « كان أحمد بن حنبل إذا سئل عن المسألة كأن علم الدنيا بين عينيه » .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : « قد جعلت أحمد بن حنبل إماماً فيما بيني وبين الله ﷻ » .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : « خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أروع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل » .

معشر الإخوة الكرام :

بعد هذه الحياة الزاخرة بالعلم والإيمان والأمانة والورع أقبل الناس يجلسون إلى الإمام أحمد يستفتونه في المسائل فقد جمع الإمام أحمد بين علم الحديث وعلم الفقه ، وكان دقيقاً بما يفتي ، عليماً بما يأخذ أو يدع ، ومن دقيق اجتهاده أنه سئل عن رجل حلف بالطلاق ثلاثاً أنه لا بد أن يطأ امرأته الليلة ، فوجدها حائضاً فقال الإمام : «

تطلق منه امرأته ولا يطأها ، قد أباح الله الطلاق وحرم وطء الحائض » .

وإن من طريف ما يذكر أن امرأتين مجوسيتين اختصمتا في موارد لهما إلى رجل من المسلمين ، فقضى لواحدة على الأخرى فقالت له : « إن كنت قضيت علي بقضاء أحمد بن حنبل رجعت وإلا فلا أرضي » .

وكتب إليه أحد علماء عصره رسالة طلب فيها أن يزوده ببعض المسائل الهامة فكتب له الإمام أحمد ما يلي :
نشهد للعشرة بالجنة وهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعليه وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرام ومن شهد له النبي بالخير شهدنا له بالجنة .

ورفع اليدين في الصلاة زيادة في الحسنات ، الجهر بآمين عند قول الإمام (ولا الضالين) .

والصلاة على من مات من أهل هذه القبلة ، وحسابهم على الله ﷻ والخروج مع كل إمام في غزوه وحجه والصلاة خلفهم صلاة الجماعة والجمعة والعيد .

ولانكاح الإبولي وخاطب وشاهدي عدل ، والمتعة حرام إلى يوم القيامة . ومن طلق ثلاثاً في يوم واحد فقد جهل ، وحرمت عليه زوجته ، ولا تحل له أبداً حتى تنكح زوجاً غيره ، والتكبير على الجنائز أربعاً ، فإن كبر خمساً فكبر معه . قال ابن مسعود : « كبر ما كبر إمامك » ، وخالفني الشافعي وقال إن زاد على أربع تكبيرات أعاد الصلاة واحتج علي بأن النبي ﷺ صلى على النجاشي فكبر عليه أربع تكبيرات .

والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام وليلتين ،وللمقيم يوم وليلة،وإذا دخلت المسجد فلاتجلس حتى تركع ركعتين تحية المسجد ،والوتر ركعة،والإقامة فرادى.

أحبوا أهل السنة على ماكان منهم ،أماننا الله وإياكم على السنة والجماعة ،ورزقنا وإياكم اتباع العلم ووقفنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.. » .

هذا هو فقه الإمام أحمد كتبه بخطه وعلمه تلاميذه .
وحين رحل الإمام الشافعي عن العراق وانتشر علم الإمام أحمد بعد وفاة الإمام الشافعي وقع الناس في حيرة بمن يأخذون بقول الإمام الشافعي أم بقول الإمام أحمد ، ومن هؤلاء المتحيرين قاضي دمشق أبو بكر أحمد الرملي اسمعوا قاضي دمشق يروي هذه الحيرة فيقول: حضرت صلاة المغرب فدخلت المسجد فلما قلت الله أكبر تفكرت في قول أهل العراق (من كان له إمام فقرأه الإمام له قراءة) وفي قول أهل الحجاز (لاصلاة إلا بفتحة الكتاب)قال فمن كثرة اختلافهما تركت الجماعة وخرجت ،فأصابني همٌّ،وبتُ بغمٍّ،فلما كان في جوف الليل قمت وتوضأت وصليت ركعتين وقلت :اللهم اهدني لما تحب وترضى ثم أويت إلى فراشي فرأيت النبي ﷺ - فيما يرى النائم - دخل من باب بني شيبه فأسند ظهره الى الكعبة ،ورأيت الشافعي وأحمد بن حنبل عليهما السلام يبتسم إليهما .ورأيت بشراً المريسي على يسار النبي ﷺ مكلح الوجه فقلت: يا رسول الله من

كثرة اختلاف هذين الرجلين لم أدر بأيهما آخذ فأوماً إلى الشافعي وأحمد بن حنبل وقال « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » ثم أوماً إلى بشر المريسي وقال : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين »

يقول قاضي دمشق أبو بكر : « والله لقد رأيت هذه الرؤيا وتصدقت في الغد بألف دينار وعلمت أن الحق مع الشيخين » .
أيها الاخوة :

فما هي عقيدة الإمام أحمد بن حنبل . كيف انتقل إلى جوار الله تعالى ، لا تغيبوا الجمعة القادمة فإن حدثاً عظيماً سوف أنقله لكم عن الإمام أحمد رحمته الله .

هنا مدرسة الفقه والفقهاء مدرسة سيدنا محمد صلوات الله عليه وآله الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك .

عليه السلام

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من آل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، وينهونه عن الردى، يُحيون بكتاب الله الموتى، وبسنة سيدنا رسول الله ﷺ أهل الجاهالة والردى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالّ تائه قد هدوه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا وما يذكّر إلا أُولو الألباب }.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي قال فيه مولانا « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ».

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وسلّم تسليماً.
أما بعد :

فما زلنا مع ناصر السنة النبوية الذي قيل فيه : « أبو بكر يوم الرّدة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار،

وعلي يوم الجمل وصفين، وأحمد بن حنبل يوم المحنة،
لولا الإمام أحمد لكفر الناس».

إننا مع رجل عظيم من أبطال الدين والسنة الذي
كان يقول: « ما كتبت حديثاً عن النبي ﷺ إلا وعملت به
». وبلغنا عن سيدنا رسول الله ﷺ أن الله ﷻ ليدخل العبد
الجنة بالسنة يتمسك بها.

إنه البطل الذي كان يقول كان يقول : « ما أعدل
بالفقر شيئاً، ما أعدل بالفقر شيئاً أنا أفرح إذا لم يكن
عندي شيء ». ومع ذلك كانت تهابه الشيوخ والأقران
والحكام والسوقة.

إننا مع الحلقة الثانية عشرة من ملف سيرة الفقه
والفقهاء أصحاب المذاهب الأربعة، وبالذات مع درس
العقيدة، العقيدة التي لا يُقبل إيمان العبد إلا بها، لأن
أركان الدين ثلاثة: إسلام وإيمان وإحسان.
ومعنى كلمة أعتقد أي أوْمَن وأركان الإيمان ستة: أن
تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر
خيرهِ وشرهِ.

يقول الإمام أحمد : « والإيمان قول وعمل يزيد
وينقص، زيادته إذا أحسنت، ونقصانه إذا أسأت، ويخرج
من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام شيء إلا
الشرك بالله العظيم أو برَدّ فريضة من فرائض الله ﷻ
جاحداً بها، فإن تركها كسلاً أو تهاوناً كان في مشيئة الله
إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه .

وإن أهل الجنة يرون ربهم لا محالة، وإن الله يخرج أقواماً من النار بشفاعته سيدنا محمد ﷺ وأن الله كلم موسى تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلاً والصراط حق، والميزان حق، والأنبياء حق، وعيسى بن مريم رسول الله وكلمته، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بمنكر ونكرو وعذاب القبر، والإيمان بملاك الموت يقبض الأرواح ثم ترد إلى الأجساد في القبور فيُسألون عن الإيمان والتوحيد، والإيمان بالنفخ في الصور (والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل)، وأن القبر الذي في المدينة قبر سيدنا محمد ﷺ ومعه أبو بكر وعمر، وقلوبُ العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، ولا تؤثر على القرآن شيئاً فإنه كلام الله ﷻ وما تكلم الله به فليس بمخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم ومن لم يكفره فهو كافر.

والدجال خارج في هذه الأمة لامحالة، وينزل عيسى بن مريم فيقتله بباب لد (في فلسطين).

ولا عين نظرت بعد سيدنا رسول الله خيراً من أبي بكر الصديق ﷺ ولا بعد أبي بكر عين نظرت خيراً من عمر، ولا بعد عمر عين نظرت خيراً من عثمان، ولا بعد عثمان بن عفان عين نظرت خيراً من علي بن أبي طالب ﷺ.

قال الإمام أحمد : هم والله الخلفاء الراشدون المهديون »

هذا هو نص عقيدة الإمام أحمد بن حنبل وهي عقيدة كل مسلم لأنها مستمدة من عيون الشريعة المطهرة ، ولنا وقفات مع العقيدة إن شاء الله تعالى بعد سيرة الفقه والفقهاء .

أيها الإخوة الكرام :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى سيدي وقدوتي إلى الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله إننا هناك في مصر القاهرة، التي كانت تسمى بالفسطاط، ونحن ضيوف على سيدي الإمام الشافعي الذي يظهر الفرح على محياه أتعلمون لماذا ؟ لأنه رأى سيدنا رسول الله ﷺ في المنام وقال له: « اكتب إلى أحمد بن حنبل وأقرئ عليه مني السلام وقل له إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة»

ونادى الإمام تلميذه الخاص الربيع بن سليمان المرادي ووجه معه الرسالة إلى الإمام أحمد بن حنبل، وسار مسيرة شهر أويزيد، فدخل بغداد والتقى الإمام أحمد بعد صلاة الفجر فسلمه الرسالة وبعد أن فتحها وقرأها إذا به يأخذ بالبكاء فرحاً لأن رسول الله ﷺ يسلم عليه، ثم قال : « إذا كانت الجنة فيأمرحياً بالبلاء » .

قال الربيع المرادي : البشارة .

فقال الإمام أحمد : نعم، فأعطاه قميصه الذي يلي جسده، وانطلق الربيع عائداً إلى مصر ودخل على الإمام الشافعي وابتدره بقوله: ماذا أعطاك الإمام أحمد ؟ قال : أعطاني قميصه الذي يلي جسده .

فقال : الإمام الشافعي لا أريد أن أفجعك بالقميص فأخذه منك ولكن اغسل القميص وأعطني الماء لأتبرك به.

وانتقل الإمام الشافعي إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وبدأت الرؤيا تتحقق شيئاً فشيئاً وذلك عندما كتب الخليفة المأمون إلى ولاته في الآفاق أن يمتحنوا العلماء بالقول بخلق القرآن، وكل من لا يقول بخلق القرآن يُعزل من منصبه وابتدأت المحنة سنة ثمانى عشرة ومئتين.

واستجاب للمأمون جماعة من الخائفين على مناصبهم وخوفاً على رؤوسهم من سيفه أو من سجنه، إلا مجموعة قليلة كان معها الإمام أحمد بن حنبل في بغداد فجمعهم الوالي وسأل كل واحد منهم : هل القرآن مخلوق..؟

فكان منهم من يجيب: أقول القرآن كلام الله فيقول الوالي: أمخلوق هو؟ فكانوا يجيبون : الله خالق كل شيء.

قال الوالي: ما القرآن بشيء؟ قالوا : هو شيء. قال الوالي: فمخلوق . قالوا : ليس بخالق. قال : ليس أسألكم عن هذا، أمخلوق هو؟ قالوا جميعاً: ما نحسن غير ما قلنا لك. فالتفت إلى الإمام أحمد فقال :ماتقول في القرآن. قال الإمام : هو كلام الله لاأزيد عليها .

ورفع الوالي تقريره إلى الخليفة المأمون الذي استشاط غضباً على موقف هذه الثلة الطاهرة من العلماء، وشدد قبضته عليهم وأمر بكل من لايقول إن القرآن مخلوق أن يُقيد بالحديد ويساق إلى (سُرٍّ من رأى).

فإذا ببعض الأئمة العلماء يستجيبون ظاهراً - لا عقيدةً - لأمر الخليفة وتأولوا قول الله تعالى { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان } . منهم رجل اسمه أبو معمر القطيعي كان شديد التمسك بالسنة وقال : كفرنا وخرجنا.

ومنهم رجل اسمه سعيد بن سليمان المعروف بسعدويه، لما دُعي إلى المحنة خرج من دار الخليفة وقال :يا غلام قَدِّم الحمار فإن مولاك قد كفر.

كلهم أخذوا في المحنة إلا ثلاثة : الإمام أحمد بن حنبل وخليفة الإمام الشافعي وهو البويطي ومحمد بن نوح، أمر بهم أن يُشَدوا في الحديد ويسيرَ بهم إلى الخليفة، وفي الطريق تحققت كرامة الإمام الشافعي في البويطي حيث قال له قبل وفاته: « وأما أنت يا بويطي فستموت في حديد لك »، فمات الإمام البويطي شهيداً في سبيل عقيدته .

وأما الإمام أحمد فالتقى به رجل من الأعراب يقال له جابر بن عامر فسلم على الإمام وهو مقيد في الحديد وقال له: يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم، وإنك رأس الناس إلى يوم القيامة، فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه، فيجيبوا فتحمل أوزارهم إلى يوم القيامة، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل، وإنك إن لم تقتل تمت، وإن عشت عشت حميداً.

وإن هي إلا أيام حتى اقترب الركب من جيش الخليفة، ونزلوا قبل الدخول عليه يرتاحون، فجاء خادم الخليفة وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول: يعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله إن المأمون قد سلَّ سيفاً لم يسله قبل ذلك إنه ليقسم بقرابته من رسول الله لئن لم تجبه إلى القول بخُلُق القرآن ليقُتلنك بذلك السيف.

أيها الإخوة الكرام :

الأمر إذاً جدُّ خطير فاسمحوا لي أن أشد الرحال معكم إلى هناك حيث الإمام أحمد بن حنبل هنا على أطراف سورية شرقاً، فإن حدثاً عظيماً سوف يحدث، لأن الإمام أحمد ما إن سمع مقالة الخادم حتى جثا على ركبتيه والحديد في رجليه، ورفع طرفه إلى السماء وناجى مولانا ﷺ ، ناجى من لا يخيب أحداً {أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء} قال الإمام أحمد : « سيدي

غَرَّ حُلْمُكَ هَذَا الْفَاجِرَ حَتَّى تَجْرَأَ عَلَى أَوْلَئِكَ بِالضَّرْبِ
وَالْقَتْلِ، اللَّهُمَّ فَإِنْ يَكُنِ الْقُرْآنُ كَلَامَكَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ فَافْكُنَا
مُؤْنَتَهُ» .

وما أن أنهى الإمام أحمد كلامه حتى نادى رجل في
الناس: مات الخليفة المأمون (الله أكبر أشهد أن كلام الله
غير مخلوق فقولوا نشهد بذلك) .

وأمر به إلى السجن فسُجن في سجن الرقة حتى
ينظروا في أمره، وجاء عمه اسحق يطلب منه أن
يتظاهر بأنه يقول: إن القرآن مخلوق تقيّةً أمام الخليفة
المعتصم. فقال الإمام أحمد وكيف تصنعون بحديث
خباب : « إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَنْشُرُ أَحَدُهُمْ بِالْمَنْشَارِ ثُمَّ
لَا يَصْدُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ » . قال : فيئسوا منه .

فقال الإمام أحمد : لست أبالي بالحبس، ولا قتلاً
بالسيف، إنما أخاف السوط، وأخاف ألا أصبر فسمعه
بعض أهل الحبس فقالوا له: لا عليك يا أبا عبد الله فما هو
إلا سوطان ثم لاتدري.

أيها الإخوة الكرام :

مات الخليفة المأمون غريباً عن عاصمة ملكه، لكنه
أوصى من خلفه وهو المعتصم أن يستمر في المحنة
ويستعين بالمعتزلي الضال أحمد بن أبي دؤاد، وكان
المعتصم رجلاً عسكرياً أكثر منه رجل علم، بل وصفه

المؤرخون بأنه كان عرياناً من العلم، سلم مقاليد العلم لابن أبي دؤاد، وراح يسوم العلماء سوء العذاب، وعاد الإمام أحمد إلى سجن بغداد مع محمد بن نوح، ولكن ابن نوح وافته المنية في الطريق شهيداً في سبيل عقيدته.

وبقي الإمام أحمد في السجن حوالي ثلاثين شهراً ولسان حاله يقول ما قال سيدنا يوسف {ربّ السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه} وافتتح مدرسة القرآن والسنة والفقه في السجن، وكان يصلي بهم، وكان أقسى شيء عليه أنه كان لا يستطيع أن يجلس جلسة التحيات كهيئة جلوس سيدنا رسول الله ﷺ .

عطش مرة فطلب ماءً، فجيء إليه بماء وتلج، فلما وضعه على فمه ونظر إليه تركه بدون أن يشرب، فقال له السجنان : لماذا لا تشرب ؟ قال : وكيف أشرب ومن معي في السجن لا يشربون.

وكان رئيس شرطة بغداد يبعث إليه بالمنظرين المعتزلة يناظرونه وهو مقيد بالقيود، فكلما انصرفوا عنه زادوا في قيوده، وهو يقول في كل مرة: كلام الله قديم غير مخلوق.

وراحت التهديدات تتوالى، يهددونه بالسيف وأنه لا يقتلك بالسيف إنه حلف إن لم تجبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه شمساً ولا قمراً، أليس قد قال الله تعالى: {إنا جعلناه قرآناً عربياً} أفيكون مجعولاً إلا مخلوقاً .

فقال الإمام أحمد : قد قال الله تعالى { فجعلهم كعصف
مأكول } أفخلقهم ؟ قال : فسكتوا .
معشر السادة الكرام :

استدعي الإمام أحمد إلى مقر الخلافة العباسية،
فدخل على الخليفة المعتصم، فأدناه الخليفة وأجلسه بين
يديه فاستأذنه الإمام أحمد بالكلام والمناظرة مع المعتزلة
الذين هم حول الخليفة، فطلب منهم الإمام أن يعطوه شيئاً
من كتاب الله أو سنة رسول الله على أن القرآن مخلوق،
وبقي على هذا الحجة ثلاثة أيام ثم بدأت السياط تنهال
على جسد الإمام وقد شُدَّ إلى خشبتين، وهوثابت ليلين
فلما ضُرب السوط الأول قال : بسم الله .

فلما ضُرب الثاني قال : لاحول ولا قوة إلا بالله .

فلما ضُرب الثالث قال : كلام الله غير مخلوق .

فلما ضُرب الرابع قال : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله
لنا .

وراحت الأسواط تتوالى على جسد الإمام حتى
أصابته تكة سرواله فانقطعت، فرفع الإمام طرفه إلى
السماء وحرك شفتيه فإذا بالسروال يرتفع إلى بطنه ثانية
ويثبت عليه .

وكلما لان قلب الخليفة المعتصم على الإمام حرّض
عليه ابن أبي دؤاد المعتزلي، فيضربه حتى يغمى عليه .
يقول الإمام أحمد رحمه الله فأفقت بعد ذلك فإذا القيود
وقد أطلقت عني وكان ذلك في ٢٥ / رمضان سنة
٢٢١ / هـ فقال له رجل : إنا كيبناك على وجهك

وطرحناك على ظهرك ودسناك، فقال الإمام : ما شعرت بذلك. وجيء بشيء يشربه فرفض الإمام أحمد أن يفطر.

وحضرت الصلاة، فصلى والدعاء عليه، فقال له أحدهم : صليت والدم يسيل على ثوبك. فقال الإمام : قد صلى عمر وجرحه يَتَعَبُ دماً.

وضج الناس في بغداد، وتجمعوا عند قصر الخليفة حتى خاف الخليفة وصاروا ينادون: أَيُضْرَبُ سيدنا لاصْبِرْ، أَيُضْرَبُ سيدنا لاصْبِرْ.

وخاف الخليفة مَغَبَّةَ فعله فأطلق الإمام أحمد إلى منزله بعد ثمانية وعشرين شهراً في السجن، وراح الناس يعودونه في بيته، دخل رجل عليه وكان قد شاهده وهو يُجلد فقال له: يا أبا عبد الله رأيتك وقد انحل سروالك فرفعت طرفك نحو السماء فثبت، ما الذي قلت؟ ال قلت : « اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم إني على الصواب فلا تهتك لي ستراً » .

وراح الطبيب يداويه وهو يقول : لقد رأيت من ضُرب ألف سوط مارأيت ضرباً مثل هذا، وراح يقطع اللحم الميت من جسده ﷺ ، وبقي أثر الضرب فيه نحواً من عشرين سنة حتى وفاته ﷺ.

فلما سمع الإمام أحمد أن المعتصم فتح عمورية وانتصر لامرأة مسلمة نادته وامعتصماه سامحه على ما فعل به .

وجاء عصر الوثائق بعد المعتصم وأرسل للإمام أحمد قائلًا: لاتساكني بأرض واحدة، فاخترني الإمام طيلة حياته، وبدأ الوثائق يضرب بالسيف كل من ينكر أن القرآن مخلوق، ويعلق رؤوس الناس على الأبواب في بغداد شهوراً .

وقدم شيخ مقيد ذو شبيبة على الوثائق فاستحييمنه الوثائق وأدناه، وبدأ يناظر ابن أبي دؤاد الفاسق.

أيها الإخوة :

أنقل لكم هذه المناظرة من قاعة الوثائق على الموجة الإيمانية من جامع الدرويشية بعد أن تصلوا على الحبيب الأعظم ﷺ .

قال الشيخ لأحمد بن أبي دؤاد : أخبرني عن مقاتلك هذه ؟ أهى مقالة واجبة داخله في عقد الدين فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه ماقلت ؟ . قال ابن أبي دؤاد : نعم. فقال الشيخ : أخبرني عن رسول الله حين بعثه الله هل ستر شيئاً مما أمر به ؟.

قال أحمد : لا. فقال الشيخ: فدعا إلى مقاتلك هذه؟.

فسكت أحمد بن أبي دؤاد. قال الشيخ : ياأمير المؤمنين. فقال الوثائق : واحدة.

فقال الشيخ ما تقول عن الله تعالى حين قال : {اليوم

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} أكان الله هو الصادق في إكمال دينه، أم أنت الصادق في نقصانه حتى تقول مقاتلك؟ فسكت ابن أبي دؤاد..

فقال الشيخ : ثنتان. فقال الواصل : نعم.
فقال الشيخ : أخبرني عن مقالتي هذه ، أعلمها
رسول الله أم جهلها؟ فقال ابن أبي دؤاد : علمها. فقال
الشيخ : فدعا الناس إليها
فسكت ابن أبي دؤاد.
فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ثلاث. قال الواصل :
نعم .

قال الشيخ فانسع لرسول الله ﷺ أن يمسك عنها ولم
يطالب أمته بها؟ فقال ابن أبي دؤاد : نعم . فقال الشيخ :
وانسع لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ذلك ؟. قال ابن
أبي دؤاد : نعم .

فقال الشيخ : شيء لم يدع له رسول الله ولا أبو بكر ولا
عمر ولا عثمان ولا علي تدعو أنت الناس إليه، ليس
يخلو أن تقول : علموه أو جهلوه فإن قلت علموه وسكتوا
عنه فقد وسعني وإياك من السكوت ما وسعهم، وإن قلت
جهلوه وعلمته أنت فيا لكع بن لكع يجهل النبي والخلفاء
الراشدون شيئاً وتعلمه أنت .

وهنا قال الخليفة : نعم، كذا هو، قطعوا قيد الشيخ. فلما
قطعوه ضرب الشيخ بيده إلى القيد فأخذه، فقال الواصل : لم
أخذته ؟.

فقال : إني نويت أن أتقدم إلى من أوصي إليه إذا أنا
ميتٌ أن يجعله بيني وبين كفني حتى أخاصم به هذا الظالم
عند الله يوم القيامة، فأقول : يارب لم قيدني ورؤع أهلي.
ثم بكى، فبكى الواصل، وبكى من حوله.

كانت هذه المناظرة من أروع المناظرات هُزم فيها ابن أبي دؤاد هزيمة منكرة وأطفاً بها هذا الشيخ فتنة طال أمدّها وذهب ضحيتها كبار المحدثين.

ودخل بعد هذه المناظرة مهرج الخليفة يقول له : أعظم الله أجرك في القرآن. قال : ويلك.. القرآن يموت؟!!!

قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كُلُّ مَخْلُوقٍ يَمُوتُ. بِاللّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَصْلِي بِالنَّاسِ التَّرَاوِيحَ إِذَا مَاتَ الْقُرْآنُ؟!؟

ومات الواثق ثم ولي بعده المتوكل سنة ٢٣٢ هـ وكان محباً للسنة وأهلها، واستبشر الناس بولايته، وما أن تولى حتى كتب إلى الآفاق بإيقاف هذه الفتنة العمياء، ومنع كل من يقول بهذه المقالة، واستقدم المحدثين والفقهاء وأكرمهم وأجزل لهم العطايا، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات وجواز رؤية الله يوم القيامة.

وشدد على المعتزلة وبعث إلى نائبه في مصر أن يحلق لحية قاضي القضاة وأن يضربه ويطوف به على حمار لأنه كان من الضالين المضلين.

وكتب إلى نائبه على بغداد أن يكرم الإمام أحمد، وأوفد إليه عشرة آلاف درهم فقبلها الإمام على مضض وأنفقها على الفقراء مباشرة.

وفي سنة ٢٣٧ هـ استدعاه الخليفة معزراً مكرماً، وكان في الطريق إلى (سرّ من رأى) يقدم للإمام أنواع الطعام والفاكهة والثلج وهو لا يأكل منها شيئاً حتى وصل

إلى الخليفة، فقرر له راتباً شهرياً أربعة آلاف درهم
رفضها الإمام أحمد فقال المتوكل : هي لأهلك وأولادك،
فسكت الإمام عنها وعاد إلى دياره معزراً مكرماً مودعاً
بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم.

وبقي الإمام بعدها مريضاً ضعيفاً منذ أن خرج من
السجن، وزاد من ضعفه كثرة الصيام والعبادة.
يقول ولده عبد الله: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة
ثلاثمئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط صار يصلي
في كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة، وكان قد قرب من
الثمانين.

وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام، ويدعو بالليل
والناس نيام: «اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ونعوذ
بك من الذل إلا لك اللهم لا تكثر علينا فنطغي، ولا تُقلِّ علينا
فننسى، وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلاغاً
لنا في دنيانا، وغنى من فضلك. اللهم وكما صنت وجهي
عن السجود لغيرك فصن وجهي عن المسألة لغيرك،
يادلل الحيارى دلني على طريق الصادقين واجعلني من
عبادك الصالحين، اللهم أمتنا على الإسلام والسنة» .

معشر السادة الكرام :

عاقبة الظلم وخيمة، وكل من اشترك في محنة خلق
القرآن العظيم عاقبهم الله ﷻ في الدنيا، وسوف يعذبهم إن
شاء يوم القيامة، لأن الله يمهل ولا يهمل، أما ابن أبي
دؤاد المعتزلي فكان قاضي القضاة زمن المعتصم
والوائق، فلما جاء المتوكل أخرجه من (سر من رأى)

إلى بغداد بعد أن أشهد على نفسه بيع ضياعه وأملاكه
وأخذها المتوكل كلها، ثم أصيب بالفالج حتى صار ميتاً
بين الأحياء، وكان يدخل عليه الناس ليروا عاقبة الظلم
في هذا العبد الذي أذله الله.

وأما من ضرب الإمام أحمد فقد أصابه البرص.
وأما الجلاد الذي جلد الإمام أحمد فبقي خمسة
وأربعين يوماً ينبح كما ينبح الكلب.
أيها الإخوة :

بقي الإمام مريضاً في بيته والناس يعودونه، وأولاده
وتلامذته حول فراشه: أولاده ستة: صالح وعبد الله
والحسن ومحمد وسعيد وزينب. عمل عبد الله بالحديث،
وكان صالح قاضياً فقيهاً.

وأما تلامذته فكثير جداً على رأسهم الإمام البخاري
والإمام مسلم والإمام أبو داود السجستاني والإمام
الترمذي والإمام البزار وأبو زرعة الدمشقي وأبو القاسم
البغوي.

دخل عليه رجل يحب اللغة والنحو فنصحه الإمام
شعراً فقال :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل
عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ماتخفي
عليه يغيب

لهونا عن الأيام حتى تتابعتم ذنوباً على
آثارهن ذنوب

فيا ليت أن الله يغفر ماضى ويأذن في
توباتنا فنتوب

ودخل آخر يسأله عن صحته فقال :

تفنى اللذاة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى
الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها لاخير في لذة من
بعدها النار

أيها الإخوة الكرام :

اسمعوا .. الباب يُطرق على الإمام أحمد، هاهو
رجل يقول له : أصاب أُمي الفالج وأرسلتني لتدعو الله
لها. قال الإمام : ومن يدعو لنا نحن؟.

وخرج الرجل وقد استحيا من الإمام، ونظر من في
الدار عند الإمام إلى الإمام أحمد وهو يحرك شفتيه،
ولحق السائل رجل من الدار فقال له: لا تحزن قد دعا
الإمام لأمك فقد رأيتَه يحرك شفتيه. وعاد السائل إلى
بيت والدته فما أن طرق الباب حتى قامت إليه أمه تفتح
له الباب وقد شفاها الله تعالى مباشرة. (يارب بجاه
سيدنا الإمام أحمد عندك تشفينا وتشفي أحبابنا) .

وأصبح الإمام حديث عصره، وسيد وقته، وإمام الدنيا،
ديناً وعلماً وعملاً وتقوى وورعاً ، وهو يزداد في كل يوم
مرضاً على مرضه، دخل عليه أبو بكر المروزي فقال له :
كيف أصبحت يا إمام؟.

فقال : كيف أصبح من ربه يطالبه بالفرض، ونبيه
يطالبه بالسنة والملك أن يطالبه بتصحيح العمل، ونفسه

تكالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة.

كانت هذه الكلمات نابعة من قلب الإمام أحمد، فقد حضرته الوفاة بعدها وسمعه ابنه يردد: **لا بَعْد.. لا بَعْد**، فسأله ابنه. فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي يريد أن يفتنني عن ديني وأنا أقول لا بعد حتى أموت.

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٢٤٢/ هـ توفي عظيم القرن الثالث، وأعظم سند للسنة وأهلها، توفي وله من العمر سبع وسبعون سنة وأيام ﷺ. أيها الإخوة أنقل إليكم وصفاً حياً على الهواء مباشرة أعظم فاجعة حلت في القرن الثالث الهجري :

فما أن بلغت وفاة الإمام أحمد الناس حتى اجتمعوا حول داره وازدحموا على أسقف المنازل وفي الشوارع حول بيته وحضر غسله نحو مئة بيت من آل رسول الله ﷺ فجعلوا يقبلون ما بين عينيه ويدعون له ويترحمون عليه وصلّوا عليه داخل داره أولاً وقبل أن يخرج، ثم خرجت جنازته في شوارع بغداد وصارت الجنازة تتوقف في الطرقات ليصلي عليها أهل الأحياء في بغداد، فلما وصلت إلى المقبرة صلى عليه جماعة كبيرة، ثم لما دُفن صلى عليه جماعة على قبره.

ولم يبقَ أحد علم بوفاته إلا وقدم للتشييع بدون دعوة، لم يدعوهم أحد، بل جميعهم أقبلوا بقلوب حزينة وأعين باكية حتى بلغ عدد من صلى عليه نحواً من ألف ألف وسبعمئة ألف سوى الذين كانوا في السفن.

وكان الإمام أحمد يقول للمبتدعة والمعتزلة: بيننا وبينكم يوم الجنائز وهذا يوم الجنائز، أعز الله به الإسلام وكُتِبَ أهل البدع والزيغ والضلالة.

ومكث الناس أسبوعاً كاملاً رجاء أن يصلوا إلى قبر الإمام أحمد، فلم يصلوا إليه من شدة الازدحام.

وكتب على قبره: هنا قبر تاج السنة، وخبر الأمة، العالی

الهمة، العالم العابد، الفقيه الزاهد، الإمام أحمد بن حنبل.

وشوهد في المنام من عدة صالحين وهو بأتم خير وعافية، منهم أبو بكر المروذي الذي قال: رأيت أحمد بن حنبل، كأنه في روضة وعليه حلتان خضراوتان، وعلى رأسه تاج من النور، وإذا هو يمشي مشية لم أكن أعرفها، فقلت: يا أحمد ما هذه المشية التي لم أكن أعرفها.

فقال: هذه مشية الخدام في دار السلام.

فقلت: ما هذا التاج الذي على رأسك؟

فقال: إن ربي ﷻ أوقفني وحاسبني حساباً

يسيراً، وحباني وقربني، وأباحني النظر إليه، وتوجني

بهذا التاج وقال لي: هذا تاج الوقار توجتك به كما قلت:

القرآن كلامي غير مخلوق.

هذا هو الإمام أحمد بن حنبل المدرّس الرابع في

مدرسة الفقه والفقهاء مدرسة سيدنا محمد ﷺ، فما هو

حكم تقليد أحد المدرسين الأربعة في هذه المدرسة الفقهية

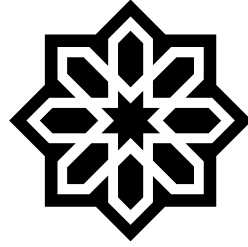
الإسلامية، هل يجب علينا أن نقلد مذهباً منها أم لا؟.

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها إن شاء الله تعالى في

الجمعة القادمة وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة
الفقه الإسلامي من مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها
عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك
ياسيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



نفحات منبرية
في
تاريخ أئمة المذاهب الفقهية



ألقاها في جامع الدرويشية
الشيخ عبد العزيز محمد سهيل الخطيب
الحسني القادري الشافعي الدمشقي





نفحات منبرية
في
تاريخ أئمة المذاهب الفقهية

حقوق الطبع لكل مسلم

١٤١٥ - ١٩٩٥

يطلب من المؤلف مباشرة

هاتف : ٣٧٣٣٣٧٥

حكم تقليد المذاهب الأربعة

- ١٣ -

الحمد لله المنعوت بصفات الكمال والتنزيه، العالم
الذي ملكوت كل شيء بيديه.
وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم المفضل .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبد ورسوله سني
الخصال.

اللهم صلّ وسلم وبارك على الحضرة المحمدية
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وعلى الأقطار
الأربعة أئمة المذاهب الذين استمدوا من معين هذا الدين
كل علم رصين، وعلى أتباعهم ذوي الأبصار الثاقبة
والعقول المرجحة نجوم الهدى ومصابيح الآخرة وسلم
تسليماً.

أما بعد :

فقد وقفت معكم طيلة ثلاثة أشهر مع أئمة الهدى من
المذاهب الأربعة، ورأينا وسمعنا كيف استمد هؤلاء
مذاهبهم من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وأصول
الشريعة الباقية، وأن الأئمة عليهم السلام ليسوا هم فقط الذين دونوا
المذاهب ونقحوها وحرروها، وإنما كان معهم أتباع علماء
بررة شهد لهم رجال عصورهم بإمامتهم للشريعة الغراء .
وكنتم علقت معكم في الجمعة الماضية سؤالاً هاماً :

ما حكم تقليد أحد المذاهب الأربعة؟ ما حكم عبادة من لم يقلد مذهباً من هذه المذاهب..؟.

ومع الدرس الثالث عشر من ملف سيرة الفقه والفقهاء أستعرض مع حضراتكم الإجابة عن هذه الأسئلة بعد أن تصلوا على سيدنا ومولانا محمد ﷺ

معشر السادة الكرام :

وقبل أن أجيب عن هذه الأسئلة الهامة جداً اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى عصر النبوة، إلى سيد الخلق وحبیب الحق سيدنا ومولانا محمد ﷺ الذي كانت رسالته نحواً من ثلاثٍ وعشرين سنة، وأنزل الله عليه القرآن {تبياناً لكل شيء} من عبادات ومعاملات وحدود وأحكام وأخلاق، ولكن كتاب الله تعالى كان يذكر الأحكام مجملة غير مفصلة، وكان الذي يبين هذه الأحكام ويفصلها هو سيدنا رسول الله ﷺ مصداقاً لقوله ﷺ : {إنا أنزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم}، هكذا مجملاً وبدون كيفية أداء الأحكام : فنجد مولانا ينزل على نبيه الكريم قوله: {وأقيموا الصلاة} فإذا بالحبیب الأعظم ﷺ يعلمنا كيف نصلي، ليسمع منكر رسالة سيدنا محمد^(١) ليسمع مجانين العصر : لولا سيدنا محمد ﷺ ما عرفنا كيف ننوي للصلاة(أصلي فرض الظهر ، أصلي فرض الجمعة) لأنه هو الذي علمنا فقال: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .

(١) فقد قام أحد التجار الفجار في مجلس من مجالس الجمعة في مسجدنا يقول للناس لانريد محمد رسول الله دعونا مع لا إله إلا الله فهذا التوحيد وراح يصرخ في المسجد كالمجنون ولولا أني أمرت الناس بعدم التعرض له وأخبرتهم بأن في عقله خيل لحدث أمر خطير مستطير .

لولا سيدنا محمد ﷺ ما عرفنا كيف نكبر للإحرام :
« مفتاح الصلاة الوضوء وتحريمها التكبير وتحليلها
التسليم » .

لولا سيدنا محمد ﷺ ما عرفنا أن الفاتحة فرض في
الصلاة « لأصلاة إلا بفاتحة الكتاب » .

لولا سيدنا محمد ﷺ ما عرفنا كيفية الركوع وأن
نقول فيها : سبحان ربي العظيم، فعندما نزل قوله تعالى
{فسبح باسم ربك العظيم} قال : « اجعلوها في
ركوعكم » .

لولا سيدنا محمد ﷺ ما عرفنا كيفية السجود وأن نقول
فيه: سبحان ربي الأعلى فعندما نزل قوله تعالى {سبح
اسم ربك الأعلى} قال ﷺ لأصحابه: « اجعلوها في
سجودكم » .

وهكذا كل حركة أو سكونة في معاملة أو عبادة أو
نكاح أو طلاق أو أخلاق حدث عنها سيدنا رسول الله
ﷺ، وكان أصحابه يعون ويسمعون ويحفظون ولكنهم
كانوا متفاوتين في الحفظ فلم يتصدر للتدريس في عهد
سيدنا النبي إلا ثلة قليلة من الصحابة منهم: الخلفاء
الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد
الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو
الدرداء، وأبو موسى الأشعري (مالك بن سنان) ﷺ .

أيها الإخوة:

نُقلت إلينا مسائل عن فتاوى هؤلاء الصحابة
الأجلاء، لكنها كانت في الأغلب خالية عن شروطها

وواجباتها وأحوالها، أي لم تعرف الفتاوى بشكلها الصحيح التي يجب أن يراعيها المفتي في فتواه، لأن سيدنا النبي علم صحابته كيفية الفتوى والاجتهاد فهو حينما بعث سيدنا معاذاً إلى اليمن قاضياً ووالياً - وكان عمره عشرين عاماً - سأله : - بم تقضي؟

فقال سيدنا معاذ: بكتاب الله . قال : إن لم تجد ؟

قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟

قال : فبرأيي.

وليس الرأي هنا إلا الاجتهاد وقياس الأمور بأشباهها.

أيها الإخوة :

أريدكم أن تنتبهوا لهذه المسألة، أن فتاوى الصحابة التي وصلت إلينا وصلت وهي عارية عن شروطها وأحوالها، وكان أغلب الصحابة وأكابرهم يقلدون أقوال بعضهم بعضاً، وضعوا خطأ تحت كلمة يقلدون، ويأخذون بأقوال بعضهم بعضاً فكان مثلاً الصحابي ابن عمر رضي الله عنه يفتي بمذهب سيدنا زيد بن ثابت فيما لم يعرفه عن سيدنا رسول الله ﷺ .

وقال مسروق(أحد التابعين): لقد رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ يسألون السيدة عائشة رضي الله عنها في الفرائض.

وفي عهد الفاروق عمر رضي الله عنه نادى في الناس أن لا يفتي بمكة إلا عبدالله بن عباس، وفي المدينة إلا عبد الله بن عمر، وفي الكوفة إلا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه .

وكذلك سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يجمع من بحضرته من الصحابة ويسألهم، وهكذا فعل بقية الخلفاء الراشدون، وإليك الدليل :

جرى في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه أن جماعة في صنعاء اليمن قد قتلوا رجلاً جماعة قتلوا واحداً، ولم يسبق أن جرت مثل هذه الحادثة من قبل، واحتار والي وقاضي صنعاء فرفع الأمر إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين، فجمع الصحابة الذين كانوا في المدينة المنورة وعرض عليهم الأمر واستشارهم فاختلّفوا في الرأي وفي نهاية المجلس قرر سيدنا عمر قراراً هاماً جداً، قال للصحابة: والله لو تمالأ (اجتمع) عليه أهل صنعاء لقتلتهم به .

فلما جاء عهد التابعين آلت الفتوى إلى صفوة التابعين ففي مكة عطاء بن رباح وطاوس بن كيسان، ومن بعدهما: أبو الزبير ثم سفيان بن عيينة ثم مسلم بن خالد الزنجي شيخ سيدنا محمد بن ادريس الشافعي رحمهم الله.

وفي المدينة المنورة ورث علم الصحابة سيدنا سعيد بن المسيب وفقهاء المدينة السبعة ومحمد بن شهاب وربيعة الرأي وهؤلاء جميعاً ورث علمهم سيدنا مالك بن انس إمام دار الهجرة.

وفي الكوفة ورث ابن مسعود وعلقمة بن قيس النخعي وشريح القاضي وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ثم حماد بن أبي سليمان شيخ الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه .

وفي البصرة كان بعد سيدنا أبو موسى الأشعري
وأنس بن مالك التابعيان الجليلان الحسن البصري
ومحمد بن سيرين.

وفي الشام كان سيدنا معاذ وعبادة بن الصامت وأبو
الدرداء والتابعي عبد الرحمن بن غنم ثم أبو ادريس
الخولاني شيخ ابن جبير ومكحول وسيدنا عمر بن عبد
العزيز وورث علم هؤلاء المفتي في عصره الإمام
المجتهد إمام أهل الشام الإمام عبد الرحمن بن عمر
الأوزاعي كان مذهبه يقلده أهل الشام والمغرب
والأندلس حيث بقي مذهبه زهاء / ٣٠٠ / سنة فيها .

أيها الإخوة :

والذي أريده من هذا السرد أن أقول لكم أن التقليد في
فروع الشريعة الغراء ليس جديداً على الأمة، لم يأت به
الأئمة الأربعة فقط بل كان موجوداً ولكننا نعود ونقول:
إن مذاهب هؤلاء الخلفاء الأئمة السابقين غير
موجودة بتفصيلاتها وشروطها وواجباتها، فقد ضاعت
منذ أزمنة طويلة لعدم وجود من حررها وجاء
بتفصيلاتها من أتباعهم ولأجل هذا قال الإمام الشافعي :
« الليث أفقه من مالك ، لكن أصحابه ضيعوه » أي بعدم
تدوين مذهبه وتحرير تفاصيله وقواعده. فلما جاء عصر
الأئمة الأربعة قاموا بعمل جليل في خدمة الشريعة
الغراء إذ أنهم وضعوا مصطلحات في الفقه أمثال قولنا :
شروط الصلاة - أركان الصلاة - واجبات الصلاة

وفصلوا في هذه المسائل وبينوها وشرحوها ووضعوا
كما نقول النقاط على الحروف.

ولأجل هذا نصّ العلماء المتقدمون وعلى رأسهم ابن
الصلاح أنه أجمع أهل العلم على أنه لا يجوز تقليد غير
المذاهب الأربعة. بل جعلت هذه المسألة إحدى مسائل
العقيدة وجعلت ناظم العقيدة يقول : ومالك وسائر
الأئمة كذا أبو القاسم هداة الأمة
وواجب تقليد خبرٍ منهم كذا حكى القوم بلفظ

يفهم

وذلك لأن أتباع هذه المذاهب قد دونوا مذاهب أئمتهم
وحرروها فرعاً فرعاً فلا يوجد حكم إلا وهو منصوص
لهم إجمالاً وتفصيلاً، وتواردت عليه (الحكم) أنظار آلاف
العلماء من أتباعهم.

لذا اسمعوا القاعدة الفقهية التوحيدية في ذلك :

لا يجوز تقليد غير المذاهب الأربعة ولو من أكابر
الصحابة والسلف. وإن كانوا أمناء مجتهدين، لعدم تدوين
مذاهبهم وقواعدهم.

هذا كله - أيها الإخوة - إذا كان المقلد غير قادر على
الاجتهاد، أما من قدر على الاجتهاد وكانت عنده الأهلية
فيحرم عليه التقليد لتمكنه من الاجتهاد.

ولكن من هو المجتهد...؟ ماهي شروط
الاجتهاد...؟ من هو الذي لا يقلد مذهباً...؟ ومن هو الذي
يأخذ أحكام الشريعة من الكتاب والسنة مباشرة؟؟ .

ليسمع الذي يدعي أنه يستطيع أن يأخذ من الكتاب
والسنة مباشرة دون اتباع أحد المذاهب الأربعة، إن الذي
يحق له ألا يتبع مذهباً يجب أن تتوفر فيه شروط:
١- أن يكون عالماً بأحكام الكتاب والسنة والإجماع
والقياس.

٢- أن يكون عالماً بأصول الفقه.
٣- أن يكون عالماً باللغة وعلومها
٤- أن يكون عالماً بالناسخ والمنسوخ وعلوم القرآن
والسنة.

٥- أن يكون عالماً بمصطلح الحديث.
ثم إذا توافرت لديه هذه الشروط عليه أن تتوفر فيه
شروط شخصية: منها البلوغ والعدالة والضبط والاتقان
والتقوى والصلاح، ولا يوجد اليوم أحد تتوفر فيه هذه
الشروط لا العلمية ولا الشخصية، فالدعوى عريضة
والعجز ظاهر.

أيها الإخوة :

اسمعوا هذه الأقوال فلعلي لأعود إلى ذكرها على
منبر سيدي رسول الله ﷺ .

يجب على الأمة اليوم أن تكون مقلدة لأحد المذاهب
الأربعة، والمقلد اليوم:

- إما أن يكون متقيداً بمذهب أحاط به فهو لايفتي
بخلاف المذهب ولا يقضي إلا به وإلا بطل قضاؤه
وبطلت فتواه.

- وإما أن يكون فقيهاً في مذهبه عرف الراجح
وضده بمحض التقليد فهذا لا يفتي ولا يقضي بغير
الراجح إلا لحاجة أو مصلحة عامة.

- وإما أن يكون عامياً ملتزماً مذهباً فهذا أيضاً
لا يعمل إلا براجح مذهبه سائلاً عن ذلك من تأهل له
ويحرم إفتاؤه بالأقوال الضعيفة إلا مع بيانها.

وما يفعله بعض العوام من أخذ الأحكام من الآيات
والأحاديث دون الرجوع إلى العلماء الأفذاذ فهو جهل
مطبق، ولا يجوز فعل ذلك لأن مولانا رحمه الله يقول {ولو
ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم} ومعلوم أن الذين يستنبطونه هم الذين
تأهلوا للإجتihad دون غيرهم.

- وأما العامي الذي لم يلتزم مذهباً فهذا عليه العمل
بما أفتاه به عالم، فإن اختلف عالمان كلٌّ من مذهب خيّر
بالعمل بما شاء منهما، فمن قلّد عالماً لقي الله سالماً،

- وأما الذي يعمل بدون علم فهذا عمله غير صحيح
أي باطل. قال ناظم الفقه:

وكل من بغير علم يعمل
أعماله مردودة
لاتقبل

أيها الإخوة :

وجاز بالاتفاق الانتقال من مذهب إلى مذهب من
المذاهب المدونة الأربعة سواء انتقل كلياً (دائماً) أو
انتقل في بعض حادثة، وإن أفتى أو حكّم أو عمّل
بخلافه، ولأجل هذا قال العلماء: لو صلى الظهر على

المذهب الحنفي، والعصر على المذهب المالكي،
والمغرب على المذهب الشافعي، والعشاء على المذهب
الحنبلي صحت صلاته بشرط: ألا يقوم بالتلفيق : وهو أن
يكون العمل بالمسألة باطلاً على كلا المذهبين المقلدين
كأن يمس يد زوجته ويصيبه الرعاف، فلا صحت على
المذهب الشافعي ولا على الحنفي.

وعلى هذا نقول: يجب وجوباً شرعياً على كل فرد
من هذه الأمة اليوم أن يقلد مذهباً من المذاهب الأربعة
كي تصح عبادته، يجب على كل فرد قبل أن يصلي
أو يصوم أو يحج أو يتطهر أن يعرف كل حركة أو سكونة
من عبادته، ماهي فروضها وماهي سننها، أي يميز بين
الفرض والسنة، وإلا لم يصح ما أتى به من عبادة إلا في
حالة واحدة:

أن يعتقد أن كل حركة أو سكونة من عبادته فرض
فإذا ترك مثلاً: المضمضة في الوضوء أعاد وضوءه كله
وكأنه ترك فرضاً.

أو ترك التسبيح في الركوع أن يعيد الصلاة لأنه
يعتقد أنه ترك فرضاً. عندها نقول إن عبادة هذا الإنسان
صحيحة.

إذاً علينا اليوم ولغاية أن نتعلم الفروض والسنن في
عباداتنا أن نعتقد أن كل ما فيها فروض، وأدعوكم جميعاً
أن تجالسوا العلماء حتى تصح طهارتكم وصلاتكم، فإذا
جاء رمضان وجب أن نجلس إليهم لنتعلم فروض
الصيام، فإذا أغنانا الله تعالى من فضله فعلياً أن نعلم

شروط وفروض الزكاة، فإذا وجب علينا الحج علينا أن
نتعلم الفروض والواجبات والسنن في الحج :
« هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين »
ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

هنا مدرسة الفقه والفقهاء المنقولة لكم على
الموجات الإيمانية العاملة من جامع الدرويشية من
مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي
التحية إلى الحبيب وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله
هي الصلاة والسلام عليك.

وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

الخشوع في الصلاة

- ١٤ -

الحمد لله الذي شرح صدور أحبائه بنور اليقين، وأذاقهم بالصلاة لذة قربيه وأنسه فشغلهم عن الخلق أجمعين، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونسأله أن يجعلني وإياكم من الخاشعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب السماوات والأرضين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، المبلغ كل ما أمر بتبليغه من رب العلمين.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد: فيقول مولانا رَحِمَهُ اللهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْحَكِيمِ :

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون - الذين هم في صلاتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون - والذين هم للزكاة
فاعلون - والذين هم لفروجهم حافظون - إلا على
أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين - فمن

ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم
لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم
يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون .

أيها الإخوة :

هذه هي صفات الأولياء المتقين والمؤمنين الموحدين ،
مدحهم مولانا بالصلاة، كما مدحهم بالإيمان، ثم مدح
صلاتهم بالخشوع، ثم ختم صفاتهم أيضاً بقوله الذين هم
على صلواتهم يحافظون فلولا أن الصلاة أحب الأعمال إلى
الله تعالى ما جعلها مفتاح أعمالهم وختامها.
والخشوع هو انكسار القلب وإخباته وتواضعه وذلتة،
وكف الجوارح، وحسن السمات، والخاصعون هم الذاكرون
الخائفون الصادقون والمقيمون الصلاة، فإذا كملت هذه
الأوصاف فيهم كانوا مخبتين.

والخشوع في الصلاة هو روح الصلاة فيها، وهي أن
أفهم وأعقل معنى كل حركة سكنة، وكل قول أو فعل أمرنا
به مولانا ﷺ في الصلاة، أن أفهم معنى كلمة (الله أكبر)
حينما أدخل في الصلاة، أن أفهم معنى الفاتحة في الصلاة،
لماذا أركع، لماذا أسجد، ماهو سر كل من الركوع
والسجود.

أيها الإخوة :

إننا مع الدرس الرابع عشر من ملف سيرة الفقهاء
وهو درس الخشوع في الصلاة .

الصلاة : التعبير العملي لعبوديتنا لله وحده، مقابل هذا التكريم الذي كرمنا به على جميع الخلائق ونفخ فينا من روحه، وعلمنا ما لم نكن نعلم وأسجد لأبينا آدم الملائكة، كل ذلك لنعبده حق عبادته، لننفي أي رب سواه ونقول معترفين: لا رب إلا أنت يا الله .

لذلك ورد في الحديث الشريف : « أفضل ما قلت أنا والأنبياء من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له » .

لا رب إلا الله، لا خالق إلا الله، لا معبود بحق إلا الله. قيامك بين يديه عبودية، وقوفك بين يديه اعتراف بألوهيته وذلك وعبوديتك، وقوفك بين يديه شعور أن الله كرمك على جميع الأمم فجعلك أهلاً لمخاطبته، أنا لي الشرف أن أقف بين يديه:

كفاني فخراً أن تكون لي رباً، وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً.

ومما زادني تيهاً وفخراً وكدت بأخمصني أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

ولكن قال لنا: إذا أردنا أن نقف بين يديه علينا أن نتبع الأصول: الطهارة، الوضوء، النظافة، استقبال القبلة، حضور القلب مع الله تعالى، لذلك اسمعوا إلى هذه الآية من كتاب الله تعالى :

{ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر }.

وكثير من الناس يصلُّون ويخرجون إلى الفحشاء والمنكر، فهل كلام الله تعالى غير صحيح !!؟ معاذ الله .

إذاً أنا عندما صليت، صلاتي لم تكن صحيحة، لما كانت صلاتي صحيحة أمر مولانا الملائكة أن تحيط بي من كل جانب، حراس، مولانا يخاف على عبده، فيرسل له الملائكة ويأمرهم أن يكونوا على يميني ويساري وأمامي وخلفي وفوقي وتحتي، حراسة مشددة، يقول: هذا حبيبي، يخاف عليه، يخاف عليه من نفسه هو، من قدره هو، مولانا يخاف على عبده من حكمه هو، اسمعوا الآية الكريمة: { له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله } . مولانا كتب حادث سيارة على عبد وإذا هو عبد صالح، مصلٍّ، مع الله، عندها يقول مولانا: هذا معي وتحت حمايتي، مادام يعبدني، فيخاف عليه ويقول للملائكة: انزلوا إلى عبدي فلان واحرسوه من كل ناحية، فتنزل الملائكة عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه، لم يحدد عددهم (معقبات) ويقول لهم: كتبت عليه بلاء وقدر، وعندما ينزل القدر أنتم ترونه وهو لا يراه، قدري لا بد أن يقع، وعندما ينزل القدر تحميه الملائكة فلا يصيبه البلاء، لذلك سيدنا النبي ﷺ حكى عن سيدنا معاوية حديثاً قال فيه: « لو نزل حجر من السماء لاحتال عليه معاوية » .

و سيدنا رسول الله يقصد أن سيدنا معاوية رجل صالح محفوظ.

{ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله. }

لذلك جعل الله العبد وراء عمله، ولم يجعله وراء أبيه وأمه وشيخه، قد يكون العبد صالحاً أكثر من أبيه، حسب الإنسان وشدة إقباله على الله تعالى، إذا أحبك الله لا علاقة لأبيك وأمك، ومن هنا كان الإصطفاء {إن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس} .
عكس الصورة:

مولانا عَجَلٌ ينادي لإبليس: إبليس هذا لك، خذه.
إبليس لا يعلم، مولانا يناديه: هذا العبد ليس لي، هو لك.

اسمع إلى الآية القرآنية: { ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين } .

ومن يعيش: (يتعمى) تقول له تعال لنصلي صلاة الجمعة، فيقول لك: لا أريد. تقول له تعال لنصلي ركعتين في مسجد الدرويشية ، فيقول لا أريد لا يصلي ولا يعبد الله، وهو عارف أن الصلاة فرض، وعامل نفسه أعمى

أسمعوا الآية: نحن، الله : نُقَيِّضُ ، نَخْلُقُ ، نُوجِدُ له شيطاناً فهو له قرين، فإذا دخل فيه القرين فلا يكون مآله إلا إلى النار، لأن الشياطين لا توحى إلا بشر، وحسب القرين إذا كان يهودياً أو نصرانياً، أو مجوسياً أو ملحدًا. وإذا حكم الله تعالى لا يبدل القول لديه.

ولأجل هذا وضع مولانا ﷺ الإيمان والعقل وقال لنا: أحاسبكم على أعمالكم {كل نفس بما كسبت رهينة}. ولهذا خلق الله الجنة والنار، وأمرنا بالعمل الصالح، لنبني منزلنا في الجنة، وجعل لنا مددين في الدنيا لدخول الجنة: الوالدين. وقال : لأمضي على ورقة دخولك الجنة حتى تكون موقعة من أبويك، يعني محال أن يرضى عليك بدون رضى الوالدين، وهذا الحديث قادم إن شاء الله تعالى بعد حين.

أيها الإخوة الكرام :

إننا اليوم مع صلة الوصل بيننا وبين الله تعالى، وأول عمل ينبغي لنا أن نقوم به لنخضع في صلاتنا، أن نحسن الوضوء، فإن إقامة الصلاة وإتمامها لا يكون إلا بالوضوء الجيد والطهارة.

وقبل أن تبدأ الصلاة، عليك أن تزيل العوائق التي أمامك، الزخارف التي تشغلك عن الصلاة، الأولاد الذين يلعبون أمامك، والمُفسديون الذي تعرض فيه البرامج ال.....

ثم استحضر عظمة الله تعالى الذي ستقف بين يديه يوم القيامة، سبّح وهلل وكبّر عشراً، وحاول أن يخضع قلبك وجوارحك قبل تكبيرة الإحرام ثم قم أمام الملك العلام، فقف على الصراط، الجنة عن يمينك، والنار عن يسارك، وائت بالنية للصلاة، واستحضرها حتى نهاية التكبير.

الله أكبر: لم يقل الله الكبير، بل قال الله أكبر، أكبر من كل ما سواه، وأعظم من كل شيء، الله أكبر، أين بقيت أمريكا، أين بقيت روسيا، أين بقيت أوروبا... الله أكبر: كلها بوالين نفّست وبادت وهلكت.

وبتكبيرة الإحرام، وصلت حبلك بحبل الله، وبدأت الكهرباء الإيمانية تسري في جوارحك، وأول ما تسري فيه من جوارحك: عينك تنظر في محرابك، ولسانك يقرأ القرآن، وأذنك تسمع ما تتلوه، وقلبك البطارية التي تدرك بالفهم ما تتلوه من كتاب الله .

ثم تبدأ بمخاطبة نفسك لتهيئها للدخول في الصلاة، فنقول: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.(من المستسلمين) لله رب العالمين، إنك بين يدي مولاك وهنا تستجير به من إبليس وأعدائه فنقول: أَعُوذُ بِاللّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ .

ومن استجار بعظيم أجاره، فكيف بمن يستجير بالله رب العالمين، يامن يسمعني ويعلم مكاني ووقوفي بين يديه أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

بسم الله الرحمن الرحيم: كل أمر ذي بال لا يُبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتَر و أجْذَم وأقْطع.

وتبدأ الكاميرا الإيمانية تصور لك مشاهد عظيمة ، عليك أن تعرضها على نفسك كل يوم سبع عشرة

مرة. عليك أن ترى الفيلم (المشاهد) كله أمامك وتعيده كل يوم سبع عشرة مرة، لا يجب أن يكون لسانك كالمسجل ينطق بما لا يعي.

وتبدأ بالحمد والثناء والتمجيد لله رب العالمين.
الحمد لله رب العالمين : لك الحمد على هذه النعمة العظيمة التي أوليتني إياها وحرمت منها اليهود والنصارى والمجوس والملحدين والمطرودين من حضرة قدسك، الحمد لله على كل نعمة أنعمتها علي أعلاها نعمة الإيجاد والإيمان والإمداد والإسلام.

رب العالمين: هو الذي رباكم : { هو الذي أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم } . { هو الذي صوركم فأحسن صوركم }

الرحمن الرحيم: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، الرحمن منبع الرحمة والرحيم منزل الرحمة، من هو الرحمن؟ من هو الرحيم؟ من هو المنعم؟ من هو الممدد؟ من هو المعطي؟ من المانع؟ من الضار؟ من النافع؟ من الملك؟ من الحي؟ من القيوم؟ هو **الله** فقولوا لا إله إلا الله.

وهنا أنت عليك أن ترى بعين بصيرتك الرحمة وهي تنزل عليك من منبع الرحمة عليك وأنت واقف بين يديه.

مالك يوم الدين: يوم القيامة، يوم ينادي مولانا والناس على صعيد واحد، كلّ الناس، أبيضهم وأسودهم، حرّهم وعبدهم، ملوكهم ورعيّتهم ظالمهم ومظلومهم،

المتألهون والضعفاء، يحشرون جميعاً يوم القيامة وهنالك يناديهم لمن الملك اليوم ؟! لله الواحد القهار ، الملك الحق والمالك الحقيقي هو: الله وحده .

وانظروا: أولاً الحمد لله رب العالمين حمد الله تعالى ثم الرحمن الرحيم: ثناء على الله تعالى، ثم مالك يوم الدين: وهذا تمجيد لله تعالى. وبعدها :

إياك نعبد وإياك نستعين: هذه قمة الفاتحة، ولأجلها شرع الحمد والثناء والتمجيد، لم يقل إياك نعبد ونستعين، بل قال : إياك نعبد - هذا مني له - وإياك نستعين - هذا منه لي - .

إياك نعبد: خذ يا مولاي صلاتي وعبادتي وتسبيحي وحمدي وثنائي وتمجيدي لك، أقدمها لك.

وإياك نستعين: أطلب العون في صحتي، العون في تجارتني، العون في دراستي، العون في زواجي...وما أحتاجنا إلى العون. كل الكون لولا الله تعالى ما عندنا منه شيء.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

والأفضل للعبد أن يطلب بلفظ الاستعانة على مطلقها، أن يرى عبادته وهو يرفعها إلى الله، ثم يرى مقابلها الرحمة تنزل عليه من السماء، وعليه أن يرى جواب طلبه مباشرة: خذ طلبك، هذه معونة الله تعالى، وإليك الدليل :

روى الستة إلا البخاري عن سيدنا رسول الله ﷺ
يرفعه الربّه ﷻ أنه قال : « إذا قال العبد: الحمد لله رب
العالمين قال الله تعالى: حمدي عبدي.
وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثني علي
عبي.

وإذا قال : مالك يوم الدين. قال الله تعالى: مجّدي
عبي.

وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط
....قال الله : هذه بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل.
اهدنا الصراط المستقيم : وأنت واقف على الصراط
تطلب الاستقامة عليه وعدم الانحراف عنه، وأن يجعلك
مولانا من الذين أنعم عليهم.
صراط الذين أنعمت عليهم : الصحابة والتابعون
والصالحون...

غير المغضوب عليهم : اليهود.

ولا الضالّين : النصارى.

وسنّ لك سيدنا النبي أن تقول آمين، أي اللهم
استجب، فأنت محتاج لتطلب من الله أن يستجيب منك
الدعاء، والمقام كله دعاء.
فاللهم استجب لنا دعواتنا ووفقنا لطاعتك ومرضاتك
آمين.

هنا مدرسة الفقه الإسلامي من مدرسة سيدنا محمد
ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب وتحيتنا
إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

الخشوع في الصلاة

- ١٥ -

الحمد لله الموجود بلا أولية، الباقي بلا آخرية، الواحد في الربوبية والألوهية، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن لا إله إلا هو ، فادعوه مخلصين له الدين، ما لكم من دونه من ولي ولا نصير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وناهياً عن الفحشاء والمنكر والبغي، وتمت كلمات الله صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلماته وهو السميع البصير.

اللهم صلّ وسلم وبارك على جميع رسل الله المبشرين والمنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزاً حكيماً، ولا سيما من ختم الله به الرسالة سيد العالمين عبده ورسوله محمداً الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فنحن اليوم مع الحلقة الخامسة عشرة المتممة لدرس الخشوع في الصلاة، وقبل أن أتابع معكم هذا الدرس اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى صاحب الجبين الأزهر والروض الأنور، إلى سيد الكائنات ﷺ وأرى

الحبيب الأعظم يوجه نصيحة غالية إلى خادمه الأمين سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، اسمحوا لي أن أنقل لكم هذه النصيحة الغالية على الموجة الإيمانية من جامع الدرويشية، يقول الحبيب الأعظم : « إذا صليت صلاةً فَصَلِّ صلاةً مودّعٍ لنفسه، مودّعٍ لهواه، مودّعٍ لعمره، سائر إلى مولاه ».

كانت هذه النصيحة الغالية العظيمة قد انطبعت في قلوب الصحابة ونفوسهم، وعملوا بها، وعمل بها التابعون من بعدهم، فقد روي عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه كان إذا صلى حسبته الطيور والعصافير خشبة من خشبات الحرم المكي، فيقفون عليه لشدة خشوعه في الصلاة مع الله تعالى.

وسئل التابعي الجليل الربيع بن خثيم عن سر خشوعه في الصلاة، فقال: « إذا قمتُ إلى الصلاة جعلتُ الجنةَ عن يميني والنارَ عن شمالي وأنا واقف على الصراط وملكُ الموت خلفي أظنها آخر صلاتي » .

هكذا كان الصاحب والسلف الصالح، حاضري القلب مع الله تعالى ينظرون إلى الله تعالى من كلامه، ويكلمونه بخطابه، ويتملقونه بمناجاته، ويعرفونه من صفاته، فإن كل كلمة ينطق بها المصلي هي عن معنى اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، أو حكم من أحكامه، أو إرادة من إراداته، أو فعل من أفعاله.

على المصلي وهو يصلي أن يتوجه إلى كل كلمة يتقوه بها عشر توجهات:

الأول: الإيمان بها - الثاني: التسليم لها - الثالث: التوبة إليها - الرابع: الرضا بها - الخامس: الصبر عليها - السادس: الخوف منها - السابع: الرجاء لها - الثامن: الشكر عليها - التاسع: المحبة لها - العاشر: التوكل فيها.

فهذه المقامات العشر هي مقامات اليقين، هي مقامات الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه..، فمن منا يصلي ويخضع قلبه لهذه المقامات العشر؟!.. اللهم اجعلنا منهم.

أيها الإخوة :

إن الموقن الذي يصلي بهذا الحضور مع الله هو ملك من ملائكة الله، لأن مولانا يقول لأمثاله: « أنت عندي كبعض ملائكتي » .

الملائكة منهم راکع، ومنهم ساجد، ومنهم قائم، يسبحون بحضور وخشوع، فإذا خضع العبد في صلاته كان مثل الملائكة، بل جمع الله له عمل أصناف جميع الملائكة .

إن الموقن إذا توجهاً للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرض خوفاً منه، أتدرون لماذا ؟ لأنه متأهب للدخول على ملك الملوك ﷻ .

فإذا كبر تكبيراً بتحقيق حجب عنه إبليس، وضرب بينه وبينه سرادقات (حواجز) لا ينظر إليه، وواجهه مولانا ﷻ بوجهه فإذا قال : الله أكبر اطلع الملك في قلبه فإذا كان صادقاً أي ليس في قلبه أكبر من الله تعالى

يقول له الملك: صدقت، الله تعالى في قلبك كما تقول، قال فيشعشع في قلبه نور يلحق بملكوت العرش، فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض ويكتب له ملء ذلك النور حسنات ^(١) .

وأما الغافل الجاهل إذا قام احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل، وإذا كَبَّرَ اطَّلَعَ الملك في قلبه فإذا كل شيء في قلبه أكبر من الله عنده، فيقول له الملك كذبت، ليس في قلبك كما تقول، قال فيثور في قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه، ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه ويوسوس إليه (التجارة، البيت، الطبخ، المفسديون السطلايت...) ويزين له كل شيء حتى ينصرف من صلاته ولم يعقل منها شيئاً، ولهذا اسمعوا هذا الحديث «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات» وفي الحديث أيضاً «إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له ثلثها ولا نصفها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها» .

ولهذا أوجب الأئمة الأعلام أو فرضوا الطمأنينة في حركات الصلاة، وجعل الإسلام الركوع تحية إلى الله تعالى، والسجود مناجاة، يعني كالذي يدخل على الملك فينحني له فيحييه، ثم يقول له الملك، اجلس بين يدي، فيجلس فيتكلم.

(١) قوت القلوب لأبي طلب المكي ٩٩٢.

هذا الشيء (الترتيب) مأخوذ من الحضرة الإلهية لذلك نهينا عن الركوع أو السجود لغير الله تعالى .
فالركوع (إذاً) تحية في اللغة، وهنا المصلي بعد أن استشعر أن الحضرة الإلهية أمامه، وسار في سرادقات الحمد والثناء والتمجيد لله تعالى حيّ الله وركع له ﷻ .
وقلت لكم العين لا تعطي الصورة، أما الروح فتعطي الصورة، فأنت

في الصلاة عليك أن توفق بينهما، وهذا معنى الإحسان، يعني مثلاً عندما تقرأ قوله تعالى : بسم

الله الرحمن الرحيم

{ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة ، الزجاج كائنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ،نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم } يجب عليك أن ترى الفيلم كله بعينك، لا يكون لسانك كاسيت يتلو دون أن يفهم، عيب عليك، تخاطب الله، وتقرأ كلامه وأنت غافل عنه.هو مقبل عليك وأنت تلتفت إلى غيره،كذلك اسمعوا لهذا الحديث « إذا قام العبد في صلاته فقال الله أكبر قال الله تعالى لملائكته ارفعوا الحجاب بيني وبين عبدي، فإذا التفت العبد في صلاته (شرد ذهنه) يقول الله تعالى عبدي إلى من تلتفت أنا خير ممن تلتفت إليه، ثم إذا

التفت الثانية قال له مثلها ثم إذا التفت الثالثة أعرض الله عنه فلم يعبأ بشيء من صلاته .

فنحن عندما نركع علينا أن نعرف أننا بركوعنا نحيا الله تعالى .

فالركوع إذا تحية، وفي التحية تعظيم، رأيته فحييته بالركوع، وخاطبته قائلاً : سبحان ربي العظيم.

لما رفعت رأسك ، هو الذي قال لك سمع الله لمن حمده ، عبيد !سمع الله لمن حمده، تشويق ، ترغيب، الله يسمعك عندما تحمده، يعني طلب منك الحمد، فتقول أنت فوراً : ربنا ولك الحمد.

هذه الكلمة (سمع الله لمن حمده) كلمته هو إنما خرجت على لسانك لكي تسمعها أذنك، لكي تحمد الله تعالى بكل جوارحك، ولهذا سنّ لنا النبي ﷺ أن نقول: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ومرة صلى أحد الصحابة خلف سيدنا النبي ﷺ فلما قال سمع الله لمن حمده قال الصحابي سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما انتهى سيدنا النبي من صلاته سأل سؤالاً قال :

من الذي قال خلفي حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، قال الصحابي أنا يا رسول الله.

فقال ﷺ : لقد رأيت بضع عشرة ملكاً يبتدرونها (كل يريد أن يسجلها في صحيفتك) .

أيها الإخوة الكرام :

فالركوع إذاً تحية ومشاهدة وخطاب، مشاهدة:
استشعار الحضرة الإلهية (كأنك تراه) وخطاب: كلمك
وكلمته.

فلما سجدت: هنا السجود أعظم من الركوع، لأن
العبد وهو قائم قد يرى نفسه بطوله وهيئته وقوته، أما في
السجود فهو ينسى ذلك كله، ويرمي على الأرض ويقول
: الله أكبر. لاحظتم سر التكبير في كل حركة من حركات
الصلاة ، كلما تحركت شرع لك التكبير، الله أكبر هل
سألت نفسك لماذا شرع كلمة الله أكبر، دون قولك سبحان
الله، أو لا إله إلا الله. إنه يعني أن ما من خاطر يأتيك في
الصلاة ويشغلك عنها إلا وَأَمَرَكَ أَنْ تعترف بلسانك وتُقرَّ
بقلبك وتُخضع جوارحك أن الله تعالى هو الأكبر إنه
يعني أن تذكر الله في صلاتك كي لا يبقى وقت في
الصلاة إلا وأنت مشغول فيه بالذكر.

اسمعوا - أيها الإخوة - وأنتم تصلون على الحبيب
الأعظم ﷺ .

إن الله تعالى خلق في الإنسان عقلاً وقلباً ونفساً،
والنفس مركزها البطن، وهي أنجس على العبد من
إبليس، قال : لأن إبليس قال عنه مولانا رحمته { إن كيد
الشیطان كان ضعيفاً } فلما جاء ذكر النفس قال { إن
النفس لأماراة بالسوء } .

والنفس ذكر لها مولانا رحمته سبع مراتب: أماراة
بالسوء، لوامة، مُلهمة، مطمئنة، راضية، مرضية، كاملة.

إن النفوس سبعة منظمة أمارة لوامة ومُلهمّة
و ذات الاطمئنان بالله وبه راضية مرضية وكاملة
واسمع معي إلى قول مولانا رَحِمَهُ اللهُ بعد أن توحد
الله {لأقسم بالنفس اللوامة} . لا: للتنبيه . والمراد:
أقسم بالنفس اللوامة.

وقال { فألهمها فجورها وتقواها } أي صار لديها
استعداد للخطاب الإلهي.

وقال { ياأيته النفس المطمئنة } تقول: لبيك فيقول
لها {ارجعي إلى ربك راضية مرضية } فإذا حصلت
هذا المراتب صارت كاملة فرضي الله عنها وصارت
خاشعة لله تعالى، قال تعالى: {ذلك لمن خشي ربه} .

وظيفتك أنت ياأخي، أن تربط نفسك بالله رَحِمَهُ اللهُ داخل
الصلاة وخارجها، ولن تستطيع ذلك إلا بالمداومة على
الذكر، حقيقة لا يستطيع العبد أن يسيطر على نفسه إلا
بالذكر لأن النفس تحب وتشتهي ولأجل هذا وضعها رب
العزة تحت (بالقبو) بالبطن.

إذاً النفس هي الخبيثة والسيطرة عليها وقتلها
وسحقها لا يكون إلا بالذكر، إلا بالتكبير – كما هو درسنا
– لذلك أعظم درس للذاكر يأخذه هو قتل النفس الأمارة
بالسوء وتحويلها إلى راضية مرضية وكاملة، الفتح
الأعظم للعبد لا يأتي إلا بالذكر، لذلك اسمعوا إلى مولانا
رَحِمَهُ اللهُ يقول: { وأقم الصلاة لذكري } أقم الصلاة لتكون
معي، حاضراً فيها معي وقال { ولذكر الله أكبر } ولذكر
الله تعالى أكبر من ذكرك أي شيء آخر، أو لذكر الله

عبده أكبر من ذكر العبد ربّه ، فالمذكور أكبر وأكبر،
واسمع إلى سيدنا رسول الله ﷺ يقول « إنما فرضت
الصلاة وأمر بالحدود والطواف وأشعرت المناسك
لإقامة ذكر الله » فإن لم يكن في قلبك للمذكور - الذي هو
المقصود من الصلاة والمبتغى منها - إذا لم يكن في قلبك
له عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك، ولأجل هذا قال سيدنا
النبي ﷺ « وجعلت قرّة عيني في الصلاة » .

أتعرفون لماذا؟ لأن رسول الله يكون عند ربه.
فعليك عندما تكبر أن تحضر قلبك مع التكبير الله أكبر =
الله أعظم

كلما جاء خاطر يشغلك عن الصلاة: الله أكبر، كلما
شرد ذهنك: الله أكبر (الله أعظم)، وأما الذي لا يعي ولا
يسمع بأن الله تعالى أكبر وأعظم وأجل وأكرم فهذا
صحت صلاته شكلاً وأما قبولها فعلى الله تعالى إن شاء
قبلها وإن شاء ردها، فإياك يا أخي أن تكون ممن رد الله
صلاتهم فتسجل في ديوان المطرودين .

اللهم اقبلنا عندك واجعلنا ممن يذكرك حق ذكرك،
يقول ﷺ « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم،
وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب
والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا
أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى يا رسول الله
قال: ذكر الله » .

{ ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون }

هنا مدرسة الفقه والفقهاء من مدرسة سيدنا محمد ﷺ
الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم ،
وتحييتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام
عليك.

وَسَلِّمْ
عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ

الخشوع في الصلاة

- ١٦ -

الحمد لله رب العالمين، موجد الأشياء بلا معين،
الذي أظهر الإنسان من سلالة من طين ثم جعله نطفة في
قرار مكين، ثم خلق النطفة علقة سوداء للناظرين، ثم
خلق العلقة مضغة وهي قطعة لحم بقدر مضغة الأكلين،
ثم خلق المضغة عظاماً مختلفة المقادير أساساً يقوم عليه
هذا البناء المبين، ثم كسا العظام لحماً هو لها كالثوب
لللبسين، ثم أنشأ خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الذي
صوركم فأحسن صوركم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من
خلقه وأمينه على وحيه وحجته على عباده، أرسله رحمة
للعالمين، وقدوة للعاملين، فهدى به من الضلالة، وعلم
به من الجهالة، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح
الأمّة، سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

فاحت بعاطر ذكرك الأيام وتفاخرت بجهادك
الأعلام
أثنى عليك الله في قرآنه فاهناً فأنت السيد
المقدام

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فيقول مولانا رَحِمَهُ اللهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } .
سميت الصلاة صلاةً لشيئين: لأنها صلة بين العبد وبين ربه، ولأنها مواصلة من الله لعبده ولا تكون المواصلة والمنال إلا لتقي « الصلاة من الآخرة فإذا دخلت الصلاة خرجت من الدنيا ».

أيها الإخوة الكرام :

إننا مع الدرس السادس عشر من ملف سيرة الفقه والفقهاء، مع هذا الدرس المتمّ لما بدأناه، في درس الخشوع في الصلاة، فقد فسّر الأئمة الأعلام قوله تعالى: { الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } أن لا تعرف مَنْ على يمينك وَمَنْ على شمالك لشدة خشوعك بين يدي الله تعالى.

يقول سيدنا سعيد بن جبیر « ما عرفت من على يميني ومن على شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة، سمعت ابن عباس يقول الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وعن شماله »

لأن الخاشع في صلاته أقبل بكليته على الله، أصغى قلبه للفهم، وخشوعه للتواضع، وسكون الجوارح للهيبة، ويرتل القرآن وهو يتدبر معانيه، إن مرّ بآية رحمة سأل ورغب، أو آية عذاب فزع واستعاذ، أو مرّ بتسبيح أو

تعظيم حمد وسبح وعظم فإن قال بلسانه فقد امتثل واتبع
السنة واسمعوا معي إلى قول مولانا رحمته :
{ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك
يؤمنون به } .

فإذا قال العبد الله أكبر أي أكبر مما سواه، فعليه أن
يوطئ لسانه قلبه، في مشاهدة الأكبر، فيكون يتلو وينظر
بعين قلبه، ولا يكون بقوله (الله أكبر) حاكياً ذلك عن
قول غيره، ولا مخبراً به عن سواه، بل يكون المتحقق
بالمعنى القائم بالشهادة، وهذا عند أهل المعرفة والحقيقة
واجب، لأن الإيمان قول وعمل في كل شيء، فإذا قلت
الله أكبر، فإن العمل بهذا القول هو أن يكون الله في قلبك
أكبر من كل شيء .

فإذا كان المصلي مقبلاً على صلاته شهد قلبه قيامه
لرب العالمين، ثم شهد وقوفه بالحضرة بين يدي الملك
الجبار، إذ ليس من الغافلين فتأخذه غيبة الحضور مع
الله، ويرهقه إجلال الحاضر، ويستولي عليه تعظيم
الرب، ويجمعه خشية الرقيب، فإذا تلا وقف همه مع
المتكلم: ماذا أراد؟ واشتغل قلبه بالفهم عنه، والانبساط
منه، فإن ركع وقف قلبه مع التعظيم للعظيم فلا يكون في
قلبه أعظم من الله تعالى وحده، فإن رفع شهد الحمد
للمحمود فوقف مع الشكر لمولانا الودود، فأعطاه المزيد
لحمده وشكره، وسكن قلبه بالرضا، لأن حقيقة الشكر
الرضا بما قسم الله لك، فإن سجد قلبه في العلو قرب من

الله الأعلى، لأنه هو الذي قال : { واسجد واقترب } (وُحِّدُوا الله رب العالمين).

والسجود - أيها الإخوة - عظيم، أعظم من الركوع، لذلك أوجبه مولانا مرتين، نكايه إبليس، وزيادة في العبودية لله تعالى، فإذا سجد المصلي عليه أن يسجد بكليته لمولانا ﷺ، يسجد بوجهه ويديه ورجليه والأعظم أن يسجد قلبه لله تعالى بالخضوع والتذلل وانكسار القلب. وعلماء الفراسة يقولون - أيها الإخوة - إن الجبين شرف الإنسان والأنف كرامة الإنسان، العين لما ترى، والأذن لما تسمع، اليدين والقدمين آلاتك فقرة الإنسان في رأسه ويديه ورجليه، فلما سجدت رميت بكل شيء على الأرض، وانسلخت من قوتك إلى قوته، ﷻ، لاحول لي، لا طول لي، استعين بك، أتوجه إليك، أعبدك، أخضع لك، تركت كل شيء لأجلك، نفوذي، جسمي، مالي، علمي، جاهي، أولادي، أرميه على الأرض وأسجد بعشرتي، أناجيه وأقول: سبحان ربي الأعلى.

سبحانك ما أعلاك وما أحقرني، سبحانك ما أقواك وما أضعفني، سبحانك ما أعزك وما أذلني. أنفك، جبينك، يديك، ركبتيك قدميك (سبعة أعظم) كلها على الأرض، وعليك هناك أن يكون جسمك في طاعته وقلبك معه معلق بهيبة وجلال ربك ﷻ

هذه الحالة يحبها مولانا ﷻ ولأنه يحبها منك جعلك تكررهما مرتين زيادة في الخضوع والعبودية، عليك أن تكررهما وتعيدها كل يوم على الأقل ٣٤/مرة، عليك أن

تعلن عبوديتك وتواضعك وذلك كل يوم / ٣٤ / مرة على الأقل، وهناك في السجود أنت أقرب إلى الله تعالفاكثر من الدعاء هكذا يقول ﷺ .

هناك التلكس، لا، الفاكس، منتهى الخضوع، وأنت ساجد على الأرض، وأنا أسأل لماذا السجود على الأرض..؟، لأن للسجود على الأرض سر عظيم.

أيها الإخوة الكرام :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى زمان بعيد جداً، إلى قرون ممتدة طويلة إلى الوراء، لايعلم مدى طولها إلا الله تعالى، الحدث هو خلق أبينا سيدنا آدم عليه السلام وأنقل لكم هذا الحدث أولاً على الموجة الإيمانية من سورة البقرة، يقول ﷻ : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } .

قال : وكان الجن قبل ذلك مخلوقين على الأرض، يقتلون ويسفكون الدماء، ولأجل ذلك قالت الملائكة هذه المقالة، فرد عليهم مولانا ﷻ { إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } .

وعلى الموجة الإيمانية من سورة الرحمن : { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ } .

وعلى الموجة الإيمانية من سورة الحجر وص~ يقول تعالى :

{ فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } .

لاحظتم هذا البناء أيها الإخوة، هذا البناء الذي فيك،
بناء إلهي هذا النقش نقش إلهي اسمع إلى مولانا يقول:
{ **خُلقك فسواك فعدلك** } .

لم يجعلك تمشي على أربع، أو زاحفاً، لأن هذه
الكيفية التي خُلقك عليها يريدك أن تتصور بها لقوله
تعالى:

{ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** } .

حاشا مولانا ﷺ أن يخلق إنساناً بهيئة قرد، فإذا ولد
إنسان مشوهاً والعياذ بالله ، يكون السبب في ذلك أبويه،
أو يكون السبب معصية كما فعل مولانا باليهود: مسخهم
قردة وخنازير.

إذاً فأنت الترابي الذي صنعه الله ﷻ والروحاني
الذي نفخ فيك الله ﷻ ، عندما تسجد ترمي ترابك فوق
التراب فتتذكر أصلك، وبروحك التي فيك تناجيه لأنها
مرتبطة به.

الإنسان - أيها الإخوة - عظمته أن الله تعالى هو
الذي صورته، ونحن عندما نشترى شيئاً (كاسة مثلاً)
يكتب عليها بلد الصنع (made in france) وأنت أيها العبد
مكتوب على قلبك (الله) صنع الله، خلق الله فهذا
المخلوق عظمته أن الله هو الذي بناه، وبيده لا بيد
الملائكة، لأن الملائكة لم يخلقهم الله بيده، بل أخذ قبضة
من نور، وقال لها كوني ملائكة فكانت، وكذلك فعل مع
الجن ، أخذ قبضة من نار وقال لها كوني جنّاً فكانت، كن
فيكون .

أما البشر فبيده هو خلط ترابه، وكان من أربعة أنواع، على اختلاف أجناس البشر ، غصاري كلسي رمل...).

ومن أربعة ألوان (أبيض وأصفر وأحمر وأسود)، وأربعة أمزجة (مائي ترابي، ناري، هوائي) .

وأرسل مولانا ﷺ سيدنا جبريل ﷺ ليحضر قبضة من هذه الأنواع من الأرض، وقال له: إني خالق منها بشراً، من أطاعني منهم دخل الجنة، ومن عصاني أدخلته النار، فنزل سيدنا جبريل ليحضر التراب، فقالت له الأرض: أعوذ بالله العظيم أن تأخذ مني خلقاً إلى النار.

فعاد سيدنا جبريل وقال لمولانا: سمعت ما قالت لي الأرض، فأرسل رب العزة إسرافيل وميكائيل فقالت لهما مثلما قالت لسيدنا جبريل، فأرسل مولانا سيدنا عزرائيل فنزل إلى الأرض فقالت له: أعوذ بالله العظيم أن تأخذ مني خلقاً إلى النار.

فقال سيدنا عزرائيل: وأنا أعوذ بالله العظيم أن أعصي له أمراً، وأخذ القبضة وارتقى إلى السماء فقال له مولانا ﷺ : وعزتي لأخلقن مما جئت به خلقاً ولأسلطنك على أرواحهم.

ثم أخذ مولانا ﷺ قبضة من تراب بيده هو، فعجنها بنور وجهه، ثم ألقاها في تراب آدم كالخميرة في العجين، ثم ألقى على التراب ماء الحزن مئة سنة، ثم أنزل عليها ماء الفرح ثلاث سنوات، حتى طابت العجينة

وصارت طيناً، وتلك العجينة التي خمرها بنور وجهه هي خميرة جسد سيدنا رسول الله ﷺ، فجسد سيدنا آدم معجون من تراب مخلوط من أربعة أصناف وخميرة جسد سيدنا رسول الله ﷺ فسيدنا آدم فيه نور الله وفيه نور سيدنا رسول الله ﷺ، واسمع معي إلى قوله وأنت تزداد بالصلاة عليه نوراً يقول « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » وقال : « إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ».

أيها الإخوة الكرام :

وترك مولانا هذه الطينة ماشاء الله تعالى حتى أصبحت حمأً مسنوناً (أسوداً منتناً) يقول مولانا ﷺ { وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون }.

ثم أخذ هذا الحمأ المسنون وبدأ بناء سيدنا آدم من القدمين وارتقى حتى أتم تصويره وخلقه ستين ذراعاً، بناه بيده هو ، لم يطلب من أحد مساعدة وتركه يجف حتى أصبح صلصالاً (فخاراً) اسمع إلى مولانا ﷺ يقول:

{ خلق الإنسان من صلصال كالفخار }.

وجاءت الملائكة لتبارك إلى الله تعالى بالخلق الجديد وجاء إبليس إبليس كان لكثرة طاعته واجتهاده وتقواه وصل إلى مصاف الملائكة، وإبليس ليس ملكاً { كان من الجن } حتى لُقّب بطاووس الملائكة، رئيس كوكبة من الملائكة، قال : لجمال مناجاته لله تعالى ولذة ذكره، ونظر إبليس إلى جسد سيدنا آدم ﷺ وراح يدور حوله،

ثم دخل في أنفه وخرج من فمه، ودخل من فمه وخرج من دبره، ثم قال : هذا سيقع وينكسر.
قالت الملائكة: لماذا؟
قال : لأنه ليس صمداً .
{ قل هو الله أحد، الله الصمد } .
الله صمد لاجوف له، وآدم ليس صمداً، أي أن له جوفاً.

قال سيدنا جبريل: يا إبليس استحيي من الله تعالى.
فقال إبليس: لأن سوّده عليّ لأعذبه، ولأن سوّدي عليه لأحتقرنه احتقاراً شديداً.
ثم أراد الله ﷻ أن يدخل فيه الروح، فما أخذ من أرواح أخرى ووضعها في آدم، بل شرفه ونسب إليه الروح، فقال تعالى:

{ ونفخت فيه من روحي }روحي :
تشريف، فالروح التي فيك نسبها مولانا إليه تشريفاً كما
نسب إليه الصالحين فقال:
{ عبادنا، قل يا عبادي } .

فالروح التي فيك سر من أسرار الله تعالى وبقية
القصة في تفسير أوائل سورة البقرة^(١) .
هنا ارجعوا معي: عندما سجدت لله ترابك ارتمت
فوق التراب وروحك وقلبك معه تتاجيه، وتقول له:
سبحان ربي الأعلى.

(١) وانظرها في كتابنا نفحات منبرية في القضايا الإيمانية في قسم النبوات باب خلق سيدنا آدم .

هذه المناجاة والتسبيح والدعاء في السجود يحبه مولانا ﷺ، وسجودك لله تحقق بالعبودية ، فإن تحققت بالذل وسألت سؤال الذليل أعطاك، اسمع إلى سيدنا رسول الله يقول « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء ».

فلما جلست للتشهد، هنا التشهد إشهد لأعضائك وجوارحك دخولك على الله تعالى كما دخل من قبل سيدنا رسول الله ﷺ، حين عُرج به إلى السماء بعد الإسراء كما ثبتت به الأحاديث الصحيحة التي بلغت حد التواتر. وكان سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء على يمينه، كلما شاهد شيئاً سأل: يا جبريل ما هذا؟ فيقول هذا النبي فلان. وهذا صوت الجنة، وهذه المرأة العجوز هي الدنيا، لم يبقَ في عمر الدنيا إلا كما بقي من عمر هذه العجوز، وارتقى سيدنا رسول الله ﷺ إلى ما فوق السماء السابعة، ثم رقي على الرفرف الخضري، حتى وصل إلى بحر عظيم أمامه، فقال: يا جبريل أرى بحراً عظيماً أمامي، فلم يجبه، فالتفت عن يمينه، فلم يجد سيدنا جبريل، فنظر خلفه فرآه بعيداً فعاد إليه وقال: يا جبريل أفي هذا المكان يترك الحبيب حبيبه، فقال سيدنا جبريل ﷺ:

يا محمد {ما منا إلا وله مقام معلوم} وهذا مقامي لو تجاوزت حدِّي لا احترقت بنور العظمة (الإلهية) اذهب فذاك مقامك، وهذا بحر النور.

وعاد الحبيب الأعظم إلى بحر النور، وسمع منادياً يقول: أجلسوه وزجوه في بحري، فجلس جلسة التحيات، وسار على بحر النور، وهناك حيث لازمان ولا مكان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، هناك تجلى الحبيب ليرى حبيبه، هناك كشف الله تعالى الحجاب بينه وبين رسول الله ﷺ فرأى رسول الله نوراً عظيماً وسرعان ما قام سيدنا رسول الله بإلقاء التحية على الله تعالى « التحيات المباركات ، الصلوات الطيبات لله » فأجاب مولانا التحية بخير منها {السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته } فقال سيدنا رسول الله (نفسي فداك يا رسول الله وقد تذكرتنا في أعظم مقام ،حقّ للحبيب الأعظم أن تصلوا عليه من قلوبكم لأن الحبيب الأعظم قال) : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » فنظرت الملائكة إلى هذه المكالمة بين الحبيب وحبيبه، بين رب العالمين ورسوله، فقالت: « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن (سيدنا) محمداً رسول الله» هذه عظمة سيدنا محمد ﷺ هذا مقام سيدنا رسول الله ﷺ لم يصل إليه مَلَكٌ مقربٌ ولا رسول مصطفى فقط سيدنا محمد ﷺ (ماخاب من صلى عليه).

فأنت يا أخي المسلم عليك وأنت تتلو هذا التشهد أن تدخل على الله كما دخل رسول الله، وأن تحيي الله كما حياه رسول الله، وأن تسلم على سيدنا النبي كما سلم عليه مولانا ﷺ أي أن لا تكون وأنت تتلو التشهد مخبراً أو حاكياً، بل تنشئ إنشاءً التحية، أنت الذي تسلم وأنت الذي

تحياي، وأنت الذي تسلم على سيدنا رسول الله ﷺ، وأنت الذي تسلم على نفسك وسمعتك وبصرك وجوارحك (السلام علينا)، وتسلم على عباد الله المؤمنين، ثم تشهد قلبك وجوارحك والملائكة من حولك، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله .

وعليك بعد أن تذكر اسم النبي (محمد) أن تصلي عليه، لأنك ذكرته باسمه الصريح، أن تصلي عليه وعلى آله وعلى أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم ﷺ ويكفيك أن تقول: اللهم صلّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم. لكن الأفضل والأكمل أن تصلي عليه بالصلوات الإبراهيمية. هذا هو درس الخشوع في الصلاة، إن لكل حركة وقول هدفاً وغاية، ومعنى ومدلولاً .

فإذا سلمت من الصلاة : السلام عليكم ورحمة الله . اسمعوا الصيغة: السلام عليكم ورحمة الله. إن كان هناك قول يقال في هذه الصيغة فهو أنك انتهيت من الصلاة، فما هو واجبك تجاه المؤمنين، تجاه الناس أجمعين، إن هذه العبارة كلمة توجيهية من مولانا ﷺ ، إنها تعني أن تعامل الناس بعد الصلاة بالسلام والأمان، لم يقل السلام على الملائكة أو السلام علينا، بل قال : السلام عليكم، عليكم أنتم أيها الناس، هل أدركت يا أخي هذه المعنى ، لا يجوز لك بعد الصلاة أن تخونهم، أن تغشهم، أن تسرقهم، أن ترتكب الفواحش معهم، بل يجب عليك أن تعيش معهم بسلام، بأمان، سلام ورحمة، هذه أعظم نهاية سعيدة يتمناها الإنسان، وليس فقط السلام

على المقربين الذين هم عن اليمين بل السلام على جميع المسلمين عن اليمين وعن الشمال بيقين ، سلام وسلام ، إنها النتيجة الطبيعية بعد العبادة، أما الشيء غير الطبيعي بعد العبادة فهو أن تنتهي من صلاتك وتخرج منها، وكأنك ذئب جائع، أو أسد مفترس، يفترس الضعفاء وتأكل أموال اليتامى ظلماً وعدواناً، شيء غير طبيعي أن تكون بين يدي مولاك تعبدته وتظهر له التذلل والعبودية، ثم تنتهي من عبوديتك بعد الصلاة لتظهر جبروتك على أهل بيتك، وتأكل أموال الناس بالباطل، اسمع يا أخي وأنت تنهي صلاتك بقولك :

السلام عليكم ورحمة الله . السلام عليكم ورحمة الله .
واسمع معي خاتمة بحث سيرة الفقه والفقهاء، اسمع معي إلى حبيبك رسول الله ﷺ يقول: « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ».

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة

له .

هنا مدرسة الفقه والفقهاء من جامع الدرويشية نقلتها لكم عل الهواء مباشرة من مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك .

الحج إلى بيت الله

الحمد لله الذي بلغ المرام حجاج بيته الحرام، فطاب لهم الوقت وصفا فهم الآن بين طواف وسعي بين المروة والصفاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا
سیدنا محمداً عبده ورسوله، شهادة ندخل بها في سلك
أهل الوفا.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد
السند العظيم، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه
الشرفاء، وسلم تسليماً.
أما بعد:

فأين نلتقي اليوم ؟ نلتقي اليوم في جامع الدرويشية،
أحد بيوت الله تعالى في أرضه ، ومع درس اليوم أنتقل
بكم إلى بيت الله الحرام لأؤدي معكم مناسك الحج نظرياً
وأسأل الله تعالى أن لا يحرمنّا من أدائها عملياً في كل
عام .

أيها السادة : اشتاقت النفوس إلى حبيب الله ، فتعالوا معاً
،نستأذن رسول الله بالحج في هذا العام ، تعالوا بنا ننفذ
آية من كتاب الله تعالى ، فإن مولانا ﷺ أنزل على نبيه :
{ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً } .

تعالوا نغتسل قبل دخول مسجد الحبيب الأعظم ،
ونزيل عنا آثار السفر، ها نحن أمام حرم رسول الله ﷺ ،

تعالوا ندخل برجلنا اليمنى ونقول ونحن داخلون : «
أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من
الشيطان الرجيم ، بسم الله والحمد لله ، اللهم صل على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ، السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين » .

تعالوا لنصلي ركعتين تحية المسجد بالروضة
المطهرة مابين الحجرة النبوية والمنبر ، وسيدنا رسول
الله ﷺ يقول : « ما بين قبري ومنبري روضة من
رياض الجنة » ، وأرى الحجاج الآن يستدبرون لقلبة
ويقفون في مقام الهيبة والإجلال مستحضرين روح
رسول الله ﷺ وهم يسلمون بخضوع وخشوع :

السلام عليك يا سيدي يا رسول الله ، السلام عليك يا
نبي الله ، السلام عليك يا خيرة خلق الله ، السلام عليك
وعلى آل بيتك الطيبين الطاهرين ، أشهد أنك قد بلغت
الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله
حق جهاده ، اللهم آتِه الوسلة والفضيلة وابعثه مقاماً
محموداً الذي وعدته، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم .

ثم إنني أرى قبرين بجوار قبر المصطفى ﷺ يشع
منهما نور عظيم ، إنهما سيدنا أبو بكر الصديق
وسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ تعالوا لنسلم عليهما :

السلام عليكما يا خليفتي رسول الله ﷺ السلام
عليكما يا ضجيعي رسول الله ﷺ ورفيقه ووزيريه
ومشيريه والمعاونين له على القيام بالدين والقائمين بعده
بمصالح المسلمين جزاكما الله عنا أحسن الجزاء .
أيها الاخوة :

وبقينا في المدينة أياماً نصلي في حرم رسول الله ﷺ
وحلقنا شعر العانة والإبط وقلمنا أظافرنا واغتسلنا
وتطيبنا وخلعنا ثيابنا ، خلعنا كل مخطط محيط ولبسنا
قطعتين من المناشف إزاراً ورداءً ، لماذا فعلنا ذلك ؟
إنها ذكرى الأكفان نخلع ثياب الدنيا ونلبس ثياباً مجردة
لا زينة فيها :

يا من بدنياه اشتغل و غرّه طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل
نحن الآن نتوجه إلى الله تعالى تركنا كل شيء
وسنلقى الله تعالى في الكفن كما سنلقاه الآن بالإحرام .
إننا نتوجه الآن في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا ،
إلى أين اتجهنا ، إلى ملك المغرب ، أم إلى ملك الأردن
أم إلى ملك السعودية ، إننا نتوجه لزيارة ملك الملوك ﷺ
ناداهم فأجابوا ، وشوقهم فاشتاقوا ، جاؤوا جميعاً إلى
أرض المحشر كما خلقهم مولانا أول مرة { ولقد
جنتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة } فرداً بدون
عقارات ، ولا دفتر شيكات ، فرادى ، هل على الأكفان
أوسمة ، هل على الأكتاف نجوم أو نسور أو سيوف ،
لاكلهم سواء ، لا فرق بين غني وفقير ، وبين أمير

وحقير، كلهم أقبلوا على الله تعالى يريدون الله تعالى .
خرج بعض الصالحين ومعه ولده للحج فلما وقع
بصرهما على الكعبة خر الولد ميتاً فوقف والده على
رأسه فسمع هاتفاً يقول : إنك خرجت تريد البيت وقد
لقيت البيت وابنك خرج يريد الله فلقي الله تعالى.

أيها السادة: وعند الميقات في (آبار علي) ها نحن
ننوي الحج إفراداً ليس قبله عمرة ، ولا معه عمرة ،
فنقول:

اللهم إني نويت الحج لك فتقبله مني لبيك اللهم لبيك .
لبيك مرة بعد مرة وقد ناديتنا يا مولانا على لسان
الخليل إبراهيم ﷺ { وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً
. }

وعلى الحجاج أن يرجوا بتلبيتهم نداء الله تعالى
حينما يخرج من قبره وعند ازدحام الناس في عرصات
يوم القيامة بين مقبولين ومردودين ، عليه أن يكون بين
الرجاء والخوف متردداً بينهما وهو يتردد في الميقات
لا يدري أييسر له إتمام الحج وقبوله أم لا .

وليأمل الحاج بدخوله مكة المكرمة حرم الله وأمنه
أن يأمن من عذاب النار ، فكرم الله عميم وشرف البيت
عظيم وحق الزائر غير مضيع .

فإذا دخل الحرم فعليه أن يعقد مع الله عهداً أن يترك
كل محرم فإن لم يفعل فقد دخل من الأبواب ولم يدخل
مع الأحباب .

أيها الاخوة :

نحن الآن داخل البيت الحرام ، على طهارة كاملة ، مستورو العورة ، لا يبدو من النساء إلا الوجه والكفان ، وهن على طهارة كاملة ، فإذا حضن حرم عليهن دخول البيت الحرام، ويحل لهن كل شيء من أفعال الحج ولكي لا تحيض المرأة فعليها باتخاذ الاحتياطات اللازمة وشرب منقوع السواك فإذا وقع بصر الحاج على الكعبة المشرفة فينبغي أن يستحضر عظمة رب البيت في القلب ، ويقدر كأنه مشاهدة لرب البيت ، وليرجو أن يرزقه الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقه النظر إلى بيته العظيم .

وليدع في هذا المقام فإن له دعوة مستجابة : اللهم ارزقنا سعادة الدارين وكفاية همهما ، اللهم اجعلنا مستجابي الدعوة بالخير ، وانتقم لنا ممن ظلمنا .
ها نحن الآن نذهب معاً لنسجل اسمنا في سجل التشريفات الإلهية فإننا نسجل أسماءنا في قطعة من الحجر تسمى الحجر الأسود. فإذا استلمنا وقبلنا الحجر الأسود فعلينا أن نعتقد أننا نبايع الله تعالى على طاعته فلنصمم على الوفاء بالبيعة، ولا نزاحم إن كان هناك ازدحام، فإن صاحب القلب الرحيم سيدنا محمد ﷺ قال لعمر ﷺ « يا عمر لا تزاحم على الحجر إنك قوي حتى لا تؤذي الضعيف » .

فرغنا من استلام الحجر الأسود وتقبيله وقلنا بسم الله والله أكبر ، نوينا طواف القدوم، ثم أعطينا يسارنا إلى

الحجر الأسود وجهة الكعبة وبدأنا نذكر الله تعالى بأنواع الذكر والدعاء حتى أتممنا الطواف سبعا .

طواف بالبيت لكل الكائنات التي تسبح الله تعالى فالكون كله يطوف، الكون كله ، من المجرة إلى الذرة يطوف ، والنجوم في أفلاكها تطوف ، الكواكب في مداراتها تطوف ، الذرة التي لا ترى بالعين المجردة تطوف الالكترونيات فيها حول النواة ، ونحن أيضاً نطوف حول مركز الدائرة، وإنما كان الطواف سبعا لأن السموات سبع ، والأراضون سبع وأيام الأسبوع، سبع والإنسان خلق من سبعة أطوار ، وهو يسجد على سبعة أعظم {ومثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة} .

فرغنا من الطواف ، فتعالوا نصل ركعتين في مقام إبراهيم ، في المكان الذي كان يقوم فيه حينما كان يبني الكعبة ، وننوي بهاتين الركعتين سنة الطواف وسنة تحية المسجد الحرام .

وكأنني أشعر بالظما فتعالوا معي نشرب من ماء زمزم ، هذا الماء الطهور الذي هو أغلى من الذهب ، ماؤها يسيل بارداً زلالاً وحبیب الله يقول « ماء زمزم لما شرب له » فاطلب من الله ما تريد من خيري الدنيا والآخرة وكان ابن عباس يدعو : اللهم إني أسألك علماً نافعاً وقلباً خاشعاً وشفاء من كل داء ، وكان ابن المبارك إذا شرب زمزم يقول : «اللهم إن نبيك محمداً قال ماء

زمزم لما شرب له وأنا أشربه بنية أن تزيل عني العطش
يوم القيامة»

يارب يا من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء
عمن ناداه، قطرة من فيض جودك تملأ الأرض رياً ،
ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر ولياً .

فرغنا من زمزم فتعالوا نسعى بين الصفا والمروة
سبعة أشواط ، ونحن نتذكر الموقف يوم القيامة حين
نتردد بيم كفتي الميزان هل نفوز أم نصاب بالخسران .
أيها السادة .

فإذا فرغنا من الطواف والسعي ننتظر حتى اليوم
الثامن، فنتوجه إلى منى ثم إلى عرفات الله حين تشرق
الشمس بنور ربها في اليوم التاسع ، أتعلمون ما هذا
اليوم ؟ إنه يوم عرفة الذي يبدأ الوقوف فيه بعد صلاتي
الظهر والعصر قصراً وجمع تقديم ، وسمع معي النداء
من كل مكان :

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد
والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

أرى الناس أفواجاً ومن كل بقعة إليك انتهوا من غربة
وشتات تساوا فلا الأنساب فيها تفاوت لديك ولا
الأقدار مختلفات

اسألوا التاريخ من الذي جمع هذه الملايين في هذا
المكان ، هل جمعهم أجهزة الإعلام ؟ هل وزعت عليهم
تذاكر دعوة ؟ هل دفعت إليهم أموال ليجتمعوا في صعيد
واحد ؟ ، من الذي جمعهم ؟ إنه الله، لبيك اللهم لبيك لبيك

وسعديك والخير في يدك تركنا كل شيء، تركنا أهلنا، تركنا أموالنا لنخضع بين يديك رجاء أن تغفر لنا، كلهم على صعيد واحد وقفوا حفاة عراة مكشوفي الرؤوس واقفين على أرض الندامة ، ولهذا لا يظن أحد أن الله سيخيب رجاءه ، بل عليه أن يحسن الظن بمولاه وأنه قد غفر له، ولهذا اسمع إلى حبيبك محمد ﷺ يقول: « أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له »

في عرفة يعرف العبد لماذا خلقه الله، ويعرف لأي شيء خلقه، يعرف الحال التي يريد بها الله منه، وهو العبودية والتذلل لمولانا فإذا لم يلاحظ العبد هذه المعاني في موقف عرفة فقد وقف على الجبل ولم يقف على معرفة الله. إن الله يباهي بنا الآن ملائكة السماء ، اسمعوا هذا النداء يقول

«يا ملائكتي هؤلاء عبادي أتوني شعثاً غبراً يرجون رحمتي ويخافون عذابي أشهدكم يا ملائكتي إنني قد غفرت لهم، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعت فيهم».

وتغرب الشمس بذنوب الواقفين، وهاهم حجاج بيت الله الحرام يفيضون إلى مزدلفة ليقفوا لحظة بعد منتصف الليل ، ثم إلى منى لرمي جمرة العقبة، ويمكن تأجيلها إلى بقية أيام الرمي لأنها كلها كيوم واحد ، وهذا يفعله الناس ليطوفوا بسهولة طواف الإفاضة وليقبلوا الحجر الأسود ولينتهوا من أداء مناسك الحج بسرعة .

فيا أيها الحجاج: هيا إلى مكة المكرمة لنطوف معاً طواف الزيارة أو طواف الركن أو طواف الصدر أو طواف الإفاضة، كلها لها معنى واحد ، نطوف كما طفنا من قبل سبعاً ، ولنحلق أو لنقصر، وبهذا نكون قد تحللنا التحلل الأكبر لمن رمى العقبة والتحلل الأصغر لمن أخرها لليوم الثاني ، والتحلل يعني العزم على أكل الحلال، فإذا لم يعزم على ذلك فما تحلل ولكن تحلل بدنه فقط

نحن الآن في اليوم الثاني من أيام العيد لنرمي الجمار الثلاث سبعاً سبعاً، الصغرى والوسطى والكبرى، فهناك حجر يلثم وحجر يرجم ، فحجر يلثم هو الحجر الأسود ، وحجر يرجم إلى حيث عرض إبليس لأبينا إبراهيم فرجمه بالحجارة .

وفي اليوم الثاني عشر من ذي الحجة رمينا كالبارحة الجمرة الصغرى والجمرة الوسطى والجمرة الكبرى (العقبة) ونكون بهذا قد انتهينا من حجنا ، فمن أراد أن يغادر مكة فعليه أن يطوف بالبيت طواف الوداع وهو واجب على ثلاثة من المذاهب وسنة على مذهب الإمام مالك ، نطوف سبعة أشواط أيضاً .

وتعالوا الآن لنقف في الملتزم وندعو بما دعى به رسول الله ﷺ ، «اللهم البيت بيتك ، والعبد عبدك ، وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى صيرتني في بلدك ، وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على أداء مناسكك فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا ،

وإلا فمَنْ عليَّ الآن قبل أن تنأى عن بيتك داري، ويبعد عنه مزارى ، وهذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك.

اللهم فاصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني ، وأحسن من قلبي وارزقني العمل بطاعتك ما أبقيتني واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة اللهم صل على سيدنا محمد صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا.

أيها الاخوة الكرام :

بعد ذلك تعالوا إلى جدة لنركب الطائرة لنصل من هناك إلى مطار دمشق الدولي ثم إلى هنا وكما انتقلنا من هنا نعود بكم إلى هنا ، هنا مدرسة الفقه والفقهاء من مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك ياسيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك .

القرآن الكريم وفضله

- ١٧ -

الحمد لله الذي قص لنا من آياته عجباً ، وأفادنا بتوفيقه إرشاداً وأدباً ، وجعل القرآن دافعاً عنا مقتاً وغضباً ، أنزله هدى ورحمة ووعيداً ورهباً .
وأرسل فينا رسولاً كريماً نجباً ، أطلعنا على الحقائق ففاق أخاً وأباً وخصنا بشريعته القويمة وحبا ، فآمنا وصدقنا وله الفضل علينا وجبا .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تكون للنجاة سبباً .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المجتبي أشرف البرية حسباً وأطهرهم نسباً ، قال لنا « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنتي .** »
اللهم صل وسلم وبارك وعظم وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله السادة النجبا وأصحابه الذين سادوا الخليقة عجباً وعرباً . وسلم تسليماً .
أما بعد فيا أيها الإخوة :

القرآن دستور المسلمين ، قراءته عبادة ، والتفكير فيه قربة إلى الله تعالى وكلما اقترب الإنسان من تحقيق الأخلاق التي رسمها كان أقرب من الله ورسوله وأحب إلى الله ورسوله ، يجعله الصالحون شعارهم ووردهم ، إنه ربيع قلوبهم الدسم وهو الرياض التي تتفتح أزاهيرها

لبصيرتهم يانعة نضرة ، وقد ورد عنه عليه السلام فيما يرويه سيدنا علي، في حديث ضعيف الإسناد أن الحبيب الأعظم وقف قائلاً لمن حوله من الصحابة : ستكون فتنة . قال سيدنا علي : فما المخرج منها يا رسول الله . قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ، ما تركه من جبار إلا قصمه الله وما ابتغى الهدى في غيره أحد إلا أضله الله .

وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم . قرنه عليه السلام مع الصيام في أكثر من حديث ليعرف المسلم أنهما أخوان متلازمان يقول عليه السلام « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة » وهذا التلازم جعل قراءة القرآن في رمضان من السنن المؤكدة، بل ورد عنه عليه السلام أنه كان يتدارس القرآن مع سيدنا جبريل في شهر رمضان يعرض عليه ما نزل من آيات الله تعالى . وكذا كان يفعل الصحابة ومن تبعهم بإحسان فقد ذكر أن قبيلة سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه كان يسمع لها في الليل دوي كدوي النحل من كثرة قراءتهم للقرآن ..

فكانت قراءة القرآن ورد الصالحين لا يتركون قراءته على الأقل كل أربعة أيام ختمة، فإذا كان رمضان لزموا كتاب الله تعالى فكنت تسمع الأعاجيب من قراءتهم ، فقد ورد عن الإمامين العظيمين أبو حنيفة

النعمان والإمام الشافعي المطلبي أنهما كانا يختمان القرآن في كل يوم وليلة مرتين مرة بالنهار ومرة بالليل، فنالا أعظم ما يتمنى الإنسان وهي الإمامة العظمى في العلم، وصدق مولانا عز وجل : من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

لكنهم كانوا عندما يقرؤون القرآن يشعرون بعظمة هذا الكتاب وتراهم يخضعون لجلال الله خاشعي القلب والجوارح حتى كأنهم من تعظيمهم وخشوعهم واقفين بين يدي الله يتلون عليه كتابه كيف لا وقد قال مولانا في كتابه : { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله } فإذا كان هذا حال الجبل مع جموده وصلابته لو أنزل عليه القرآن فكيف يكون حال الإنسان الضعيف المخلوق من ماء وتراب، لولا أننا نغفل عند قراءة القرآن لقسوة قلوبنا وقلة معرفتنا بهذا الكتاب الجليل ، مع أن مولانا أمرنا أمراً أكيداً في عدد من آيات كتابه أن نتدبر ونفهم معانيه ونقرأه ونحن حاضرو القلب ، اسمع إليه يقول لك :

{ كتاب أنزلناه ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب } . وقال في معرض الإنكار والتوبيخ : { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها } .

لذا كان جدي سيدنا علي يقول : لا خير في قراءة لا تدبر فيها

ويقول بعض السلف الصالح : لأن أقرأ إذا زلزلت
والقارعة أتدبرهما وأتفهمهما أحب إلي من أقرأ القرآن
كله .

وكان الحسن البصري يقول إن من كان قبلكم رأوا
هذا القرآن رسائل إليهم من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل
وينفذونها بالنهار .

معشر السادة الكرام :

إن أشد ما نحتاج إليه اليوم هو أن نفهم القرآن على
أنه مجموعة أوامر ونواهٍ للتنفيذ والعمل في مجالات
الحياة، والأخذ بأسباب القوة والسيادة والحرية في
الأرض لا للتبرك والتمائم والتعاويذ والتطريب
وزخرفته ووضعها في المكتبات والحديث عنه حديث
القاعدين ، إن الله ما أنزل القرآن إلا ليكون حكماً مقسطاً
بيننا في كل نواحي حياتنا ، في البيت والمدرسة ، في
الشارع ، وفي دوائر الدولة، تعالوا بنا نتناول فقرة واحدة
من رواية سيدنا علي الذي صدرت به حديثي إليكم ،
اسمعوا وأنتم تصلون على النبي ﷺ :

« ما تركه (أي القرآن) من جبار إلا قصمه الله ،
وما ابتغى الهدى أحد في غيره إلا أضله الله » تعالوا
معي نستعرض أحوال الأمة العربية الإسلامية اليوم،
انظروا إليها وقد أعرضت عن كتاب الله ، انظروا إليها
وإلى ما حصل في البلاد وبين العباد ، كيف تمزقت
الأمة بعد أن قضي على الخلافة العثمانية الإسلامية

وكيف اتبعنا الغرب الأعمى الخسيس في كشف العورات وانتشار الملاهي والموبقات .

كنا أمة وحدها القرآن وألف بين قلوبها الرحمن وجمع كلمتها رسول الله ، هذا يوم كنا نتمسك بهذا الكتاب وأما الآن فقد صدق فينا قول مولانا : { فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين }
فالله الله يا معشر المسلمين في كتاب الله ، هذا الكتاب الذي فيه عزنا وسلطاننا وهيبتنا ، فيه مكانتنا وشرفنا ،
{ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم } فيه عزكم ومجدكم { أفلا تتقون } .

والدول الغربية اليوم لا يغيظها مثل التمسك بالقرآن فقد وقف مجلس الوزراء في مجلس العموم البريطاني يخطب فيهم على رأس هذا القرن ، أتعرفون بماذا خطب فيهم ؟ قال لهم : إذا أردتم أن تنتصروا على أمة الإسلام فعليكم أن تقضوا على ثلاثة أشياء : ما هي ؟
الأول : القرآن كتاب المسلمين ، والثاني : أن تقضوا على صلاة الجمعة هذا التجمع الهائل في المساجد يذهبون إليها ليتلقوا الأوامر الأسبوعية من على المنبر صادرة من مصدري الشريعة الكتاب والسنة .
الثالث : الحج إلى مكة .

وقال لهم : إذا استطعنا أن نقضي على هذه الثلاثة نستطيع أن نقضي على الإسلام . القرآن - الجمعة - الحج .

لذا علينا أن نكون أشد تمسكاً بهذه الثلاثة ولأن القرآن دستور المسلمين ، هذا الدستور وصفه رب العزة بأنه: { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه } .

إنه تماماً كما قال رب العزة : { يهدي للتي هي أقوم } في جميع مجالات حياتنا للكبار والصغار والذكور والإناث للفقير والغني ولكافة عباد الله .
إن المصائب التي حلت بالأمة ما حلت إلا بابتعادنا عن القرآن وعدم العمل به ، إن المصائب لا تحل على الأمم التي تحكّم القرآن في سلوكها وحياتها ، لذل يوجد حديث جميل ، حديث يبين ذلك، هو حديث قدسي يقول فيه رب العزة : « إني لأريد بأهل الأرض عذاباً فإذا سمعت إلى أصوات الصبية بالقرآن رفعت العذاب عنهم» .

طفل صغير يقرأ القرآن فيسمعه مولانا فيقول ؛ إكراماً لهذا الطفل أرفع العذاب ، هذا طفل واحد ، فما بالك بالمنزل الذي يقرأ فيه القرآن ، إن المنزل الذي يقرأ فيه القرآن يراه الملائكة الذين حول العرش كالمصابيح ويعرفها المقربون إلى الله من أهل السموات والأرض ، لهذا اسمع إلى سيد الكائنات يصف البيت الذي يقرأ أهله القرآن يقول ﷺ : « إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن تنصب فوقه خيمة من نور تهدي به الملائكة الهابطة من السماء كما تهدي أنت بالكوكب الدري في البحار ، والملائكة تدعو لصاحب القرآن : اللهم اغفر له اللهم

ارحمه فإذا مات صاحب القرآن رفعت هذه الخيام
النورانية » .

هذا هو الحق والصدق ، من أجل ذلك كان الحبيب
الأعظم يشجع ويدعو ويحض على حفظ القرآن .
أيها السادة :

أدعوكم اليوم للإصغاء وفتح الآذان مع القلوب .
لماذا؟ لأن سيدنا رسول يخاطبنا منذ خمسة عشر قرناً
فأسمعونا تحية صادرة من القلب لحبيبنا رسول الله .
هاهو يقول : « من حفظ القرآن فقد استدرج النبوة
بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه » .

ويقول : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون
كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة
وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن
عنده » .

فأشعروا أنفسكم أن رحمة الله تنزل عليكم وكان
السيد الأعظم إذا بعث بعثاً (وفداً) ينادي من معه
ماجستير ، من معه دكتوراه ! ، من معه إجازة ! ، لا ،
أندرون ماذا كان ينادي كان يقول : من أكثركم للقرآن
حفظاً ، لماذا ؟ لكي يكون أميراً وقاضياً وإماماً وخطيباً ،
ومرة جاءه صبي عمره حوالي عشر سنوات أو ثمان
وقال: أنا يا رسول الله ، قال وما تحفظ؟ قال سورة كذا
وكذا . وماذا أيضاً قال وأحفظ سورة البقرة . قال حفظت
سورة البقرة ، إذهب فأنت أميرهم .

هذا تشجيع على حفظ القرآن . أندرون لماذا ؟

لأن حفظ سورة البقرة وآل عمران سماهما رسول الله ﷺ الزهراوين والغمامتين ، تأتيان يوم القيامة تظلان صاحبهما من حر يوم القيامة .

وكان نبينا ﷺ يحدث أصحابه عن سورة تشفع لصاحبها يوم القيامة إذا قرأها كل يوم اسمعه يقول لنا : « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك » لذا كان ﷺ لا ينام حتى يقرأها هي وسورة السجدة .

والمكافأة ليست لحافظ القرآن فقط بل لوالديه أيضاً فها هو سيد الوجود والبركة العامة لكل موجود (صلوا عليه) يقول : « من حفظ القرآن ألبس والداه يوم القيامة تاجاً أشد ضوءاً من ضوء الشمس » .

فإذا مات صاحب القرآن يتركه القرآن وهو يغسل ويرتفع إلى مولانا ويقول : يا رب إن صاحبي قد مات . فيقول مولانا وماذا تريد فيقول : يارب شفني فيه . فيقول مولانا جل جلاله اذهب فقد شفعتك فيه .

فينزل إلى الأرض فيوضع المَلَكُ المتمثل بالعمل الصالح بين الجسد والكفن (يلفان معاً) ، هنا تظهر الأخوة، أخوة القرآن أخوة حقيقية يلف مع صاحبه ، ويدخل معه القبر ، يتركه أهله وذووه وماله وأبوه وأملاكه وأصحابه فيسمع صوتاً يقول له :

(عبي تركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا أموت) .

هناك / القرآن ينفع صاحبه في هذا السفر الطويل الممتد إلى يوم القيامة ، سفر طويل لا يدري كم أمده .

إن أحدنا إذا سافر إلى إنكلترا جهاز الإسترليني ، وإذا ذهب إلى أمريكا جهاز الدولار ، وإلى ألمانيا المارك ، وإلى اليابان الين ، وإلى روسيا الروبل و...و أما حين يذهب إلى الله فليس من عملة يتعامل بها ، لأن المسافر إلى الآخرة لا ينفعه إلا القرآن والعمل به ، القرآن يدخل معه القبر ويتصور له بصورة مَلَك حسن الخلقة بهي الطلعة جميل الصورة يقول له حين يفرع من رؤية منكر ونكير وقد سألاه: من ربك وما دينك وماذا كنت تقول في هذا الذي أرسل إليك ، الملك يقول لقارئ القرآن : لا عليك فقد سألت ربي لك الشفاعة فَشَفَّعَنِي فِيكَ .

هذا هو صاحب الذي يصمد ، القرآن ، ولهذا نهى رسول الله ﷺ أن يسأل أحد غير الله بالقرآن فقال : « إقرأوا القرآن ولا تسألوا به أحداً إلا الله ، وسيأتي بعدي أقوام يقرؤون القرآن ويسألون به الناس أولئك لا خلاق لهم في الآخرة » .

وفي الحديث الحسن : « من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم » .

أيها السادة الكرام :

اسمعوا هذه النصيحة الأخيرة التي ينصحها لنا
الحبيب الأعظم موجهاً كلامه لسيدنا معاذ قال له : « يا
معاذ ادرس القرآن إن أردت عيش السعداء وميتة
الشهداء والنجاة يوم الحشر » . يا معاذ إن القرآن
يعطيك الأمن يوم الخوف ، والهداية يوم الضلالة .
فسمعاً وطاعة يا رسول الله ، سمعاً وطاعة يا حبيب
الله ، نحن على العهد إن شاء الله ، نحن هنا وما أدراك ما
هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن
يؤدي التحية للحبيب وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله
الصلاة والسلام عليك .

فقه الصيام

- ١٨ -

الحمد لله الذي أسعد من هداه إلى الإسلام ، وجعل من أعظم أركان الدين فريضة الصيام ، وخص الصائمين بمزيد من البر والإكرام ، فحباهم بباب يدخلون منه إلى دار السلام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله تفضل على عباده بما شاء من غير سابقة منهم إليه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي رفع قدره على جميع الخلق مناً منه عليه ، فأرسله إلى الأبيض والأسود الأحمر والأصفر فقال لهم «عري الإسلام وقواعد الدين ثلاثة : عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة وصوم رمضان » .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين .

أما بعد :

إذا كان شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصُفدت الشياطين ونادى مناد من قبل الواحد الديان يا باغي الخير أبشر وباغي الشر أقصر .
رمضان وما أدراك ما رمضان ، الرء رحمة ، والميم مغفرة ، والضاد ضمان للجنة ، والألف أمان من النار ، والنون نور من الواحد الديان .

إنه شهر عظيم مبارك شهر ما سأل الله فيه سائل إلا أعطاه ، ولا استجار مستجير به إلا أجاره وكفاه ، ولا أناب إليه منيب إلا قبله واجتباؤه ، ولا تعرّض لمعروفه طالب أو فقير إلا أجاد عليه وأغناه ، ولا استقاله مستقيل إلا استقاله وحباه .

شهر قال فيه الحبيب الأعظم ﷺ : « لو تعلم أمتي ما في رمضان لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان » .
من صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر فيه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

شهر قال السيد الأعظم ﷺ : « من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً » .

شهر الصيام لقد علوت مكرماً وغدوت من بين الشهور معظماً

يا صائمي رمضان هذا شهركم فيه أباحكم المهيمن
مغنماً

يا فوز فيه من أطاع ربّه متقرباً متجنباً
ما حرماً

والويل كل الويل للعاصي الذي في شهره أكل
الحرام وأجرما

أيها السادة الكرام :

لشهر رمضان أسرار لا يعلمها إلا أرباب القلوب ،
وعلى رأسهم الأنبياء والرسل لهذا اسمع إلى سيد
الكائنات يقول : « صوموا تصحوا » ويقول طبيب
العرب الحارث بن كلدة : « المعدة بيت الداء ، والحمية
رأس كل دواء » .

ولهذا شرع لنا الرب تبارك وتعالى هذه الاستراحة
والعبادة الشرعية ليرتاح الجسد من عناء وسموم
الأطعمة التي قد تضر بالبدن، فكيف نصوم الصيام
الشرعي، كيف ترقى أرواحنا إلى مستوى الحكمة من
فريضة الصيام، إننا نشاهد أصنافاً ثلاثة في صوم
رمضان

صوم العوام ، وصوم الخواص، وصوم خواص
الخواص فأما العوام فيصومون عن شهوتي الفرج
والبطن، وأما الخواص فتصوم جوارحهم وسمعهم
وبصرهم ولسانهم وأيديهم وأرجلهم وكل جزئية من
جزئيات أجسامهم عن المآثم والمعاصي .

وأما صوم خواص الخواص فتصوم قلوبهم عن ما سوى الله عز وجل ، لو غفلوا عن الله لحظة في أثناء صومهم ، يعدون أنفسهم مفطرين ويوجبون على أنفسهم قضاء ذلك اليوم .

حتى لو تفكروا ما الذي سيفطرون عليه يعتبرون أنفسهم قد أخطؤوا لقلة وثوقهم بفضل الله تعالى وقلة يقينهم برزقه الموعود .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح ولهذا تعلمنا من مدرسة الحبيب الأعظم في رمضان: إنما الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل .

فنحن أمام صوم عالي المستوى يصبح العبد فيه ملائكياً ترك شهوته في سبيل الله فأصبح في مصاف الملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

هذا هو الجوع الإسلامي الذي حدد مفهومه سيد الصائمين وحبيب رب العالمين ، اسمعه يقول لأم المؤمنين السيدة عائشة : «داومي قرع باب الجنة ، قالت بماذا يا رسول الله ؟ قال بالجوع» إن المسلم عندما يذوق مرارة الجوع وحرارة العطش يدرك نعم الله عز وجل فيشكره حق شكره شكراً صادراً عن القلب .

وقد عرض رب العزة على سيد الوجود عرضاً - فتعالوا معشر الاخوة - لنشهد هذا العرض الرباني على الحبيب المحبوب : « إن مولانا عرض عليه أن يجعل له

بطحاء مكة ذهباً أتدرون بماذا أجابه الحبيب المصطفى :
قال : لا، يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت
تضرعت إليك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك » ، هذا هو
السر إذاً في فريضة الصيام على أمة سيدنا محمد والأمم
من قبلهم.

فبماذا استقبلناك يا رمضان ، ماذا أعددنا لك يا
رمضان ، قد أعددنا لك كل طعام نفيس وشراب لذيق
فالأهل والعيال يشغلون ليله في تهيئة السحور، ونهاره
في تحضير الفطور ، حتى إذا مدت المائدة حار الآكل
في كثرة الألوان والمشتهيات فلا يدري من أين يأكل ،
فيقوم عن الطعام وقد أتخم من الإكثار والاختلاط ، فإذا
قام إلى الصلاة قام كسلاً لا يذوق لها لذة ولا يشم لها
رائحة خشوع ، وربما تفوته الصلاة بالكلية ، ولا سيما
من ألف الجلوس في المقاهي والطرقات وليالي السمر ،
أما شارب الدخان فيجعل فطوره عليه ، ويختم سحوره
به بدلاً من الأذكار والاستغفار عند الإفطار وفي الأسحار
فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما سيدنا محمد ﷺ فكان إذا دخل رمضان شدّ
منزله، ثم لم يأت فراشه حتى ينسلخ ، كان لا يستمتع
بنسائه طوال شهر رمضان ويبقى منشغلاً بالعبادة
والطاعة ، واسمعوا معي إلى هذا الوصف الذي وصفت
به أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها سيدنا
محمداً ﷺ قالت : « كان رسول الله إذا دخل رمضان
تغير لونه وكثرت صلاته وابتهل في الدعاء وأشفق لونه

، أي صار كالشفق في الصفرة من شدة خوفه من الله تعالى والانصراف إلى العبادة وتقليل الطعام (يأسد من صلى عليه) .

معشر السادة :

ولكي نصل إلى الصوم الذي يريده منا سيدنا رسول الله ﷺ علينا أن ننوي كل ليلة فرض الصيام (لليوم التالي) من غروب الشمس إلى حتى ما قبل الفجر بلحظة ، لأن نبينا الأعظم قال لنا « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .

وجاز عند المالكية نية الشهر كله من أول ليلة منه ، لكن من نسي هذه النية جاز أن يأتي بها (عند الحنفية) قبل الضحوة الكبرى أي قبل الظهر بساعة تقريباً .

والفرض الثاني : الإمساك عن تعاطي المفطرات عمداً كالأكل والشرب والحقنة والوطء والاستمناء والقيء عمداً أو الردة عن الإسلام والعياذ بالله .

فيحرم على الصائم أن يدخل شيئاً عمداً من أحد منافذ الجسم الخمسة (وهي الفم والأنف والأذن والقبل والدبر) وأما إن نسي فأدخل منها شيئاً فلا يفطر ، وكل ما أدخله من غير هذه المنافذ كالإبرة الوريدية أو تحت الجلد فهي غير مفطرة لأنها منافذ غير طبيعية للجسد .

فإذا نفذنا هذه التعليمات والوصايا نلنا المكافآت التشجيعية التي قدمها لنا سيدنا رسول الله ﷺ في حديث عظيم قال لنا فيه :

«إذا صام المؤمن أول يوم من رمضان غفر الله له ما تقدم من ذنبه إلى مثل ذلك اليوم من شهر رمضان . واستغفر له كل يوم سبعون ألف ملك من صلاة الصبح إلى غروب الشمس وكان له بكل سجدة يسجدها في شهر رمضان بليل أو نهار شجرة يسير الراكب في ظلها خمسمئة عام » .

وأما الذي يصومه في مكة المكرمة فإنه يضاعف ثواب صيامه إلى مئة ألف يقول ﷺ « من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر كتب الله له مئة ألف شهر رمضان ، وكتب له بكل يوم عتق رقبة ، وبكل ليلة عتق رقبة » .

إنه باختصار شهر عظيم مبارك ما مرّ على المسلمين خير لهم منه، ويكفي أن فيه ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر، أتدرون من هو الذي يُقبل في هذه الليلة العظيمة ؟ أدعُ الجواب لجدي سيدنا رسول الله ﷺ . يقول ﷺ « من فطر صائماً في شهر رمضان من كيس حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبرائيل عليه السلام في ليلة القدر » بل اسمعوا إلى هذه النعم يقول الحبيب الأعظم عن شهر الصيام والبركة «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي : أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عزوجل إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً » .

وأما الثانية : فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب
عند الله من ريح المسك .

وأما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم في كل ليلة .

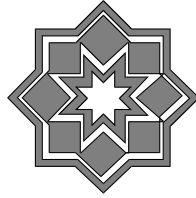
وأما الرابعة : فإن الله عزوجل يأمر جنته فيقول لها
استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من عناء
الدنيا إلى داري وكرامتي .

وأما الخامسة : فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم
جميعاً .

هذا هو الفضل المبين وهذا هو الكرم الإلهي العميم
فقولوا لربنا الحمد .

فاللهم اجعلنا منهم واغفر لنا مثلهم وتقبل منا صيام
هذا الشهر خالصاً لوجهك الكريم .

أعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا
مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية
للحبيب وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة
والسلام عليك .



زكاة الفطر

- ١٩ -

الحمد لله الذي خصنا من بين سائر الأمم بشهر
الصيام الصبر، وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب
بماء القطر ، فله الحمد والمنة أن رزقنا صيامه وإتمامه
وأسأله تعالى أن يكرمنا بعيد الفطر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
نرجو بها النجاة من أهوال القيامة ومن فتنة القبر .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله شفيع الخلق
يوم الحشر الذي قال لنا : صوم رمضان معلق بين
السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وأتباعه ما دارت الأفلاك وتعاقب
الدهر وسلم تسليماً .

أما بعد:

فيقول مولانا عز وجل في كتابه الحكيم { مثل الذين
ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع
سنابل في كل سنبل مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء
والله واسع عليم } .

أيها الأخوة: يبدأ القرآن الكريم بالحث على الإنفاق
في سبيل الخير بتشويق النفس الإنسانية إلى الربح الذي

تناله من جراء إنفاقها المال في سبيل الله ، وهو ربح عظيم يفوق ما اعتاده الناس من الربح في معاملاتهم .
فإن من عادة التجار أن يفرحوا إذا ربحوا عشرة بالمئة أو أكثر ولكن الربح الأخرى في الإنفاق يبلغ عند الله أضعاف ذلك عشرات المرات .

واشترط القرآن لقبول الإنفاق وإعطاء الأجر عليه أن يكون خالصاً لله دون رياء ولا منٍّ ولا سُمْعةٍ . كما يقع من كثير من المحسنين المرائين الذي يريدون بما أنفقوا سمعة الناس وثناء الناس ومدحهم ، ويريدون إظهار المنة والفضل على إخوانهم المحتاجين فإن مثل هذا الإنفاق يؤدي كرامة المجتمع وكرامة النفس الإنسانية، ويؤدي إلى العداوة والبغضاء، ويجعل الفوضى بين المسلمين .

وأما الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يؤذون أحداً من الفقراء ولا يمنون عليه فهؤلاء هم الذين ضمن الله لهم هذا الأجر الكبير والربح العظيم وشملهم برحمته وعنايته فلا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس واسمع إلى مولانا عز وجل يبشرنا بذلك فيقول على الموجة الإيمانية من سورة البقرة { الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } .

أيها السادة :

إننا في الصفحة الرئيسية من ملف زكاة الفطر وأرى في رأس هذه الصفحة حديثاً للحبيب الأعظم ﷺ ، فها هو قد جمع صحابته وخطب فيهم قائلاً « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واعلموا أن تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أبدانكم وزكاة أموالكم ، وإن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعَرُوا إلا بما يصنع أغنياءهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً » .

إننا إذاً في الحديث عن الركن الثالث في الإسلام وهو الزكاة ، فما من « صاحب ذهب أو فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» (ق) .

وليس هذا فحسب ، بل إن مانع الزكاة من الأوائل الذين يدخلون النار فقد ورد في الحديث الحسن قول الحبيب الأعظم ﷺ : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلّط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله ، وفقير فخور » { فلا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة } .

وأما أولئك الذين يقدمون من أموالهم ما أمر به الشرع المطهر فإن الله وعدهم بالفلاح والنجاح { الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } ، { قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى } أسمعتم هذا الكلام من رب الأنام إن مولانا يقول لنا قد أفلح من أخرج زكاة بدنه أو فطره ثم صلى صلاة العيد، واسمع معي إلى حبيبك يقول (د) « صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ورفقاً بالفقراء » وقال لنا (هب - قط) : « أغنوهم عن ذل السؤال في هذا اليوم » .

هذه الأوامر النهائية التي نختم بها هذا الشهر الكريم في آخر يوم منه، إننا في الصفحة الأولى من ملف زكاة الفطر التي أوجبها الإسلام على الذكر والأنثى والصغير والكبير والغني والفقير إذا كان لديه فضل من مال يزيد عن قوته وقوت عياله في يوم العيد وليلته عند جمهور العلماء .

وأما السادة الحنفية فأوجبوها على الغني الذي يملك نصاب الزكاة وقدره ٢٠٠ درهم فضة أو قيمته أي بحدود ٥٦٠٠ ليرة سورية (١٩٩٤) وقد فرضها رسول الله ﷺ على الناس في السنة الثانية من الهجرة صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير عن كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين وتقدر بـ ٢ كغ تقريباً .

فيخرج الرجل (عند الجمهور) عن نفسه وزوجه وأولاده الصغار ولو أفطروا في رمضان بعذر أو غير

عذر ، كذا عن والديه إن كانا يعيشان في كنفه . وعند الحنفية لا يجب إخراجها عن زوجها وأبويه ، وأما كل من لا تجب عليه نفقتهم (كوالديه اللذين لا يعيشان في كنفه أو أولاده البالغين العاقلين) فهؤلاء يخرجون عن أنفسهم أو يוכלون من يخرج عنهم فعلى العبد أن ينتبه لذلك إذا أراد أن يخرج عن والديه أو أولاده البالغين فعليهم أن يוכלوه بإخراجها وإلا لم يجزئهم عند الشافعية، ويجزئهم عند الحنفية إن وافقوا على ذلك بعد ذلك .

ولا تكلف المرأة أن تدفع صدقة الفطر عن أولادها ولو كان زوجها فقيراً ولكن يستحب لها ذلك.

والأفضل أن تعطى لذوي الأرحام للأخ والأخت الفقيرين وأولادهما البالغين ، وتعطى للعم والعمة والخال والخاله الفقراء وأولادهما البالغين . لما ورد: إن الله لا يقبل صدقة عبد وفي قرابته محايج .

ولا تعطى صدقة الفطر للأصول (الجد والجدة والأب والأم) ولا للفروع (الأولاد وأولادهم) عند جمهور العلماء، وأجاز السادة المالكية والشافعية إعطاءها لأولاده إذا كانوا بالغين عقلاء وزاد الشافعية أن لا يكونوا عاجزين .

وجاز عند السادة المالكية والشافعية فقط أن تعطى المرأة لزوجها من زكاتها إن كان فقيراً .

وجمهور العلماء على دفعها من الطعام من غالب قوت البلد وأفضلها القمح ثم الشعير ثم الذرة ثم الأرز ثم

الحمص ثم العدس ثم الفول ثم التمر ثم الزبيب ويجزئ
الأعلى عن الأدنى دون عكسه

فيجب إخراجها بمقدار صاع عند الشافعية ٨.٥ أوقية
تقريباً (١٧٢٨ غرام).

فإذا أراد العبد إخراج القيمة دون الطعام فعليه أن
يخرجها على مذهب السادة الحنفية ١٨٢٠ غرام أي
٢ كغ تقريباً من القمح أو سواها .

ويجزئه عند الحنفية أن يخرج أدنى شيء من أنواع
القمح فإذا كان سعر القمح من الحد الأدنى ١٤ ل.س كما
يبيعه الناس اليوم فإنه يجزئه أن يخرج ٢٥.٥ ل.س كما
يكفي عندهم خبز القمح بالقيمة نفسها فيوزع خبزاً بقيمة
٢٥.٥ ل.س .

ويجوز عند الأحناف وقول عند الشافعية نقل الزكاة
إلى خارج البلد إلى قرابة محتاجين أو قوم هم أمس
حاجة من أهل بلده .

وتجب صدقة الفطر قبل صلاة العيد ويجوز التعجيل
بدفعها من بداية رمضان عند الحنفية والشافعية وقبل
العيد بيوم أو يومين عند المالكية والحنابلة.

ويكره تأخيرها لما بعد صلاة العيد وعليه أن يدفعها
ولو بعد الصلاة لقوله ﷺ « الصيام معلق بين السماء
والأرض حتى تؤدى صدقة الفطر ».

ولا يجوز تأخير إخراجها بعد أيام العيد عند الشافعية.
وتصرف زكاة الفطر للأصناف الثمانية التي ذكرها
رب العزة في كتابه:

{ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها
والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله
وابن السبيل } .

والموجود الآن من هذه الأصناف أربعة :
الفقير : من لديه أقل من نصف ما يحتاجه .
المسكين : من يملك أكثر من نصف ما يحتاجه ولم
يصل إلى قدر كفايته
الغارم : المدين ، الذي عليه دين فيدفع له لقضاء
دينه .

ابن السبيل : وهو المسافر الذي فقد ماله فيعطى
ليصل إلى أهله
فإذا أعطاها لأحد هذه الأصناف صح إخراجها ، فإن
تبين بعد ذلك أنه غير فقير أو غير مسكين أو غير مدين
أو غير عابر سبيل لم تجزئه زكاته إلا عند الحنفية .
أيها السادة :

هذه هي أحكام زكاة الفطر وقبل أن أجلس جلسة
الاستراحة أذيع على حضراتكم الأنباء التالية على
الموجات الإيمانية من المدينة المنورة يذيعها عليكم القائد
الأعلى للأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ يقول لنا : « إذا
كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إلى خلقه وإذا
نظر الله إلى عبد لم يعذبه أبداً . والله في كل يوم ألف
ألف عتيق من النار

فإذا كانت ليلة تسع وعشرين أعتق الله فيها مثل
جميع ما أعتق في الشهر كله.

فإذا كانت ليلة الفطر ارتجّت الملائكة وتجلّى الجبار
تبارك وتعالى بنوره فيقول للملائكة وهم في عيدهم من
الغد: يا معشر الملائكة ما جزاء الأجير إذا وفى عمله .
فتقول الملائكة : يوفى أجره .».

فيقول رب العزة : أشهدكم أني قد غفرت لهم

(الأصبهاني)

وأنا أنقل إليكم هذه البشارة، فقوموا قد غفر الله لكم .
هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن
يؤدي التحية للحبيب، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله
هي الصلاة والسلام عليك .

الله

خطبة عيد الفطر

- ٢٠ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر (٩)

الله أكبر تكبيراً يحيي رجاء الصابرين فتنتعش به
قلوب الموحدين

الله أكبر تكبيراً يزيل الفرقة بين صفوف المسلمين .

الله أكبر قادر على أن يعيد مجد الغابرين .

الله أكبر متى يشعر الضعيف أن جند الله قوته .

الله أكبر متى يشعر الضعيف أن بيت المال ثروته .

الله أكبر متى يشعر الوحيد أن المؤمنين إخوته .

الله أكبر هل تزول الفروق بين بني الإنسان .

الله أكبر هل تزول الحدود بين الأوطان .

الله أكبر ضاقت فلما استحكمت فرجت وكان حقاً
علينا نصر المؤمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر

عبدہ ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، وليس لنا رباً سواه ،

ولا معطياً إلا إياه ، ولا مفرجاً من الكرب إلا رب
الأرض والسماء .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله كشف الله له

الغطاء عن أمته فوجدهم سيختلفون ووجدهم سيتفرقون

فأنزل عليه ربه بما يأمرنا به ، { واعتصموا بحبل الله
جميعاً ولا تفرقوا } ، { وأن هذه أمتكم أمة واحدة }
وقال لنا : إن تفرقكم هذا من الشيطان
اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد :

فاتقوا الله معشر المؤمنين واعلموا أن يومكم هذا يوم
سرور ، سرور لمن صحت نيته وقُبل صومه ، يوم فرح
وسرور لمن طابت سريرته وحسن خلقه ، هذا يوم عفو
وإحسان لمن أساء فأناب وتاب ، وأنقل لكم أولى وصايا
الحبيب الأعظم ونحن نفتتح اليوم الأول من أعياد
المسلمين فرسول الله يقول لنا « لن تدخلوا الجنة حتى
تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء
إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » .

إن هذا العيد عيد السلام والتبسم ، عيد جبر الخواطر،
فيا من صام رمضان هنيئاً لكم بما أسلفتم في الأيام
الخالية ، صتمتم إيماناً واحتساباً فنلتهم مغفرة لماضي
ذنوبكم ، وها هي سجلاتكم قد ابيضت أوراقها ، وها هي
قلوبكم قد سمت بالطاعة فلا تدع يا أخي موسماً من
مواسم الخير يفوتك بعد اليوم تقرب إلى الله ما استطعت
فهو الذي يقول: «من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً
ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني
يمشي أتيته هرولة» (من تقرب إليه بطاعة قليلة جازاه
الله عليها بمثوبة كبيرة) .

معشر السادة :

أنتم الآن في إجازة ربانية تعبدية فأياك أن تنسى أنك على مقربة من مولاك ، واعلم أنه مطلع عليك ومتوجه بال العناية إليك فلا تعصه ولا تجعله يراك حيث نهاك ، وكن من شياطين الإنس والجن على حذر .

كيف يهنأ بالعيد من يعدل عن الطريق الأقوم ، كيف يهنأ بالعيد من أضاع أمواله في الملاهي وفي أماكن الفسق والفجور مسرفاً ومبذراً .

إن العيد لمن خاف يوم التناد واتقى مظالم العباد ليس العيد لمن تمتع بالشهوات ولبس فاخر الثياب، وجاره محتاج وأخوه جائع مهضوم .

ليس العيد لمن عقى والديه فحرم الرضا ونال الغضب.

ليس العيد للخائن الغشاش ومن يسعى للإفساد بين الناس .

معشر الإخوة :

إن رب العزة لا يرضى منا في هذه الأيام أن يسمع شكاية بئس ولا أنة محزون .

الإسلام يطلب من أبنائه ألا يكون بينهم جائع ولا محتاج ولا مهضوم حقه ولا من تسيل من جفونه الدموع.

إن العيد عند المسلمين عبادة كبيرة لله تعالى يجتمع عليها أفرادهم ويشترك فيها أجناسهم فهم يخرجون صبيحة هذا اليوم في كل بلد دخله الإسلام إلى صلاتهم صفوفاً رافعين أصواتهم بالتكبير، الله أكبر الله أكبر الله

أكبر ، تلك الكلمة المدوية في الآفاق والتي تنبؤ عن
الأعماق . فيوحي هذا النداء إلى المسلمين في جميع
الآفاق ، وفي جميع البلدان والأوطان ، أنهم أمة واحدة ،
دينهم واحد ، دستورهم واحد ، هدفهم واحد ، ومعبودهم
واحد، وشعاراتهم واحدة يهتفون في كل البلاد الإسلامية
، الله أكبر الله أكبر، هذا هو شعار العيد الله أكبر .
لكي لا يفكر أي غني مهما كثر ماله أنه أفضل من
الفقير .

الله أكبر تعني ألا يفكر كل عظيم مهما علت منزلته
أنه أكبر من كل وضع .
الله أكبر تعني ألا يفكر الملوك والحكام مهما امتد
ملكهم أنهم فوق أحد من رعيّتهم ، فلا فضل لأحد على
أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح وعليهم أن يكونوا إخوة
متحابين .

وأنت يا أخي الموسر وسّع على عيالك ولا تمنعهم
في يوم عيدهم من اللهو المباح والمرح النقي « روحوا
القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت » .

زر أخاً في الله فإن ربك يقول لك « طبت وطاب
ممشاك » .

واسمع معي إلى الحبيب الأعظم يخبرنا عن صورة
هذا العيد وأنه احتفال مقام بين السماء والأرض يشترك
فيه الملائكة من الملائكة الأعلى والطائعون من عباد
الرحمن، احتفال يقدم فيه الصائمون محصول عبادتهم

طيلة شهر رمضان، ويقدم لهم رب العزة خلالها جائزة التوفيق في عملهم . فالأفراح في السماء والأفراح في الأرض. وكل هذا مما يسعد الحبيب الأعظم صلوا عليه فعند الطبراني يقول رحمه الله :

« إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتتم وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم.

فإذا صلوا نادى منادٍ ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة » ، وأنا أزف لكم هذه البشرى، اليوم ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى بيوتكم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم ، فيا فوز المستغفرين .

خطبة النعت

- ٢١ -

الله أكبر (٧)
الحمد لله الذي جعل العيد موسماً لمن أطاع ومائماً
لمن فرط فيه أو أضاع.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة
نستمد من أنوارها في كل آن كل خير وانتفاع .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الرسل
والملائكة والأنبياء وجميع السادات الأتباع .
اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه ذوي العلو والارتفاع . وسلم تسليماً .
أما بعد فاتقوا الله
وفي آخر الخطبة دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .
الله أكبر (١٤)

ليلة القدر

- ٢٢ -

الحمد لله الذي خص هذه الأمة بليلة القدر ، وضاعف لها الثواب والأجر ، حتى جعل ليلة واحدة من رمضان خيراً من ألف شهر .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه كلها في السر والجهر

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إنه ينادي عباده فيقول لهم : { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم } .

إله يحب التوابين ويحب المتطهرين ينادي ويقول : عبادي أطعنا فقرّبناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، ولو عدت إلينا قبّلناك .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، دعا إلى الله تعالى فقال : « ما رفع قوم أكفهم إلى الله تعالى يسألونه شيئاً إلا كان حقاً على الله عز وجل أن يضع في أيديهم الذي سألوا » .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته ذوي الجاه والقدر وسلم تسليماً .

أما بعد :

فيا أيها الإخوة :

أكرم الله الأمة الإسلامية إكرامات عظيمة وأعطاهها مفاتيح لفعل الخيرات ما لم يعطه الأمم التي كانت قبلنا ، من هذه الإكرامات ليلة القدر التي تدور في العشر الأواخر من رمضان هذه الليالي التي هي أعظم موسم من مواسم الخير والربح ، والتي ما رفع فيها العبد يديه إلى الله إلا وأعطاه الذي سأله ، لذلك اسمع إلى حبيبك الأعظم يقول « ثلاثة لا ترد لهم دعوة : دعوة الصائم ، ودعوة الوالد على ولده ، ودعوة المظلوم » بل بشر الصائمين بقوله « إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد » .

أيها الإخوة الكرام : سائل ومسؤول ومجيب :

فمن هو السائل وما هو السؤال ، اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى قاعة المحاضرات العظمى ، إلى هناك ، وأرى هذه القاعة قد كتب على بابها بحروف من نور { وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين } أنتقل بكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية ، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية إلى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم:

بلغ العلى بكماله كسف الدجى بجماله

عظمت جميع خصاله صلوا عليه وآله

هاهو صحابي جليل يدخل على سيد الخلق وحبيب الحق ، وأرى وجهه متهللاً مستبشراً كأنه القمر ليلة التمام اسمعوا : الصحابي يسأل : أقريب ربنا فنناجيه أم

بعيد فنناديه ؟ (إن كان قريباً ناجيناه سرّاً وإن كان بعيداً ناديناه (رفعنا أصواتنا بالدعاء) .

فمن الذي أجاب عن هذا السؤال ، إن الذي أجاب عنه هو الله جل جلاله ، إذ بالأوامر تصدر إلى سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء ، إذ بالأمين جبريل يجوب الآفاق ويطوي السبع الطباق وينزل بالإجابة سريعاً { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان } إجابة كافية شافية وافية .

وإذا سألك عبادي : إذا تفيد تحقق الوقوع ، بخلاف (إن) (فإن) (إن) تفيد احتمال الوقوع » إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » يحتمل أن يأتي فاسق، أما إذا سألك : فلا بد أن سيسألك عبادي عني ، سيسألونك على وجه اليقين والقطع .

سألك : أنت يا حبيبي يا محمد. (صلو عليه)

عبادي : أضاف العباد إلى ذاته القدسية إضافة تشريف ، إضافة رفعة :

ومما زادني تيهاً وشرفاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب : قريب : ما مدى هذا القرب ، كم هو { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } . { ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما

يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا { .

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب : عجب وأي عجب ، ما أجمل القرآن وما أعظم آياته ، عندما تسمع الآيات القرآنية يزداد إيمانك ويقينك، كلما وجه سؤال إلى سيدنا رسول الله تبدأ فيه الإجابة بقوله { قل } :

يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلولو الدين و الأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل.
يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه : قل قتال فيه كبير .

يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس .

يسألونك ماذا ينفقون قل العفو .
يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير .
يسألونك عن المحيض قل هو أذى .
يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عن الله .

يسألونك عن الجبال فقل يנסفها ربي نسفاً .
إلا سؤال واحد لم يقل ربنا جل جلاله لنبينا قل :
{ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب } هكذا مباشرة بدون قل . فلماذا؟ قال : حتى تعلم أنه لا يوجد أحد بينك وبين الله، فمجرد أن تطرق باب الله يستجيب لك مباشرة، ولهذا يقول سيدنا موسى : يا رب إذا قال لك

العبد وهو راعك يا رب ماذا تقول له ؟ قال: أقول لبيك يا عبدي ، قال فإذا قالها وهو ساجد ، قال : أقول له لبيك يا عبدي ، قال سيدنا موسى فإذا قالها وهو عاصٍ ، قال أقول له : لبيك لبيك لبيك .

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الدعان إذا دعان ، أما كان يكفي - أيها الإخوة - أن يقول مولانا أجيب دعوة الداع . إذا فما الداعي أن يقول بعد ذلك : إذا دعان .

وهل يسمى داعياً إلا إذا دعا ، فلماذا قال إذا دعان .
لحكمتين : الأولى استجيب له الدعاء إذا دعاني أنا ، أما إذا دعا غيري فلا أستجيب له ، لذلك اسمعوا الحديث: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري طردته وشريكه) .

الثانية : أنني أجيب دعوة الداع إذا دعان أي في وقت دعائه لا أؤخر له الاستجابة أبداً .

ونحن مقدمون على هذه الليلة التي يستجيب الله فيها الدعاء لعباده المؤمنين والتي أنزل مولانا في حقها سورة كاملة في كتابه العظيم قال فيها : { إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر } ومن هنا تأتي عظمة هذه الليلة المباركة لأنها الليلة التي أنزل الله فيها كتابه إلى السماء الدنيا إلى مكان يسمى بيت العزة .

هذا القرآن الذي نزلت به ملائكة الرحمن على قلب سيدنا محمد أعظم إنسان في جو كله سلام واطمئنان .
هذا الوحي الذي سوّى بين الرؤساء والمرؤوسين في التكاليف الشرعية فكلهم لدى الحق سواء لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.

إن ليلة ينزل فيها رب العزة والقدر، كتاباً ذا قدر تحمله ملائكة سفرة أصحاب قدر، على رسول كريم ذي قدر، لأمة ذات قدر لا شك أنها ليلة من ليالي التجلي الأعظم^(١) ، اللهم أكرمنا بها يا مولانا .
أيها الإخوة :

إن ليلة القدر تعني أن الأيام ليست بساعاتها ولا قدر الليالي بطولها وعددها وإنما قيمة الأوقات بما يحدث فيها من خير للبشر وسعادة للنفوس لم لا وقد قال في حقها الحبيب الأعظم ﷺ « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

لهذا ترى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يستقبلون هذه الليلة بما يلائمها من عظمة وجلال ، فما أحوجنا - معشر الإخوة - إلى اغتنام هذه الليلة وتفهم مقامها وإدراك فضلها وترقب ميعادها والحرص على إحياؤها عسى أن نكون بفضل الله من المقبولين .
وقد اختلف العلماء وتعددت الآراء حول أي ليلة هي؟ .

(١) انظر كتاب من وحي المنبر لمولانا وقدوتنا الشيخ أحمد المحاميد حفظه الله تعالى

على أن ما عليه معظم المجتهدين أنها في العشر
الأواخر من رمضان ، قال الإمام فخر الدين الرازي
شيخ أهل التوحيد في عصره في تفسيره الكبير: أخفى الله
هذه الليلة لوجوه كما أخفى كثيراً من الأشياء فإنه :
أخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل .
وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عنها كلها .
وأخفى وليه في الناس حتى يعظموا الكل .
وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات .
وأخفى اسمه الأعظم ليعظموا كل الأسماء .
وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على كل الصلوات .
وأخفى قبول التوبة ليحافظ المكلف على جميع أقسام
التوبة .

وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف .
فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان .
وقد أحب سيدنا عمر مرة أن يعرف أي ليلة هي ،
فدعا كبار الصحابة الكرام إلى مؤتمر ليلة القدر ، ووجه
إليهم هذا السؤال :

هل عندكم من خبر عن ليلة القدر ؟ .
فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر من رمضان ،
فقال ابن عباس : إني لأعلم أو أظن أي ليلة هي . قال
سيدنا عمر : وما هي ؟ قال حبر الأمة : سابعة تمضي
من العشر الأواخر أو سابعة تبقى منها (ليلة ٢٣ أو ليلة
٢٧) فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟ قال حبر الأمة :
خلق الله سبع سماوات وسبع أرضين وسبعة أيام ، والدهر

يدور في سبع، والإنسان خلق من سبع، ويأكل من سبع ويسجد على سبع، والطواف سبع، والجمار سبع فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له .

وقد استدل بعض العلماء على أنها ليلة سبع وعشرين بأحاديث وإشارات فمن الأحاديث ما روي عن زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب: إن أخاك عبد الله بن مسعود يقول : من يقيم الحول يصب ليلة القدر فقال أبي : يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لقد علم أنها في العشر الأواخر من رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ولكنه أراد ألا يتكل الناس ، ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين.

وفي الحديث الصحيح عن سيدنا معاوية عن النبي ﷺ : « ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » (د . أحمد) بل إن من لطيف ما يذكر أن بعض الباحثين وجد أن كلمة { هي } في سورة القدر جاءت السابعة والعشرين إذ أن كلمات السورة ثلاثون فتشير كلمة هي إلى أن الليلة هي سبع وعشرين .

وراحت الأدلة تتوالى على تأكيد هذه الليلة، فإن بعض العلماء نظر في هذه السورة فوجد أن لفظة { ليلة القدر } قد تكررت في السورة في ثلاثة مواضع ، و { ليلة القدر } حروفها تسعة ، والتسعة إذا ضربت في ثلاث يكون الحاصل سبعاً وعشرين ، فدل على أن الليلة أيضاً هي ليلة سبع وعشرين .

أيها الإخوة :

إذا استطعنا تحديد هذه الليلة فعلينا أن ندرك مدى عظمتها ، هذه العظمة التي صورها لنا رب العزة بما يملأ القلب إيماناً وإيقاناً ويفتح لنا باب الرجاء والأمل بكرمه وعفوه ، إذ يقول { وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر } الله أكبر !! ... إن العمل الصالح في ليلة واحدة يعدل عمل ألف شهر ، إن قيام هذه الليلة وإحيائها يعدل عبادة ٨٣ سنة وأربعة أشهر ، فما السبب في ذلك ؟! السبب في ذلك كما قال الثقات أنه ذكر لرسول الله ﷺ رجل من الأمم الماضية حمل السلاح على عاتقه مجاهداً في سبيل الله ألف شهر ، فعجب رسول الله لذلك وتمنى أن يكون ذلك في أمته فقال لمولانا : يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً ، فأعطاه الله ليلة القدر وجعل العمل فيها يساوي العمل بألف شهر ، فقولوا الحمد لله .

ولهذا كان الحبيب الأعظم إذا دخل العشر الأواخر طوى فراشه وأيقظ أهله وكان يقول لأصحابه : من اعتكف عشراً من رمضان كان كحجتين وعمرتين . فإذا انشغلنا عن الاعتكاف عشرة أيام فلا أقل من أن نعتكف معاً ليلة السابع والعشرين .

وإليكم هذه الحادثة الهامة في فضل الاعتكاف التي حدثت زمن جدي سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حينما كان معتكفاً في مسجده إذ دخل عليه رجل وسيما الكأبة على وجهه، أنظروا إلى الرجل وهو مكتئب

وحزين ومطرق الرأس وكأنه قد أصابته مصيبة ، فسأله
حبرُ الأمة : مالك ؟ فقال : لفلان عليّ حق ولاء ،
وحرمة صاحب هذا القبر لا أقدر عليه ، فقال سيدنا ابن
عباس : هل أكلمه فيك ؟ قال : إن شئت ، فقام سيدنا
عبد الله بن عباس من معتكفه في المسجد وخرج معه ،
فقال الرجل: أنسيت ما أنت فيه (أنت معتكف)؟ فقال
سيدنا ابن عباس : لم أنسَ ولكني سمعت صاحب هذا
القبر يقول : « من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان
خيراً من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً
ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة
خنادق أبعد مما بين الخافقين » .

أيها السادة الكرام :

إننا أمام البيان النبوي الأخير فأسمعوني صلاتكم
على الحبيب الأعظم ﷺ ها هو يقول لنا : إن هذا
الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من
حُرّمها فقد حُرّم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا
محروم .

أتدرون من هو المحروم ؟ ، إن الذي يحرم خيرها
أربعة ذكرهم سيدنا رسول الله فيما رواه ابن حبان
والبيهقي، قال : « إذا كانت ليلة القدر يأمر الله عز وجل
جبريل عليه السلام فيهبط في كبكبة من الملائكة ومعهم
لواء أخضر ، فيركز اللواء على ظهر الكعبة (ولجبريل
مئة جناح منهم جناحان لا ينشرهما إلا تلك الليلة)
فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر

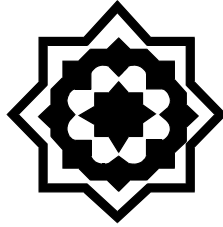
وَيَصَافِحُونَهُمْ وَيُؤْمِنُونَ عَلَى دَعَائِهِمْ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ،
فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ يَنَادِي جَبْرِيلُ : مَعَاشِرَ الْمَلَائِكَةِ ؟ الرِّحِيلُ
الرِّحِيلُ . فَيَقُولُونَ : يَا جَبْرِيلُ فَمَا صَنَعَ اللَّهُ فِي حَوَائِجِ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَمَةِ أَحْمَدَ (صَلُّوا عَلَيْهِ) ؟ فَيَقُولُ :
نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَعَفَا عَنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةً : فَقُلْنَا :

مَنْ هُمْ

يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مَدْمَنَ خَمْرًا ، وَعَاقٌ لَوَالِدِيهِ ،
وَقَاطِعٌ رَحِمًا ، وَمَشَاحِنٌ (مَعَادٍ ، لِأَنَّ الشَّحْنَاءَ هِيَ
الْعَدَاوَةُ) .

فَعَلَيْنَا - مَعَاشِرَ السَّادَةِ - أَنْ نَنْظِفَ أَنْفُسَنَا وَنُطَهِّرَ قُلُوبَنَا
مِنْ كُلِّ وَصْفٍ يَبَاعِدُنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، أَمَامَنَا أَيَّامَ
قُلَائِلٍ لِنَصْطَلِحَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعَ النَّاسِ .

فَالِى كَرَمِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ وَإِلَى إِحْسَانِهِ وَجُودِهِ ، إِلَى تِلْكَ
اللَّيْلَةِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا الْحَبِيبُ الْأَعْظَمُ : « إِنَّ اللَّهَ فِي أَيَّامِ
دَهْرِكُمْ لِنَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا » إِلَى اللَّيْلَةِ الَّتِي قَالَ
عَنْهَا رَبُّ الْعِزَّةِ : { سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ } هُنَا
مَدْرَسَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْجَالِسِ فِيهَا عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِيَ
التَّحِيَّةَ لِلْحَبِيبِ وَتَحِيَّتَنَا إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ :
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ



الحكمة

وهكذا نجد أن هؤلاء الأئمة الأعلام قد تقيّدوا في أحكامهم الفقهية بالأصول الأساسية للشريعة المطهرة، لم يخرجوا عنها قيد أنملة أو يحدّوا قيد شعرة، وكان شعار الإمام منهم « إذا صح الحديث فهو مذهبي » وقد نفذ أتباع كل مذهب هذه القاعدة الفقهية، فحرروا الأقوال وبنوها على أصولها حتى قام هذا الصرح الشامخ والطود الراسخ، واعتمده جماهير العلماء من لدن هؤلاء الأعلام إلى عصرنا هذا، لم يشذ عنه إلا أفراد قلائل وقعوا في هاوية الضلال.

وكفى شرفاً ومجداً وفخراً أن النبي الأعظم ﷺ قد شهد بالخيرية لهؤلاء الأربعة وليس بعد هذه الشهادة الفخرية ما يقال، وكل من يقول خلاف هذا القول فهو إما جاهل أو منافق معاند، فإن كان جاهلاً علّمناه وإن كان منافقاً فلينتظر لعنة التاريخ والأمم الإسلامية جيلاً بعد جيل .

وقد وجدنا - من خلال تاريخنا المشرق - أن كل دعوى لا يراد بها وجه الله تعالى هي دعوى باطلة تزول

ولا تترك أثراً يذكر، وأما الحق فيبقى نوره أبد الزمان،
والدليل أن الله تعالى قد بارك إخلاص هؤلاء الأئمة
الأربعة، وجعلهم منارات يهتدى بها عبر الزمان، وجعل
فقهاءهم هم الباقين . فله الحمد المنة .

هذا وكان الانتهاء من هذا الملف في أوائل عام
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م وأسأل الله تعالى أن يجعله في
صحيفة جدي سيدنا رسول الله ﷺ وفي صحيفة أهل بيته
وأصحابه والتابعين والأئمة المجتهدين، ثم من بعدهم في
صحيفة أجدادي من آل الخطيب الحسنية، وخصوصاً
مولاي السيد الوالد عمهم الله تعالى بمغفرته ورضوانه
هم وشيوخنا الكرام . آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
وسلم والحمد لله رب العالمين .

دمشق الشام المحروسة

عبد العزيز محمد سهيل الخطيب

الحسني

الشافعي الدمشقي

خادم الأنساب بدمشق

صدر للمؤلف

صدرت مجموعة من كتب السيد الوالد الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله تعالى وقمت بتحقيقها ما أمكن :

- (١) كتاب الإسراء والمعراج .
- (٢) كتاب مناسك الحج والعمرة .
- (٣) كتاب الدعوات .
- (٤) الوصية الواجبة .
- وأصدرت مجموعة من كتبي منها :**
- (٥) ضم ثلاثة أقمار على متن غاية الاختصار في الفقه على المذاهب الأربعة .
- (٦) مناسك الحج والعمرة على المذهب الشافعي .
- (٧) سور من القرآن وأدعية مختارة من الكتاب والسنة - طبع عدة مرات - .
- (٨) ميزان الأخيار في التجارة والتجار « على المذهب الحنفي »
- (٩) النفحة العلية في أناشيد الحضرة الشاذلية .
- (١٠) مع الله في الأذكار والأوراد - طبع مرتان - .
- (١١) زاد المسلم من أذكار الكتاب والسنة .
- (١٢) أحكام الصيام على المذاهب الأربعة - طبع عدة مرات -

- (١٣) أربعون حديثاً في خصائص سيدنا النبي ﷺ .
- (١٤) شرح ابن قاسم الغزي : مقدمات وفهارس .
- (١٥) صرخات منبرية في تاريخ المئة الأولى الهجرية، يتضمن السيرة النبوية بأكملها ثم تاريخ الخلفاء حتى سيدنا: عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .
- (١٦) غرر الشام في تاريخ آل الخطيب الحسنية ومعاصريهم في مجلدين
- (١٧) (الجوهرة في شرح الجوهرة) مذكرة في عقيدة أهل السنة والجماعة .
- (١٨) مراقبي العبودية في توحيد رب البرية .
- (١٩) ديوان الشيخ عبد القادر الحمصي .
- (٢٠) نفحات منبرية في سيرة أئمة المذاهب الفقهية (هذا الكتاب).
- (٢١) الأدلة المؤتلفة في مبيت مزدلفة .
- (٢٢) الأدلة المجمععة في صلاة الظهر بعد الجمعة .
- (٢٣) رسم المفتي على المذهب الشافعي .
- (٢٤) رسائل ابن الخطيب الحسني .
- (٢٥) كيف تكون خطيباً ناجحاً .
- وأما ما هو تحت الإعداد والطبع :**
- (٢٦) ميزان الأخيار في التجارة والتجار على المذاهب الأربعة (رسالة الماجستير) .
- (٢٧) فقه العبادات على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه .

- (٢٨) تحقيق كفاية الأخيار للعلامة تقي الدين
الحصني في الفقه الشافعي.
- (٢٩) الفتاوى (على المذاهب الأربعة) .
- (٣٠) حاشية على مفيد العوام للجرداني في الأدلة .
- (٣١) مختصر حاشية الإمام الباجوري على شرح
ابن قاسم .
- (٣٢) رسالة في مصطلح الحديث النبوي الشريف .
- (٣٣) مختصر الإسرائيليات في التفسير والحديث
الشريف .
- (٣٤) مختصر تربية الأولاد في الإسلام .
- (٣٥) الخطب الجمعية .
- (٣٦) براعة الاستهلال في الخطابة .
- (٣٧) آيات المجالس .
- (٣٨) مختصر خصائص اللغة العربية وطرق
تدريسها .
- (٣٩) أحكام تجويد القرآن الكريم .
- (٤٠) أمهات المؤمنين .
- (٤١) البدر فيمن حضر غزوة بدر .
- (٤٢) مختصر تاريخ المذاهب الإسلامية في العقائد .
- (٤٣) نفحات منبرية في القضايا الإيمانية .
- (٤٤) مجالس رمضان .
- (٤٥) فهرست مغني المحتاج في المذهب الشافعي .
- (٤٦) فهرست إعانة الطالبين في المذهب الشافعي .
- (٤٧) تحقيق شرح ابن قاسم الغزي .

- (٤٨) فهرست روضة المحتاجين : للشيخ رضوان العدل .
- (٤٩) فهرست فتح العلم في فقه العبادات في المذهب الشافعي
- (٥٠) فهرست كفاية الأخيار للشيخ تقي الدين الحصني .
- (٥١) مختصر حاشية الباجوري على أم البراهين للإمام السنوسي .
- (٥٢) العقائد الإيمانية في مواقف الأنبياء المرسلين .
- (٥٣) مختصر حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد .
- رب يسر إتمامها وإصدارها على ما تحب وترضى .

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	١
فضل العلم والعلماء	٤
درجات الخلائق	٥
ورثة الأنبياء	٦
آداب التعامل مع العلماء	٧
أجر العلماء والمتعلمين	٩
مكانة العلماء	١٠
توقير العلماء	١٢
جزاء من يؤدي العلماء	١٣
<u>الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان</u>	
<u>الولادة المباركة</u>	
سلسلة الذهب الفقهية	١٦
الآباء والأجداد	١٩
الولادة المباركة	٢٠
اللمحة النورانية الأولى	٢١
لقاءه بشيخه حماد بن أبي سليمان	٢١
شهادة حماد بن أبي سليمان له	٢٢
احترامه لشيخه حماد	٢٢
الموضوع	الصفحة
<u>فقه الإمام الأعظم</u>	

٢٥	مناجاة الإمام للحق ﷺ
٢٦	مرحلة التعليم والتدريس
٢٧	سر إقبال الناس على الإمام
٢٧	الطريقة الجديدة في تقرير مسائل الاجتهاد
٢٨	شهادة وكيع بن الجراح للإمام
٢٩	الفقه الحنفي ليس وليد الإمام فقط
٢٩	من درر الإمام الأعظم في الحث على طلب العلم
٣٠	رده على من قال: إن سيدنا عثمان بن عفان يهودي
٣٢	شهادة سيدنا الإمام مالك له
٣٢	شهادة سيدنا عبد الله بن المبارك
٣٣	حادثة تدل على سرعة بديهة الإمام
٣٥	تعظيمه لشعائر الله
٣٥	قوله في القاضي المرتشي
٣٦	حسن معاملته لجاره الفاسق
٣٧	رفضه تولي القضاء
٣٨	دخوله السجن وضربه
٣٨	خروجه من السجن
٣٨	الوفاة
الصفحة	الموضوع
٣٨	وصية الإمام الأخيرة

	فقه الطهارة والصلاة على المذهب الحنفي
٤٠	وقوف العبد بين يدي ربه
٤١	ترك الصلاة لفقد الخشوع
٤٢	شروط الصلاة
٤٣	أركان الوضوء والغسل
٤٤	أركان الصلاة:
٤٤	١. القيام مع القدرة
٤٤	٢. القراءة
٤٥	٣. الركوع ومعناه
٤٧	٤. السجود ومعناه
٤٧	٥. القعود الأخير
	إمام دار الهجرة
٤٩	ملك الحديث النبوي الشريف
٥١	تبشير النبي ﷺ بالإمام مالك
٥١	الولادة المباركة
٥١	الآباء والأجداد
٥٢	اللمحة النورانية الأولى
٥٣	بداية انقطاعه إلى العلم
الصفحة	الموضوع
٥٤	ظهور فضله للناس
٥٥	التدريس والفتوى
٥٦	سلسلة الذهب الحديثية

٥٧	آداب الجلوس في مجلس الفقه
٥٧	جُنة العالم لأدري
٥٨	قوله في الآية { الرحمن على العرش استوى } {
٥٨	أمير المؤمنين في مجلس الإمام مالك
٥٩	تعبد الإمام مالك للحق ﷺ
٥٩	تدوين الحديث (الموطأ)
٦٠	أهم تلامذة الإمام مالك
٦٠	لقاء الإمام الشافعي بالإمام مالك
٦١	صفة الإمام مالك
٦١	شهادة الإمام الشافعي له
٦١	شهادة الإمام الأوزاعي له
٦١	شهادة الإمام الذهبي له
٦١	شهادة الإمام أحمد بن حنبل له
	أولاده وبنته
٦٢	احترامه لسيدنا رسول الله ﷺ
٦٣	مكافأة الإمام من الله ﷻ
الصفحة	الموضوع
٦٤	طلاق المكره باطل
٦٤	ضربه ﷺ بالسياط
٦٤	الوفاة
٦٥	الجنابة
	<u>عالم مكة محمد بن إدريس الشافعي</u>

	<u>الولادة المباركة</u>
٦٧	من درر الشافعي
٦٨	النسب المبارك
٦٨	رؤيا أمه
٦٨	الولادة المباركة
٦٩	البداية العلمية
٧٠	المصاعب التي لقيها في بداية طلبه للعلم
٧١	اللمحة النورانية الأولى
٧٢	مناقب الإمام الشافعي
٧٣	مناجاة الإمام للحق ﷺ
٧٤	رحلته إلى المدينة المنورة ولقاؤه بالإمام مالك
٧٥	شهادة تقدير من الإمام مالك
	<u>إمامة سيدنا محمد بن ادريس الشافعي</u>
٧٨	رحلته إلى اليمن
الصفحة	الموضوع
٧٩	عودته من اليمن
٧٩	رحلته الأولى إلى بغداد
٨٠	وصيته لمؤدب أولاد الخليفة
٨١	مع الخليفة هارون الرشيد
٨١	دعاؤه قبل دخوله على هارون الرشيد
٨٣	شهادة الإمام أحمد بالإمام الشافعي
٨٣	طريقته في الإجابة عن الأسئلة
٨٤	حبه لسيدنا رسول الله ﷺ

وفاة الإمام الشافعي رحمته الله	
٨٥	صيغة صلاته على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
٨٦	رحلته الثانية إلى بغداد
٨٦	زيارته للإمام أحمد رحمته الله
٨٧	زيارته لمصر
٨٨	انتشار مذهبه في مصر
٨٩	البرنامج اليومي للإمام الشافعي
٨٩	دليل الإجماع
٩٠	خُصّ تلاميذ الإمام
٩١	أولاده وذريته
٩٢	فراسته الصادقة
الصفحة	الموضوع
٩٣	وفاته رحمته الله
	<u>فقه الطهارة والصلاة على المذهب الشافعي</u>
٩٥	البرنامج اليومي لطهارة المسلم
٩٥	مقاصد الطهارة
٩٥	وسائل الطهارة
٩٥	شروط الوضوء
٩٦	دائم الحدث
٩٦	ما يسن قبل الوضوء
٩٧	أركان الوضوء
٩٨	دعاء بعد الوضوء
٩٩	موجبات الغسل

٩٩	شروط الغسل
٩٩	فروض الغسل
١٠٠	المحرمات بالحدث الأصغر
١٠٠	المحرمات بالجنابة والولادة
١٠٠	المحرمات بالحيض والنفاس
١٠٠	عقوبة تارك الصلاة
١٠١	مع من يحشر تارك الصلاة
١٠١	شروط وأركان الصلاة
الصفحة	الموضوع
	<u>إمام أهل السنة أحمد بن حنبل</u>
	<u>الولادة المباركة</u>
١٠٨	شهادة المؤرخين فيه
١٠٩	شهادة الإمام الشافعي فيه
١١٠	النسب المبارك
١١٠	ولادته المباركة ونشأته
١١١	تكسبه
١١١	طلبه للعلم
١١٣	طلبه للأسانيد العالية
١١٤	إكثاره من الرواية
١١٤	مسند الإمام أحمد رحمته الله
	<u>فقه الإمام أحمد</u>
١١٧	مشيخة الإمام الشافعي للإمام أحمد

١١٨	مناظرة مع الإمام الشافعي رحمه الله
١١٩	أحكامه المستمدة من مصادر الشريعة
١٢١	تقليد مذهب الإمام أحمد
١٢٢	فتوى الإمام أحمد في طلاق الثلاث
١٢٢	رسالة هامة للإمام وبعض آرائه
١٢٣	بين الإمامين الشافعي وأحمد رضي الله عنهما
الصفحة	الموضوع
١٢٦	عقيدة الإمام أحمد
١٢٧	تعريف الإمام للإيمان
١٢٨	نص عقيدة الإمام أحمد
١٢٨	بشرى رسول الله ﷺ للإمام أحمد عن طريق الإمام الشافعي
١٢٩	بداية المحنة
١٣٠	إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان
١٣٠	لقاء الإمام برجل من الأعراب
١٣٠	لقاء الإمام بخادم الخليفة
١٣١	استجابة دعاء الإمام وموت الخليفة المأمون
١٣٢	الإمام أحمد في محنة السجن
١٣٣	دخول الإمام أحمد على الخليفة المعتصم
١٣٣	الإمام أحمد يضرب بالسياط
١٣٤	إطلاق سراح الإمام أحمد
١٣٥	مناظرة رائعة في قاعة الواثق وانكشاف المحنة

١٣٧	وفاة الواثق وتولي الخليفة الراشدي الثامن :
	المتوكل
١٣٨	الإمام أحمد زمن المتوكل
١٣٩	عقوبة من دعى إلى خلق القرآن
١٣٩	الاستشفاء بنعل الإمام أحمد
١٤٠	أولاده ﷺ
الصفحة	الموضوع
١٤٠	مرض الموت
١٤١	الوفاة...
١٤٢	يوم الجنائز
	<u>اللامذهبية في الإسلام</u>
١٤٥	مكانة السنة المطهرة
١٤٦	فتاوى الصحابة
١٤٨	فتوى التابعين
١٤٨	التقليد ليس جديداً في الفروع الفقهية
١٤٩	قيام الأئمة بخدمة الشريعة الغراء
١٤٩	وجوب تقليد أحد المذاهب الأربعة
١٤٩	الاجتهاد
١٥٠	مراتب المقلّدين
١٥١	الانتقال من مذهب إلى مذهب
	<u>الخشوع في الصلاة</u>
	<u>الخشوع في الصلاة (١)</u>
١٥٥	تعريف الخشوع

١٥٦	إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
١٥٨	بداية طريق الخشوع
١٥٩	الخشوع في تكبيرة الإحرام
الصفحة	الموضوع
١٥٩	الخشوع في التوجه
١٥٩	الخشوع في التعوذ
١٦٠	الخشوع في البسملة
١٦٠	الخشوع في الفاتحة
	<u>الخشوع في الصلاة (٢)</u>
١٦٣	نصيحة سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا أنس رضي الله عنه
١٦٤	بعض من خشوع الصحب والسلف رضي الله عنهم
١٦٤	التوجهات العشر لكل كلمة من كلمات الصلاة
١٦٦	الخشوع في الركوع
١٦٨	الخشوع في الاعتدال
١٦٨	الخشوع في السجود
	الخشوع في التكبير والسر في تردادته
١٦٩	لطائف : القلب والعقل والنفس
١٦٩	مراتب النفس سبعة
	<u>الخشوع في الصلاة (٣)</u>
١٧٣	سبب تسميتها صلاة
١٧٣	قول التابعي سيدنا سعيد بن جبير في الخشوع
١٧٤	التكبير عند أهل المعرفة والحقيقة

١٧٥	الخشوع في السجود
الصفحة	الموضوع
١٧٧	تشریف العباد ومراتب الخلق
١٧٨	من تراب
١٧٨	من طين
١٧٨	من حمأ مسنون
١٧٩	من صلصال كالفخار
١٧٩	إبليس اللعين
١٨٠	الخشوع في التشهد
١٨٢	الخشوع في السلام

مشهد وشعيرة

- ٥٩ -

الحمد لله الذي فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً ، ويسّر أسبابه
لعباده المؤمنين فلم يتخذوا سواه شغلاً .

أحمده حمد من عمت نعمه عليه تكريماً وتفضيلاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا وللجميع
المؤمنين نجاه وأماناً يوم يكون العذاب وبيلاً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اتخذته صفيّاً وحبيباً وخليلاً .

دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منصرم
فاق النبيّن في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم
خير النبيّن لم يذكر على شفةٍ إلا وصلت عليه العرب والعجم
اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه تسليماً كثيراً
أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

مشهد وشعيرة

أما المشهد فأنت تستشعر به مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، في شدة
الزحام ولباس الأكفان .

مشهد تسمع فيه الألسن باختلاف اللغات يطرقون فيه باب الله تعالى ويقول كل منهم

طرقت باب العطاء بالذلّ والانحناء فلا تخيب رجائي بحق جاه محمد

وأما الشعيرة فتعالوا بنا إلى زيارة لمهد النور والإيمان، تعالوا بنا نقو الصلة
بيننا وبين الله وبين العباد

شعيرة من حرفين حاء وجيم ، الحاء حلم والجيم جُرم ، شعيرة يقول لك
فيها رب العزة والجلال : من جاءني بجرمه استقبلته بحلمي ومغفرتي .
شعيرة نتعلم فيها الجهاد والصبر والمثابرة وتحمل المصاعب والمشاق بكل
ارتياح وإقبال على الله تعالى .شعيرة جعلها الله تعالى معسكراً تدريبياً ربانياً
سنوياً في الأرض المقدسة

معسكر يقوي الإخلاص عند العبد ، لا يعتمد فيه إلا على الله وحده
معسكر إيماني لا يفتقر لسان العبد عن الذكر فيه والاتصال بالله تعالى
معسكر تربوي أخلاقي عظيم شعاره ﴿ لا رفث ولا فسوق ولا جدال في
الحج ﴾

معسكر يجمع ولا يفرق ، معسكر ينادي في المسلمين كل عام : كفاكم
فرقة وتشرذماً .

هذا المعسكر التدريبي الرباني يبدأ بسفرك إلى البلد الحرام لتلبي فيه نداء الله
تعالى عندما أمر الخليل إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام أن يؤذن في
سمع التاريخ بالحج فقال :

﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج
عميق ﴾

(الحج ٢٧)

نداء ملاً أسمع الزمان حتى صار أهل الإيمان يلبونه مرتجلين على أقدامهم) رجالاً (أو راكبين (على خيل) مسرعين حتى أتعبوا الخيل من طول المسافة (ضامر) .

إنني أدعو اليوم أهل الاستطاعة على الحج أن يجيبوا النداء) لبيك اللهم لبيك) ، فإن لم يفعلوا هذا العام فليعقدوا النية على فعله العام القادم إن شاء الله تعالى .

أما أنتم يا حجاج بيت الله الحرام : فاسمعوا ما أعدَّ الله لكم في هذه الرحلة المباركة من الخير والبركة يقول سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ (ق : خ ١٨١٩ . ٣٢٧٨) :

(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) بشرط ألا يقرب النساء وهو معنى (يرفث) ولا يرتكب معصية وهو معنى (يفسق) .
وحبيبك رسول الله ﷺ يقول : (الحجاج والعمَّار وفد الله تعالى) (جه) .

تخيل . أخي الحاج . عندما تكون وافداً على الله تعالى كيف ستكون الحفاوة التي ستقبلك بها الملائكة في الأرض المقدسة .
فما هي وفادتهم ، اسمعوا إلى تنمة الحديث : (الحجاج والعمَّار وفد الله : إن دعوهم أجابهم ، وإن سألوه أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم) (جه ٢٨٩٢)

فيا سعادة وهناءة من دعاه مولاه فلَّباه
اسمعوا المكافآت التشجيعية التي أعدَّها لكم مولاكم وقد دعاكم إلى بيته ،
يقول سيد العالمين : (أفضل الأعمال الإيمان بالله وحده ثم الجهاد ، ثم

حجة مبرورة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها)
(حب . حم)

وقال (طس) : (ما أهل مهل قط وكبر مكبر قط إلا بشر بالجنة)
والنفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله تضاعف بسعمئة ضعف)
وقال (ت . ن . ك) : (من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه كان كعتق
رقبة ولا يضع قدماً ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها
حسنة)

فإذا ما وقفت أخي الحاج بعرفة تجلى عليك الجبار ﷻ فيباهي بك
ملائكته يقول (طب) : (هؤلاء عبادي جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج
عميق يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني ، لو كان عليك . أيها الحاج .
مثل رمل عالج أو مثل أيام الدنيا أو مثل قطر السماء ذنوباً غسلها الله
عنك) فقل الله أكبر .

هذه عطايا الله لمن يريد وعند الله المزيد

أما أولئك الذين عزفوا عن تلبية النداء فاسمعوا ماذا يقول رب العزة والجلال
في حقهم : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن
كفر ﴾ (أبي الحج أبي عن تلبية النداء) فإن الله غني عن العالمين ﴿ ﴾ (آل
عمران ٩٧)

الرافض للحج المنكر لفرضيته داخل ضمن دائرة الكفر ﴿ ومن كفر ﴾ لذا
اسمعوا ماذا يقول سيدنا عمر رضي الله عنه فيمن قدر على الحج وتركه :

يقول (والله لقد هممت أن أكتب في الأمصار أن من كان غنياً ويجب عليه الحج ولم يحج فافرضوا عليه الجزية) . هذا قول المحدث الملهم الفاروق رضي الله عنه

أما سيدنا سعيد بن جبير فيقول : (لو علمت أن في البلدة التي أعيش فيها غني من الأغنياء كان يستطيع الحج ولم يحج ومات على ذلك ما صليت عليه الجنازة)

أيها الأحبة والصحب :

إذا علمنا ذلك وجب علينا أن نستعدَّ معاً لهذه الرحلة المباركة فكيف نفعل ذلك ؟

أيها الحجاج الكرام : إذا ما تجهزتم من المال الحلال لهذه الرحلة المقدسة إلى البيت الحرام الأقدس فإن عليكم أن تستعدوا لشيء لا بدَّ منه لأداء هذه الفريضة أيها الحاج عليك واجبات هامة جداً ليكون حجك مبروراً وهي :

أولاً : التوبة والإنابة على ألا تعود إلى المعصية .

التوبة من أكد الواجبات ، وإلا فكيف بك تفد على الله تعالى في بيته الحرام وتدعوه أن يغفر لك ويرحمك وأنت تنوي أن تعصيه مرة أخرى بعد العودة ؟! ألا تخاف إن فعلت ذلك وأنت تقول له (لبيك) أن يرد عليك : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك يا هذا مردود عليك

لا بدَّ من التوبة والإنابة والعزم على ألا تعود إلى المعصية ﴿ هو أعلم بمن

اتقى ﴾

﴿ يعلم السر وأخفى ﴾

ثم تقضي الديوان التي عليك أو تستأذنه من أصحابها وتردّ الودائع لأهلها، وإذا ما ظلَّمت أحداً فاطلب منه السماح والصفح حتى تطهّر نفسك من حقوق العباد قبل السفر ، هذه مرحلة ثانية .

المرحلة الأولى : المال الحلال .

والمرحلة الثانية : التوبة وردّ المظالم

وأما المرحلة الثالثة : فإخلاص النية .

أخي الحاج : هل سألت نفسك لم أنت تريد الحج ، هل تريده للسمعة والرياء ، أو ابتغاء الدنيا والشهرة، هل تريده ليقال عنك : حج فلان ؟ إذن نيتك غير خالصة لله تعالى ، فصحح نيتك واجعلها ابتغاء رضوان الله تعالى وعند السفر عليك مرحلة رابعة ، ولكي تتجاوزها بنجاح أيضاً ويتمم الله فضله عليك : أن تقوم بالوداع ، وهو وداعان :

وداع الأهل : وهو سنة الحبيب الأعظم ﷺ تقول لهم : استودعت الله تعالى دينكم وأماناتكم وخواتيم عملكم ، وهم يقولون لك : قَبِلَ الله وديعتك . والوداع الثاني وداع البيت : أن تصلي في بيتك قبل السفر ركعتين سنة السفر تستودعها الله تعالى في بيتك، تدعو فيها أن ييسّر الله سفرك في حلك وترحالك ، وبعد الركعتين تخلو بينك وبين الله تعالى تعاهده ، على أي شيء ؟ تعاهده على **خمسة أمور : الأول :** ألا ترتكب معصية في أرض الحج . **الثاني :** أن ترضى ضيافته في بيته الحرام ، فأينما أسكنك هناك ترضى بالسكن لأنها ضيافة الله .

الثالث : أن توقّر سنة النبي ﷺ توقيراً شديداً في بلد الله الحرام .

الرابع : أن يكون مقصدك ونيتك من هذه المناسك إرضاء الله تعالى فتفرّغ لعبادته وليس للشراء ، ولا بأس بالشراء في المدينة المنورة بعد الفراغ من الحج بنية الترويح عن النفس .

والعهد الأخير وهو هام جداً في الأرض المقدسة ، ألا وهو تقديس تلك
الأماكن بترك المخاصمة والجدل والشجار والانشغال بالناس عن العبادة ،
وهذا مأمور به بنص القرآن لأهميته الكبيرة هناك قال تعالى ﴿ فلا رفث ولا
فسوق ولا جدال في الحج ﴾

فيا أيها الإخوة : يا من تكرم الله عليكم بحج بيته الحرام، إياكم ثم إياكم
من المحرمات . فكيف يؤدي الحاج مناسكه هناك أجيب عن هذا السؤال إن
شاء الله تعالى في الجمعة القادمة ، وأدعوكم ريثما نسافر إلى بيته هناك أن
تستغفروه هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه
أن يصلي على النبي .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

حجّوا قبل ألا تحجّوا

- ٦٠ -

الحمد لله الذي شَرَّف البيت العتيق بركنٍ من ركنٍ إليه نجا من الهمِّ والضيق ، وبباب من دخل إليه كان آمناً وكتب له توقيع التوفيق ، و بميزاب تنصب منه الرحمة على من سلك إلى الخير أقوم طريق ، وبحجر يشهد لمن قبله بالوفاء والتصديق ، وبحجر سبي العقول بالحبّة إليه والتشويق ، وبحرم تأتي إليه الوفود مشاة وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شَرَّف الكعبة التي من عَظَمها كان معظماً مبجلاً ، ومن أقبل إليها كان مولاه عليه مقبلاً ، فكم من محب مات شوقاً إليها ولم يبلغ منها أملاً

يا كعبة الله الشريفة أشرفي للطائفين ولألئي بسناك

الدين من مغناك باهٍ باهرٌ والعلم والتوحيد من معناك

فلله درُّ أقوام دعاهم مولاهم إلى جنبه فسافروا إلى بابه شعثاً وغبراً ، وعرفهم بعرفات أنه قد تجاوز عن الذنوب والزلات فسجدوا له حمداً وشكراً .

انشؤا محرمين ملبين سراعاً إلى ثرى عرفات

وقفوا وقفة الأذلاء منه مازجين الدعاء بالعبرات

قد دعاهم له فلبوا سراعاً ليس يلقاهاهم بغير الهبات

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد ، وعلى آله وأصحابه تسليماً

كثيراً

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

إذا وجد العبد زاده ونفقة سفره ونفقة أهله عند غيابه ، وكان الطريق إلى الحج آمناً ، وكان مستطيعاً ووفى دينه أو استأذن صاحب الدين وجب الحج في حقه على الفور عند المذاهب غيرا لشافعية ، وأما عند الشافعية فإن الحج يجب على التراخي إلا لمن خشي مرضاً مزمناً فإنه يحرم التأخير في حقه على الأصح ، فإذا أخرّه ومات تبين أنه مات عاصياً والعياذ بالله لأنه لم يعجل الحج ، ويُخرج من ماله بدون وصية عند الشافعية والحنابلة حجة بدل ، وبوصية يوصي بها أهله عند الحنفية والمالكية .

ويروي لنا ابن عدي والترمذي بسندهما عن النبي ﷺ أنه قال (من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً)

وفي رواية : (من لم تحبسه حاجة ظاهرة (كخدمة والديه) أو مرض حابس أو سلطان جائر (منعه منه) ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً) .

فعلى المسلمين جميعاً أن يوجهوا أنظارهم قبل البيت العتيق ويحجوه قبل أن يمنعوا نهائياً من الحج ، وقد بدت بوادره في أيامنا هذه يقول من تحبون أن تصلوا عليه

(استمتعوا بهذا البيت فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة)

بل إن سيدنا النبي ﷺ صرح في أكثر من حديث أن الحج سيمنع وأن الكعبة ستهدم فقال (أحمد . ق . ن) : (يَحْرَبُ الكعبة ذو السويقتين من الحبشة يهدمها حجراً حجراً يطرحونها في البحر يجردونها من حليها وكسوتها) .

وذو السويقتين حبشي أسود أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن أصلع الرأس في يده إعوجاج متباعد الفخذين يهدم الكعبة هو ومن معه ، ولا يهدم البيت الحرام إلا بعد أن يستحله أهله ، ويرتكبوا فيه المحرمات ، فإذا استحلوه يقول ﷺ : (فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب) . وقد استحله جيش يزيد بن معاوية وزمن الحجاج بأمر عبد الملك بن مروان ، فسلط الله عليه القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطاف وخلعوا الحجر ونقلوه إلى بلادهم ، وكان هذا عقوبة استحلاله ثم أعيد إلى مكانه بعد ذلك . ولذا وردت الأحاديث تقول (حجوا قبل أن لا تحجوا ، فو الذي خلق الجنة وبرأ النَّسَمَ ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين مكانه في الأمس) .

وعند (هب . حا) : (حجوا قبل أن لا تحجوا فكأنني أنظر إلى حبشي أفدع

(بيده اعوجاج) بيده معول يهدمها حجراً حجراً) .

فيا أيها الحجاج : سارعوا إلى بيت ربكم قبل أن تمنعوا من الحج ، وقد بدأ الاستعمار يضع الحدود بين الدولة العربية الإسلامية الواحدة ، هذه الحدود مقدمة المنع ، هذه الحدود أخبر عنها الصادق المصدوق (صلوا عليه) يقول (هب) : حجوا قبل أن لا تحجوا تقعد أعرابها (أعراب البادية) على أذنان أوديتها (على مسالك الطرق) (فلا يصل إلى الحج أحد) ، اشهدوا صدق نبيكم الأعظم قولوا صدق رسول الله .

يا أحباب رسول الله :

أما وقد اشتاقت القلوب إلى بيت الله الحرام فتعالوا بنا لنرى البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً ، تعالوا نزر أول بيت وأقدس بيت وضع للناس تعالوا لنرى بأمر أعيننا مقام إبراهيم الذي قال الله تعالى فيه ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾

هيا نقطع الأميال الممتدة في ساعات كان أهل الشام يقطعونها غدواً شهراً ورواحاً شهراً ويُشهدون كل شيء مروا عليه بالتلبية .

ها نحن قد لبسنا ملابس الإحرام ، إزار ورداء فقط حتى تنسى بھرجة الدنيا وتنسى ابن من أنت ، إزار ورداء يريان فيك خلق التواضع والذل لله تعالى ، وتذكر الموت ولباسه حيث يشبه لباس الإحرام الكفن . ثم تصلي ركعتين سنة الإحرام نعاھد الله تعالى فيها على ترك المحرمات التي حرّمها الله عليك في أثناء الإحرام .

استعد الآن أخي الحاج للفرحة الكبرى ، وأنت تدخل حرم الله الذي من دخله حرّمه الله على النار كرمّاً منه وتفضلاً ، هذا إذا كان حجك مبروراً . وأول ما تفعله عندما تدخل حرم الله وترى الكعبة أن تدعو : اللهم زد هذا البيت تشريقاً وتكريماً ومهابة وأمناً ، وزد من زاره وحجه واعتمره تشريقاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً .

وتبدأ تحية البيت بالطواف ، تطوف مع الملائكة ، الملائكة من فوقك بالبيت المعمور في السماء السابعة تطوف معك في النقطة نفسها والحركة نفسها والاتجاه نفسه الملائكة تطوف بكل خشوع واستسلام وخضوع وذلة ، وعليك أن تتشبه بهم ، كن ملائكياً في طوافك ، تناجي ربك وتقول : يارب

أنا عبدك المسكين جئتكَ حافياً عارياً من أثواب الدنيا ، مستجيراً برحمتك
اقبلني عندك .

والأفضل أن تجعل طوافك الأول للحمد والثناء على الله تعالى على هذه
النعمة التي أكرمك بها دون أهلك وعشيرتك ، وتجعل طوافك الثاني للصلاة
على سيدنا مُحَمَّد ﷺ وتجعل الطواف الثالث: للاستغفار ، والرابع : تدعو فيه
لأهلك ولعشيرتك والخامس: تدعو فيه للمسلمين والسادس: تدعو فيه
لوالديك خاصة وفي الشوط السابع: تطلب من الله القبول لحجك وأن ييسر
لك المناسك تستلم الحجر الأسود في بداية كل شوط تجدد فيه العهد مع الله ،
فإياك أن تعاهده سبع مرات ثم تنكث وعدك له ﷻ . ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا
يَنْكُثُ لِنَفْسِهِ ﴾

وبجوار الحجر تجد الملتزم وهو بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، والدعاء
عنده مستجاب ، وهناك تضع خدك على جدار الكعبة وترفع يديك متذلاً
لله تعالى باكياً على ما فرطت في عمرك السابق ، رأى سيدنا عمر سيدنا النبي
ﷺ ، عند الملتزم وهو يبكي فتعجب سيدنا عمر فقال له سيدنا النبي ﷺ :
نعم يا عمر إبك ، هنا تسكب العبرات) (جه ٥٩٤٥) .

وكان سيدنا الحسن البصري عندما ينتهي من طوافه ويلتزم يتعلق بأستار
الكعبة ويقول لمن معه : تنحوا عني حتى أقرّ لربي بذنبي .
ثم تصلي سنة ركعتي الطواف خلف مقام سيدنا إبراهيم تنوي معها سنة
تحية المسجد الحرام ، ثم تشرب من زمزم بنية استجابة الدعاء وبنية التقوى ونية
العلم وحفظ كتاب الله تعالى وأن يحيرك الله تعالى من ظمأ يوم القيامة .

يقول سيدنا الإمام الشافعي : شربنا زمزم لتعلم العلم فتعلمناه ولو شربناه للتقوى لكان خيراً لنا " .

زمزم . يا إخوة- الذي هرولت لأجله السيدة هاجر لتسقي ولدها سيدنا إسماعيل ، هرولت بين الجبلين تنظر هل من ماء فسقى الله تعالى ولدها منه .
ولذلك شرع السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط يديم فيه الذكر والدعاء استعداداً لعرفة ، لأن ساعات الشوق والحنين لعرفة تبدأ بعد السعي ينتظر فيها الحاج اليوم الثامن ليتحرك نحو منى ثم عرفات الله .

وعرفات هذه السنة تختلف عن عرفات السنوات الماضية ، من حج عرفات هذه السنة له ثواب سبعين حجة لأن الوقفة يوم الجمعة فقولوا الحمد لله .

يا حجاج هذا العام :

أكرمكم الله هذا العام بخمس إكرامات غير سقوط الفرض عنكم .

الأول : ما ورد في الحديث الضعيف (أفضل الأيام يوم عرفة إذا وافق يوم جمعة، فهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة)

والثاني : ما ورد في الحديث الضعيف (إذا كان عرفة يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف)

والثالث : أن العمل يشرف بشرف الأزمنة كما يشرف بشرف الأمكنة ، ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع فوجب أن يكون العمل فيه أفضل الأعمال .

والرابع : في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبداً مسلم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه الله إياه وليست في غير يوم الجمعة .

والخامس : أنه اليوم الذي وقف فيه رسول الله ﷺ فإن وقفته في حجة الوداع كانت يوم الجمعة وإنما يختار الله تعالى له الأفضل .

وفي عرفة تتعرف على غفار الذنوب وجابر القلوب ، تصعد إلى عرفات وأنت بالذنوب ملآن وتخرج منها وقد ابيضت صحيفتك عند الله تعالى ، في عرفة تعرف الله وتصالحه ، المصالحة مع الله في الحج يعاهده على التوبة والإنابة وعدم الرجوع إلى المعصية : أهل عرفات كلهم ذاكرون ، كلهم شاكرين ، كلهم عابدين ، كلهم ذليل يرجون الجليل يباهي بهم الملائكة ويقول : "انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لكم " فما من يوم يعتق الله فيه رقاباً من النار كيوم عرفة .

هل سمعتم يا حجاج بيت الله الحرام ، ستعودون بنور جديد نور المغفرة والعتق من النار ، فهنيئاً لكم وقفتم هناك هناك ، فإلى هناك ، هناك بعد أن توحّدوا الله هنا .

التوبة من الذنوب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا تنفذ خزائن رحمته، ولا تغيض ينابيع فضله، ولا يطرد
أحداً عن بابه، وهو الذي يهب الكثير ويجبر القلب الكسير ويغفر الزلات.
ويقول هل من تائب مستغفر أو سائل أقضي له الحاجات.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات ويعلم ما تفعلون. ينادي عباده ويقول لهم: يا عبادي إنكم
تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم.
يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
يا رب قد أذنبت فاغفر ذلتي أنت المجيب لكل من ناداك
إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار
ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، فارفع كفيك وقل يا الله،
ارفع كفيك وقل تبت إلى الله.

يا الله يا أُملي في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالذي مفتقراً إليك يا خير من مد إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة فبحر جودك يروي كل من يرد
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً.

أمَّا بعد: فهاهو عشر المغفرة يطرق باب كل واحد منّا. هاهي نفحات
الله الحليم تتعرض لعباده المؤمنين، فمن توجه بصدق وإخلاص خلال هذا

العشر وطلب من الله المغفرة غفر الله له، من تاب إليه حق التوبة، وأتاب إليه حق الإنابة في عشر المغفرة لم يخيب الله رجاءه، واسمع معي كيف أن الله لا يرد أحداً عن بابه، اسمعه يقول لك: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها

مغفرة. فقل من قلبك أستغفر الله، تبت إلى الله.

إذا كثرت منك الذنوب فداوها بمد يد في الليل والليل مظلم
ولا تقنطن من رحمة الله إنما قنوطكن منها من خطاياكن أعظم
واسمع معي إلى حبيبك رسول الله ﷺ يقول فيما يرويه الصديق الأكبر: «إنَّ الله وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار، فمن استغفر بنية صادقة غفر له، من قال: لا إله إلا الله ربح ميزانه، ومن صلى عليّ كنت شفيعه يوم القيامة». هذه هي دعوة سيدنا رسول الله ﷺ يدعوننا إلى الله تعالى في كل حين لنجدد العهد مع الله تعالى وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون. فعلينا يا أمة الإسلام أن نصحح أخطاءنا، علينا أن نغسل قلوبنا بماء التوبة والإنابة لله تعالى، إنَّ الذي خلقنا ينادينا ويقول لنا: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثمَّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾.

ومن الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
إنَّ الملك الديان يناديك أيها الإنسان ينادي من غلبت عليه شقوؤه، وهفت شهوؤه وزلت قدمه يناديه ليرجع إلى حظيرة القدس، فيقول لنا: نبيء عبادي أي أنا الغفور الرحيم. ما أحلم الله ما أرحم الله ما أعظم الله

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أسبل علينا سترك، أسبل علينا عفوك، ارحم الصائمين، اجبر خاطر
الموحدين، الطف بعبادك أجمعين-واذنوباه-واذنوباه-واخيبتاه إن لم تغفر لنا.
أيها السادة الكرام:

اسمحوا لي الآن أن أنتقل بحضراتكم إلى قاعة المحاضرات العظمى، وأرى
مكتوباً على باب القاعة بحروف من نور، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. أنتقل
بكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية إلى سيد الخلق وحبيب
الحق سيدنا ومولانا محمّد.

يا خير مبعوث وأكرم مرسل وشفيع قوم أذنبوا وأساءوا
أنوارك العظمى إذا ما أشرقت يوم القيامة فالورى سعداء
صلى عليك الله يا علم الهدى.

هاهو صحابي جليل يقدم عليه فينادي ويقول: واذنوباه أقبل كالولهان
وهو يقول واذنوباه، أقبل عليه طيبب القلوب يهدىء من روعه حتى هدأت
نفسه وسكن قلبه، فشخص له الداء ثُمَّ قدم له الدواء وما أعظم الدواء إذا كان
من سيدنا مُحَمَّد ﷺ وأعظم الطيبب إذا كان سيدنا مُحَمَّدًا. أجلس الرجل بين يديه
وقال: قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى من عملي، فراح
الرجل يكررها ويلقنه إياها الحبيب الأعظم ثُمَّ قال له طيبب القلوب قم فقد
غفر الله لك.

أيها الإخوة:

إلى متى نطيع هوى نفوسنا، إلى متى نتبع شيطاننا.
خلف هواك إذا دعاك لريبة فلرب خير في مخالفة الهوى

حتى متى لا ترعوي يا صاحبي حتى متى وإلى متى وإلى متى
علينا أن نظهر نفوسنا ولا نجعل للشيطان علينا سبيلاً. علينا بمجاهدة هذه
النفس الأمارة بالسوء، ولا نطلق لها العنان بالشهوات.

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطم ينفطم
وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما لحضك النصح فاتهم
وصدق الله العظيم: وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله.
فيا إخوة الإيمان: هل من توبة هل من أوبة هل من رجعة إلى الله تعالى.
هلا رددنا الحقوق إلى أهلها قبل ألا يكون دينار ولا درهم وإنما التعامل
بالحسنات والسيئات، وعندها يعرض الظالم على يديه فما دمنا موقنين بأننا إلى
الله راجعون وبين يديه مسؤولون، فلماذا لا نستعد لذلك اللقاء، فكيف
سيكون لقاءنا مع الله. إنَّ منا من يقدم عليه كقدوم الغائب على أهله، ومنا
من يقدم قدوم العبد الأبق الشارد ذليلاً خائفاً ﴿أفمن يلقى في النار خيراً أمن
يأتي آمناً يوم القيامة﴾ شتان بين الفريقين شتان بين مشرق ومغرب، فريق في
الجنة وفريق في السعير.

ومن قسى قلبه منا فليزر المقابر إذا ضاقت الصدور فعليكم بزيارة القبور،
فسنرى الأحباب والأصحاب والآباء والأمهات وقد توسدوا التراب والله كأهم
ما فرحوا مع من فرح، وكأهم لم يضحكوا مع من ضحك قد حيل بينهم وبين
ما يشتهون، واعلم يا أخي أنك قريباً ستكون معهم وستؤول إلى ما آلوا إليه
عندها ويل لعبد عن سبيل الله صد، ويل لعبد انقلبت أحواله ومسخت ليااليه
بالأغنيات والمسلسلات والتمثيلات والموبقات حتى إذا صار ثلث الليل نام
كالثور أو كالحيفة القدرة ومنهم من يبقى مستمراً على هواه ولهيه، الله يدعوه

إلى التوبة وهو مقيم على فجوره وفسقه أمّا يخشى أن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إنَّ أخذه أليم شديد.

يا راقد الليل مسروراً بأوله إنَّ الحوادث قد يأتين أسحارا
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إنَّ السفينة لا تجري على اليبس
ركوبك النعش ينسبك الركوب على ما كنت تركب من بغل ومن
فرس

يوم القيامة لا مال ولا ولد وظلمة القبر تنسي ليلة العرس
أيها الإخوة:

إنَّ رجلاً فيمن كان قبلنا يدعى ديناراً العيار كان عاقفاً لوالدته، مرَّ يوماً
بمقبرة فرأى العظام قد خرجت من بعض القبور، فتذكر مصيره ونهايته، وأثَّه
على الله قادم، فأخذ عظماً ضغطه فتفتت فقال لنفسه: ويحك يا نفس كأني
بك غداً قد صار عظمك رفاتاً، وجسمك تراباً، وما زلت مكبة على المعاصي
والشهوات، فأب أوبة والصلح بلمحة، ندم وعزم على التوبة، ورفع كفيه إلى
السَّماء قائلاً: إلهي! ألقيت إليك مقاليد أمري فاقبلني واسترني وتب علي، فعاد
إلى أمه وتاب على يديها، وراح يقوم الليل ويصوم النهار، ويأخذ بالبكاء
والنحيب ويخاطب نفسه: يا دينار ألك قوة على النَّار يا دينار كيف تعرضت
لغضب الجبار. يحاسب نفسه ويؤدبها حتى قالت له أمه: كفاك يا دينار فقال:
يا أماه دعيني أتعب قليلاً لعلي أسترح طويلاً، يا أماه إنَّ لي موقفاً بين يدي
الجليل ولا أدري إلى ظل ظليل أم إلى شر مقيم، يا أماه ليتك كنت بي عقيماً،
وراح يردد فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون، حتى يبكي ويضطرب
ويخر مغشياً عليه من خوفه من الله تعالى.

فيا إخوة الإيمان: على كل واحد منا أن يقلع عن المعاصي فهو أول شرط من شروط قبول التوبة، وليضع بين عينيه الخوف من القدوم على الجبار ﷻ، وأن يكثر من فعل الحسنات والطاعات لأنَّ الحسنات يذهبن السيئات ولئلا يكون عمله الصالح ضعيفاً أمام ميزان سيئاته.

يذكر لنا التاريخ أنَّ رجلاً يدعى مالكا بن دينار. كان شرطياً مسرفاً على نفسه قد أولع بشرب الخمرة، وكان متزوجاً فولدت له زوجته بنتاً أحبها وشغف بها، فكان يلاعبها وكان كلما رأت كأس الخمرة بيده أبعدته عن فمه وكأنها تقول له الخمرة حرام يا أبت، لكنه استمر على شربها وعلى فجوره، فإذا بالبت تموت، فيزداد تعاسة ومصيبة على مصائبه، وفي ليلة شرب فيها حتى الثمالة رأى في منامه أنَّ القيامة قد قامت، وأن الناس قد خرجوا من قبورهم حفاة عراة في يوم القيامة وإذا بـثعبان كبير فاغرٍ فاه يقصدي من بين الناس يأتي إلي يريد أن يتلعي وأهرب منه ويطاردي حتى كاد قلبي أن يخرج من بين أضلعي، وإذا بشيخ كبير يتلقاني فأقول: أنقذني من هذا الثعبان فقال: أنا رجل واهن كبير، اذهب وابحث عمن يحميك من هذا الثعبان، قال: فبقي يطاردي فإذا أنا على شفير جهنم أكاد أن أرمي بنفسي فيها، فنوديت ارجع لست من أهلها، فرجعت والثعبان يطاردي فرجعت إلى الشيخ فقلت أنشدك بالله أنقذني أو دلني قال: لا سبيل إلى إنقاذك ولكن ارجع إلى ذاك القصر فلعل لك فيه وديعة فلما وصلت القصر نودي ارفعوا الستور فإذا بأطفال يطلون من الشرفات، وإذا بابنتي فألقت بنفسها إلي وهي فرحة وتقول: أبتاه أبتاه، وإذا بها تشير إلى الثعبان بيدها أن يتعد وهنا أمسكت بلحيتي وقالت: يا أبتاه ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقلت: بل الآن الآن فما

هذا الثعبان فقالت: ذلك عملك السيء كاد أن يوقعك في جهنم قلت: فمن ذاك الشيخ؟ قالت: ذلك عملك الحسن ضعفته حتى لم يستطع أن ينقذك، قال: فاستيقظت من نومي وكانت صحوة ما بعدها صحوة. تبت فيها إلى ربي عز وجلّ، فالخوف الخوف من الله والتوبة التوبة قبل أن نخاف يوم القيامة من سطوة الجبار. يقول الله تعالى في الحديث القدسي: وعزّي وجلالي لا أجمع على عبدي أمين ولا خوفين إن أمني في الدنيا خوّفته في الآخرة، وإن خافني في الدنيا أمنتّه يوم القيامة.

فاغتنموا هذا العشر وأكثروا من الاستغفار فيه لعلّ أن تعمنا رحمة الله، إنَّ لله في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها . هنا مدرسة سيدنا محمّد.

الحمد لله الذي جعل الصيام جنة من العذاب وفضله على سائر الأعمال فهو يجزي به بغير حساب.

فسبحان من افترض صون شهر رمضان على أمة
الإسلام وحباهم بالفضل والإحسان

وخصهم فيه بالعق من النيران فقال يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام فجعله صحة للأبدان ومطهرة للعقل واللسان
من الذنوب والعصيان وجعله شهر القران فقال شهر رمان الذي
انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة خفيفة على
اللسان ثقيلة في الميزان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأولون
المبعوث بأحسن الأديان المنعوت في التوراة والإنجيل بالصفات
لحسن فيا رب صل على النبي محمد واجعله شافعنا بفضلك في
غد فلقد علمتك منعماً متفضلاً، وإذا دعوتك فاستجب لي سيدي.

أستقبل وحضرتكم اليوم ضيفاً عزيزاً عظيماً، ضيفاً
لأقول أنه قادم من الكتلة الشرقية الملحدة، ولا من الكتلة
الغربية الكافرة، ولكن ضيفاً قادماً من قبل الجبار جل جلاله.

هانحن بفضل الله تعالى وكرمه ندخل معاً عتبة هذا الشهر
الكريم.

وبلوغ رمضان يا إخوتي نعمة كبرى لا يقدرها حق قدرها
إلا الصالحون لأن نعمة الصوم نعمة عظيمة لمكانته عند الله
تعالى فيها هو سيدنا أبو أمامة الصحابي يقول: أتيت رسول الله

فقلت : مرني بأمرٍ أخذه عنك فقال رسول الله : عليك بالصوم فإنه لا عدل له.

"من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً"

" ولو أن رجلاً صام يوماً تطوعاً، ثم أعطي ملء الأرض ذهباً لم يستوف ثوابه دون يوم الحساب"

فهذا ثواب من صام نفلاً [تطوعاً] فما بالك فيمن صام فرضاً، تعالوا بن نساء سيدنا رسول الله .

يارسول الله: ماثواب من صام رمضان ، اسمعوا جواب الحبيب الأعظم يقول صلى الله عليه وسلم: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه. وإذا كان أول ليسلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يغديه أبداً.

فيا أخي المعلم إذا فاتك هذا الشهر ولم تغتمن أيامه ولياليه ولم تعط شهادة المغفرة من رب المغفرة كانت خسارة مابعدھا خسارة، وأي خسارة لأعظم من أن يدخل المرء في هذا الشهر الكريم ثم يخرج منه ولم يغفر له، ولهذا أنزل الله تعالى أمين وحي السماء وسفير الأنبياء والمرسلين سيرنا محمد وهو يصعد درجات المنبر الشريف في المدينة المنورة أنزله ليقول له: (يا رسول الله) من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل آمين. قال: آمين.

من حرم المغفرة في شهر رمضان فماذا يبتغي؟ وفي أي وجه يسير وعل[أي جنب ينام، والملاكمة تناديه في السماء: يا محروم حرمت بركة هذا الشهر.

معشر الإخوة الكرام ومن عظمة هذا الشهر أن سيدنا رسول الله كان يناجي مولانا عز وجل ويكرر في دعائه (أحمد – هب - جه): اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان.

وكان يبشر بقدوم الشهر ويهنئ أصحابه الكرام فيستقبلون رمضان بالسرور والحبور وبالفرحة الغامرة فيقول من تحبون أن تصلوا عليه: (أتاكم رمضان سير الشهور فمرحباً به وأهلاً).

مرحباً شهر الصيام مرحباً	يا عزيزاً زارنا في كل عام
فر لفيناك بحب مفعم	كل حب في سوى المولى حرام
فاقبل اللهم فيه صومنا	تم زدنا من عطايك الجسام
لا تعافينا قد عافينا	خلق اسهرنا جنح الظلام

نعم يا إخوة الإيمان كان من؟؟؟ يبشر بحضور هذا الشهر المبارك ويدعو فيه أصحابه الكرام إلى الإكثار من العمل الصالح، ويقول لهم:

أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه برحمته ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء وينظر إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله منكم خيراً فإن الشقي من حرم رحمة الله تعالى

وفي رواية أخرى (ن هب) أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغلّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم.

هكذا كان يدعو أصحابه للعمل في هذا الشهر الكريم بالقربات والطاعات وقراءة القرآن وكان من قوله ؟؟: الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. و(هب) إن لله عز وجل في كل ليلة من رمضان ستمئة ألف عتيق من النار فإذا كان آخر ليلة أعتق الله بعدد من مضى (خزيمة هب – هب): من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار.

(الخمس) للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه.

أيها الاخوة الكرام شهر هذا شأنه وتلك مكانته ومنزلته. بأي شيء يجب علينا أن نستقبله، أنستقبله بالمخالفات الشرعية، وبالإسراف في إعداد أنواع الأطعمة والأشربة، وقد علمنا أن مولانا نهانا عن ذلك فقال (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) أو نستقبله بتضييع الأوقات بلعب الورق والطولة والمحرمات من الملاهي والموبقات.

أم نستقبله بالسهر في لياليه على المفسدين والجلوس إليه جلوس الجاهلين على صمن لا يفارقه إلا لقضاء الحاجة أو لمطعم أو مشرب حتى إذا حان ثلث الليل الأخير نام، نام في وقت التجلي الإلهي الذي لا ينقطع مدده، ينام حين يناديه ملك

الملوك جل جلاله: هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه.

والعجيب أن من الناس من يصوم ويصلي في هذا الشهر لكنه ما إن ينصرف عنه رمضان حتى ينقض عهده فيترك الصلاة (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا)، ألا من فعل ذلك فلن يجد نشوة الصيام ولانعمة القيام ولا الوقوف بين يدي الملك ال؟؟؟.

والأعجب من هذا وذاك أن من الناس من لايعرف هذا الشهر أبداً، لايعرف بيوت الله، ولايعرف من افترضه عليه من صيام بل هو لاهٍ عنها مع رفاق السوء فيا حسرة على ما فرطوا في جنب الله، نوم بالنهار وسهر بالليل وتقصير بالطاعات فيا غافلاً تتبه، ما هكذا يكون استقبال هذا الضيف المكرم، فهذا شهر يجب علينا أن نحسن فيه الصيام والقيام فإن أعمارنا محدودة وآجالنا معدودة، وإننا قادمون على الله تعالى واقفون بين يديه فأين أصحاب الهمم، أين مغتنموا الغنائم، وأين تجار الآخرة. فإن التجارة في هذا الشهر تجارة رابحة.

النافلة فيه كالفريضة فيما سواه. والفريضة فيه بسبعين فريضة فيما سواه. فهنيئاً لمن اغتتم أيامه ولياليه، إن لله في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها، لقد كان أصحاب نبينا الأكرم ﷺ إذا جاء رمضان يجتهدون فيه بالعبادة، فكانوا يطيلون القيام بالقرآن ويعتكفون في المسجد ولسان حال قائلهم يقول: نحفظ صيامنا من اللغو والرفث والقليل والقال.

وكان العلماء العاملون يفعلونه مثل فعلهم فيتركون دروسهم في رمضان وينكبون على المصاحف. فكان الإمام مالك رضي الله عنه يترك الفقه والعلم ويقبل على المصحف الشريف ويقول رمضان شهر القرآن. وكان مولانا الإمام الشافعي يختم ثلاثين ختمة في الصلاة في شهر رمضان.

وكان الإمام أبو حنيفة النعمان يقرأ القرآن كله في ركعتين من الليل، ويصلي الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة.

فيا أخوتي في الله هذا موسم عظيم من مواسم الله من صبر على الشهوات وصبر على الطاعات نال أجراً ومن شكر وجد بعد العسر يسراً، ومن تصدق نال فضلاً وبراً، ومن أخلص الله في صيامه وقيامه كفر عنه ذنباً ووزراً (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً).

فلنغتنم هذه الأيام، إن الله في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروا يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.



الحمد لله الرحيم الذي يرحم من عباده الرحما الكريم الذي
يسبل على العاصي ذيل حلمه جوداً وكرماً، الحليم الذي يرى
المذنب ويستتره إذا أبدى على ذلته حسرة وتندماً، العليم الذي
يعلم ما في الضمائر، ويطلع على السرائر، ولا يخفى عليه شيء
في الأرض ولا في السماء، العظيم الذي لا يتعاضمه ذنب إلا
غفره، ولا يرى عيباً إلا ستره فضلاً منه ونعماً، سبقت رحمته
غضبه (ورحمتي وسعت كل شيء) فمن لجأ إلى حمى الله
احتفى فكم غفر ذنباً وكم جبر قلباً وكم قبل متندماً

يامن له ستر جميل هل لي إليك إذا اعتذرت قبول
ابديتني ورحمتني وستررتني كرما فانت لمن رجاك كفيل
وعصيت ثم رايت عفوك وعلي سترك دائماً مسدول
واسعاً

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ألبس عباده من الأمان بالغفران تاجاً معلماً فقال لهم قل
ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله عن الله يغفر الذنوب جميعاً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال لنا لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم
(جه). فيا من أيامه في الغفلة ضائعة، وصحائفه لزلاته جامعة أقبل على مولاك بنية خالصة ونفس
طائعة، ومضّل على صاحب الشفاعة الشائعة.

صلى الإله على ابن امنة الذي جاءت به سبط البنان كريما
قل للذي رجوا شفاعته احمد صلوا عليه وسلموا تسليما

اللهم صلي وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا معشر السادة الكرام:

هاهو عشر المغفرة يطرق باب كل منا، عشر جعله الله تعالى مغفرة لذنوب العباد الذين يلتجئون إليه
مستغفرين نيبين تائبين/ فالله قد فتح أبواب رحمته لكل طارق، فيا أخي لاتقنط من رحمة الله ولايتأس
من عفوه وكرمه فمتى رأيت أن الله تعالى ردَّ أحداً عن بابه:

إذا كثرت منك الذنوب فداوها بمديد في الليل والليل مظلم
ولا تقنطن من رحمة الله إنما قنواطك منها من خطاياك اعظم

لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين
يديه لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه، أليس هو القائل (ومن
يغفر الذنوب إلا الله) ألم تسمع قوله وهو يقول {إن الله يغفر
الذنوب جميعاً}.

ولاشك أن العبد حين يعلم أن له رباً عظيماً كريماً غفوراً
رحيماً يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فيرجع إليه ويندم علي
مافرط منه، ويمد إليه يد الضراعة سائلاً العفو والصفح فلاشك
أن الله يستجيب إليه ويلبي طلبه ويتكرم عليه بمزيد من الفضل
والامتنان والإنسان الكيس الفطن لايتهاون في الرجوع إلى ربه
والندم على ذنبه فهو حذر يقظ من وساوس الشيطان ووساوسه،
واسمع معي إلى هذه القصة توضحها الآيات القرآنية {إن الذين
اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون}
الأعراف ٢٠٠.

ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح: الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع عن الذنب والاطمئنان على ألا يعود العبد إليه.

إخوتي في الله لم يكف مولانا عز وجل أن أكرمنا بالترغيب بالتوبة ووعدنا بقبولها بل زاد عليها إغراءً وترغيباً فأخبرنا بأنه تعالى يقبل علينا أكثر من إقبالنا عليه ويسارع في الترحيب بنا أكثر من مسارعتنا في توبتنا فألقوا إلي بأسماع قلوبكم إلى نداء الحق جل جلاله وهو يقول لنا: أنا عند ظن عبدي بي (أذا ظن وهو يستغفر في أني أغفر له غفرت له، إذا ظن أي تيقن أنه إذا دعاني أحبته أجبت دعاءه) أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً {إن تقرب إلى بطاعتي تقربت إليه برحمتي وتوفيقي وإعانتني، وإن زاد زدت} وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة {إن أسرع إلي في طاعتي صببت عليه الرحمة وسبقته بها} رأيتم ترحاباً غامراً يغرينا بالإقبال على مولانا أكثر من هذه الدعوة إلى المغفرة الشاملة.

ولهذا لما بعث سيدنا رسول الله وحشي (وقد قتل عمه سيدنا حمزة) يدعوهم إلى الإسلام أرسل إليه يقول: يا محمد كيف تدعوني إلى الإسلام وأنت تزعم أنه من قتل نفساً أو أشرك أو زنا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، وإنني فعلت ذلك كله فهل تجد لي رخصة. فأنزل مولانا عز وجل على حبيبه المصطفى {إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات} فبعث باه إلى وحشيب وأصحابه. فقال

وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه (ثلاثة شروط تاب وآمن وعمل) فأنزل الله تعالى على نبينا {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}، فبعث بها إلى وحشي، فقال وحشي: أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا. فهل غير ذلك. فأرسل الله أمين وحي السماء لينزل على أمين وحي الأرض بآية فيها البشارة وفيها المغفرة وفيها العفو العام {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً} فبعث بها إلى وحشي وأصحابه فأقبل وحشي على سيدنا محمد فأسلم بين يديه، فإذا بالصحابه يقولون يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال ﷺ: بل للمسلمين عامة.

فيا أخي المسلم لو أراد الله عقوبة المؤمن في جهنم وتخليده لما ألهمه معرفته وتوحيده.

فيا من اساء فيما مضى ثم اعترت	كن محسنا فيما بقى تعط الشرف
----------------------------------	--------------------------------

وابشر بقول الله في تنزيله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

سأل أعرابي سيدنا رسول الله ﷺ: من يلي حساب الخلق؟ فقال: الله تبارك وتعالى. قال: هو بنفسه قال: نعم. فتبسم الأعرابي. فقال رسول الله مما ضحكت يا أعرابي؟ فقال: أن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح فقال رسول الله: ألا لا كريم أكرم من الله هو أكرم الأكرمين.

يقول سيدنا عبد الله بن مسعود: أربع آيات من سورة النساء خير لهذه الأمة من الدنيا وما فيها. (ماهي؟) قال عز وجل: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}. وقوله عز وجل: {ولو أنهم إذا

ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
تواباً رحيماً، وقوله تعالى: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً} وقوله تعالى: {ومن يعمل سوءاً أو يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً}.

استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله

حمل كان من زللي ومن ذنوبي وتقريطي
وإصراري

يارب هب لي ذنوبي يا كريم امسكت حبل الرجا يا خير غفار
فقد

أن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرما قد شبت في الذنب فأعتقني من
النار

فأقبلوا يا اخوتي على الله في هذا الشهر الكريم

أطرقوا باب ربكم مادام قد وعدنا بالمغفرة وإياك يا أخي
من الإعراض عن التوبة والإنابة وعليك أن تسمع مولاك دائماً
يا رب يا رب فهو يحب هذه الكلمة منك، فسببها غفر لكل من
قالها وأعطاه سؤله، وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت
أرحم الراحمين فاستجبنا له

وزكريا إذ نادى ربه رب لاتذرني فرداً وأنت خير
الوارثين فاستجبنا له

وسيدنا موسى قال: رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر
له.

ولهذا كانت هي أول آية في القرآن {الحمد لله رب
العالمين}

قال سيدنا موسى في بعض مناجاته يا رب. فقال له مولانا
لبيك يا موسى. فقال موسى: يا رب أنت أنت فمن أنا، حتى
أجاب بلبيك. فقال يا موسى: إني آليت على نفسي (حلفت) أن
لا يدعوني عبد من عبادي بالربوبية إلا أجبتة بالتلبية. فقال
موسى: هذا لكل عبد طائع. قال: ولكم مذنّب، فقال موسى: يارب
أما الطائع فبطاعته فما بال المذنّب فقال الله تعالى: يا موسى إني
إذا جازيت المحسن بإحسان ومنعت المسيء لإساءته فأين
جودي وكرمي.

فيا أخي المسلم:

و عنده للورى عفو وغفران	لا تقنطن فإن الله منان
فعند ربك إفضال وإحسان	إن كان عندك إهمال ومعصية

فإلى كرم الله وعفوه إلى رحمته ومغفرته فكل بني آدم
خطاء وخير الخطائين التوابين فتوبوا إلى الله جميعاً أيها
المؤمنون لعلكم تفلحون.



في غمرة فرحة العودة من الطاعة من حج بيت الله الحرام
وزيارة نبينا عليه الصلاة والسلام التي ملأت جوانح العبد
بأداء الفريضة الخامسة لأركان الدين أرى لزماً علي أن أقوم
ببعض التوجيهات للإخوة الحجاج الذين رأوا هذا الجمع الغفير
من أمة الإسلام تطوف حول البيت العتيق معترفين ومعلنين
عبوديتهم لرب العالمين كلهم أتوا لزيارة ملك واحد هو الله
وحده.

اسمعهم يرددون لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك،
إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، هذا النشيد الروحي
يملاً الآفاق بمعناه الواضح الصريح.

أتدرون - أيها الإخوة - ما معناه، معناه: يارب جننا إلى بابك ووقفنا بأعتباك معلنين
ومعترفين بربوبيتك وألوهتك وحاكميتك. جننا لنجدد العهد على الجهاد في سبيلك وطلباً لمرضاتك.

فما أعظم هذا النشيد يتلوه أعضاء المؤتمر الإسلامي
مؤتمر يقصد في خير بلاد الله وأحباه إليه، يقصده المؤمنون
الصادقون وهم يحملون أوزارهم فيعودون بمنافعهم وهم
يتأللون بأنوارهم، يقصدون وقد ضاقت صدورهم بما حولهم من
متاعب وآلام فيعودون وقد انشروحت صدورهم بما جددوه من
إيمان وبما شاهدوه من معالم الإسلام، يعودون طاهرين كيوم

ولدتهم أمهاتهم، اما أخبرنا رسول الله أن الحجاج والعمّار وفد
الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم وإن سألوه اعطاهم،
وأن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الحج المبرور ليس له جراء إلا
الجنة.

إن الذي يدرك هذه المعاني رجلٌ حج ليحصل على الأنوار
ويُزيل عنه الأوزار الملك الغفار الجبار جل جلاله.

ورجل آخر يحج ليطلع على الأسرار، نعم – أيها السادة –
لكل منسك سر من الأسرار لا يطلع عليه إلا أهل القلوب، هذه
النخبة من حجاج بيت الله تراقب الله في خترات قلبها
وجوارحها فلا تغفل عنه طرفة عين فتراها بعد الحج يزيد عند
الإيمان في كل موقع.

إن الذي يحج ليطلع على الأسرار تراه يحج خلف رسول
الله، يرى نفسه أن الحبيب الأعظم يقوده عند ك موقع فتغمر قلبه
الفرحة عند رؤيته هذه المشاهد ويعامل المسلمين هناك باللطف
والمحبة والأخلاق العالية وخاصة وهو يسمع الحبيب الأعظم
يقول:

لاخير فيمن لا يألّف ولا يؤلف. ويسمعه يقول إن من أقربكم
مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، فتجري الدمعة على خده
فلما كبّر أو هلل أو لبي، ويغدو إلى مصلاه كلما سمع الله تعالى
يناديه على لسان المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح.

إخوة الإيمان إن الذي حج ليطلع عل [الأسرار يرى نفسه حين يحرم بالحج يحرم على نفسه إلى الأبد جميع المحرمات تراه وهو ينزع عن ثيابه المخيطة المحيطة يتجرد عن كل شيء الله تعالى، وحين يلبس قطعتين من المناشف يحضر في ذهنه ذكرى الأكفان فكما أننا سنلقى الله تعالى في الكفن كذلك هنا نلقى الله تعالى. نلقاه وليس على الأكفان أوسمة أو شارات الجاه والسلطان، فكذلك هنا الكل سواسية، الكل عبيد يتلذذ بعبوديته يدفعون مالاً كثيراً ليقفوا وقفة العبيد، يرفع يديه بذل وتضرع يا الله يا الله.

وإذا أشرف على مكة أشرفت عليه حال من الحق سبحانه فإذا دخل الحرم المكي رأى نفسه دخل في قرب الله وجواره فإذا صافح الحجر الأسود وقبله رأى أنه يصافح الحق تعالى فيظهر عليه أثر الأمن والأمان الذي قال فيه الملك الديان (ومن دخله كان آمناً)، فإذا طافوا حول البيت علموا أنهم يتشبهون بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله، فهم يعلمون أن المقصود ليس طواف الجسم بالبيت الجبر بل المقصود طواف القلب بذكر رب البيت جل جلاله.

حج رجل مع والده فلما بلغا الكعبة سقط الولد ميتاً....

إن الذي يحج ليكسب الأنوار أو يطلع على الأسرار يعود بحج مبرور وسعي مشكور وينطبق عليهم قول سيدنا رسول الله من حج فلم يرفث ويفسق ويتأفف ويكفر ويبقى هناك على الغيبة والنميمة والبهتان والغلاظة وسوء الأخلاق فهذا لم ير الأنوار

ولم يطلع على الأسرار، وإنما زار الأحجار رجع كما ذهب لا أخلاق قليل الدين جسور نمام يحتقر الناس في ذلك المشهد يأكل ويشرب كما تأكل الأنعام إذا تضايق من أحد سبه ولعنه وقد يصل به الأمر إلى الكفر والردة كفعل ذلك الغبي حين تضايق ممن معه إذا به يتسلط عليه شيطانه فيسب الرب جل جلاله أين؟ أمام الكعبة المشرفة وا خيبته وا خسارانه.

وآخر غرته أنانيته وحبه لنفسه فتعالى على أمه العجوز التي كانت السبب في خروجه إلى الحج، أتدرون ماذا فعل؟ رفض أن يقوم بمساعدتها على الطواف، كان بمفرده وتركها ثم جاء معترضاً مجادلاً، فقدمنا له كرسيّاً متحركاً ليقوم بتطوافها فرفض، رفض في البقعة الطاهرة في مكان كان الناس يأتون مشياً مسيرة أشهر يأتون بأمهاتهم يحملونهم على أكتافهم من بلاد بعيدة بل إننا رأينا هذا العام رجلاً يحمل أمه على كتفيه لينزلها من عرفات إلى المشعار ثم إلى مكة، ليسمع هذا الأناني الكسول الجهول الحسود الغليظ، الجافي، ليسمع ولير بأم عينه سيدنا ابن عمر وقر جاءه رجل يحمل أمه في الطواف فقال له: حملت أمي من اليمن إلى مكة حاجاً بها افترى أنني قد وفيتها حقها، فقال ابن عمر لا، ولا بطلقة واحدة منها.

أرى اليوم أن أجعل من هذا الأناني الجحود درساً لقد بقي هذا الأناني نكراً على من حوله، ولم يكتف وهو شاب بأن رفض مساعدة أمه العجوز، بل ترك مساعدة رفاقه الحجاج تواني وتكاسل عن أداء خدمة نفسه وخدمة إخوانه في كل منسك هاهو شاهدوه وهو يجلس في بهو الفندق وإخوانه قائمون يحملون

حقائب الحجاج إلى السيارات والله ماتنازل أن يحمل متاعه أو متاع أمه وهو جالس كالتيس لكن بدون قرون.

شاهدوه كلما تأخر طعام الغداء قليلاً ينشر تذمره في غرفته فلما أتى الطعام نادى الشيخ شباب غرفته لإحضار الطعام من باب المصعد إلى باب غرفة الشيخ تقريباً ٥١ متراً نادى مرة ومرتين لكن أصرّ رغم قيام شباب غرفته للخدمة، وبقي جالساً يرفض خدمة القافلة ويدع كبار السن يقومون بخدمته، أتدرون ماكان عمله طيلة فترة الحج؟ كان كالوسواس الخناس لم يترك أحداً من شرّه حتى تأذى به الناس حوله، فلو علم هذا الأناني الجهول أن خدمة الحجاج وقضاء حوائجهم أعظم عند الله من الصلاة في المسجد الحرام والاعتكاف فيه قائماً وصائماً، ليعلم هذا الأحمق أن خدمة الحاج شرف لنا وليسمع ماذا يقول سيدنا رسول الله سيد القوم خادمهم ويقول: من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً من اعتكاف عشر سنين.

إن علو الهمة من النبي والنبي يقول: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

الخدمة شرف لنا وخاصة لحجاج بيت الله الحرام أيها السادة اسمحوا لي أن انتقل بحضراتكم إلى هناك إلى سيد الخلق وحبيب الحق إلى المعلم الأول للبشرية إلى من هو بريء من أمثال هذا الجهول. إلى من تحبون أن تصلوا عليه، هاهو يلتقي بسيدنا ابن مسعود، فاستحيا ابن مسعود من ان يصافح النبي لأن يده كانت خشنة من اثر العمل، وأدرك رسول الله استحياء ابن مسعود، أنعرفون ماذا فعل الحبيب الأعظم: لقد أمسك بيد ابن

مسعود وقال هذه يد يحبها الله ورسوله هذه يد لاتمسها النار أبداً.

إن أمثال هذا الجاهل الحقود زاروا الأحجار رجعوا كما ذهبوا عادوا كما عادت حليلة إلى عاداتها القديمة والدليل أنهم بقوا وهم يستقبلون الناس في بيوتهم بقوا يغتابون وينمون ويخسرون حسناتهم إن كان بقي لديهم حسنات قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون ؟؟؟؟؟؟؟

وأنا أقول لهذا وأمثاله لن يضر السحاب نعق الغراب وستظل القافلة تسير بإذن الله تعالى رغم نعق الغراب.

لن يضر البحر أمسى زائراً إن رمى فيه غلام بحجر

كانت هذه أنباء حج عام ١٤٢٠ هـ بالتفصيل وإليكم موجزها على أصناف ثلاثة:

صنف زار الأحجار، وصنف اكتسب الأنوار وصنف اطلع على الأنوار.

هنا مدرسة سيدنا محمد.



الحمد لله مقدر الموت على العباد، ومخدر الغوث لينتهزوا فرصة الاجتهاد، وجاعل موت المسلمين وسيلة إلى لقائه ومدخلاً إلى دار إحسانه وحسن جزائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبد إلا إياه.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله الذي اصطفاه واجتباها، وجعله إماماً لأهل الدنيا ثم نقله إلى الآخرة ليأتم به أهل تقواه ولا جرم انه نقله إلى الرفيق الأعلى وجعل أعلى الفردوس مثواه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه التقاة الهداة وسلم تسليماً كثيراً.

أنعي إليكم وإلى العالم الإسلامي سيداً كريماً وعالمًا مخلصاً من علماء الأمة الإسلامية ارتحل إلى جوار ربه صباح يوم الأحد الماضي ١ شعبان الموافق ٢٩/١٠/سنة ٢٠٠٠م إنه العلامة الداعية القدوة، عالم الخطباء وخطيب العلماء وشيخ المفسرين وسيد علماء حي التوبة سيدي الشيخ أحمد المحاميد.

إن الوجيه مُحَمَّد سعيد به فخر الوجهاء الشيخ حسن العلي من قبيلة المحاميد شافعي المذهب دمشقي الإقامة أشعري العقيدة.

وده الشيخ حسن مؤسس قرية نصيب بدرعا خطى بكرمه وجوده جميع الأضياف من حوله من القرى كان شعاره لكل ضيف ذبيحة. في هذه البيعة ولد شيخنا الشيخ أحمد سنة ١٩١٢ من أبوين كريمين راحا يهيئاه ليخلف جده في الوجاهة، لكنهم لاحظوا شدة تعلقه بالمسجد ومحبة العلم منذ صغره،

فهياً الله له من قاده من قرينه نصيب إلى الشيخ علي الدقر وقد جاوز عمره الثامنة عشر. لتبدأ حياته العملية في جامع السادات بسوق مدحت باشا بجوار مسجدكم. ليبدأ بقراءة الفقه والعلوم الشرعية والعربية على أشياخه الشيخ عبد الرحمن الزعبي والشيخ أحمد البصروي والشيخ علي الدقر.

وظهرت بوادر ذكاء الشيخ أحمد وقوة حافظته إذ بدأ أقرانه في الحفظ بل تقدم على أشياخه في همته العالية.

فلما بلغ أشده وأستوى استأذن شيخه الأكبر الشيخ علياً الدقر بالتلمذة على يدي محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسيني فيأذن له فحضر دروسه العامة والخاصة لمدة أربع سنوات متواصلة.

تعلم الشيخ أحمد من شيخه العزة والكرامة والاعتزاز بالإسلام وعدم مدّ يده إلا لله تعالى ونفذ ذلك طوال حياته السبعين سنة التي قضاها منذ بدأ طلبه للعلم، وكان يسمع شيخه الشيخ علياً يقول:

ماقدّر لماضيك أن يمغضا فسيمضغا ويحك كلّها بعز ولا تأكلها بذل

أيها الأخوة لم يهدأ مولانا الشيخ أحمد لحظة واحدة في حياته في طلب العلم والتعليم والوعظ والإرشاد، وكان عالماً متواضعاً وشجرة مثمرة قطوفها دانية يقطف ثمارها الخاص والعام.

حتى عندما انتقل إلى مسجد باب مصلى فسكن في إحدى غرفه وجد شيخ جامع محمود العطار إمام علم الأصول في دمشق صار يحضر دروسه ولم يضع لحظة واحدة.

وتناهى إلى سمعه أن علماً ذاع صيته بالولاية والعلم الدؤوب بعبارة سهلة وإلقاء متميز هو سيد علماء حي التوبة الشيخ أبو الخير الميداني كان يعقد مجلسه للأسر الدمشقية وأصحاب الأعمال التجارية بعد صلاة الفجر حتى إذا طلعت الشمس سارع الحضور إلى أعمالهم اليومية.

تقدم إليه الشيخ فشاهده وهو يقرئ الطلاب البلاغة، رآه جالساً أمام المحراب الشافعي وخلفه لوح يقرأ العبارة ثم يخرج الكلاب ليقروها ويشرحوه ويبقى الدرس حول هذه القاعدة البلاغية ثم يقوم بتطبيقها ضمن بيت شعري، كل ذلك يفعل الشيخ ممزوجاً بالنكتة الأدبية اللطيفة التي يلقيه الشيخ عليه بين الفينة والفينة، فلزم شيخنا هذا الدرس حتى انتهى الكتاب.

لكن لحسن الحظ يعين شيخنا إماماً لمحراب الشافعي في جامع التوبة نفسه بعد وفاة الشيخ أبي الخير واستلام الشيخ سعيد البرهاني.

وهنا بدأت مرحلة جديدة في حياة شيخنا الشيخ أحمد إذ أنه أقام دروسه في المسجد فبدأ بتفسير القرآن الكريم بقي فيه مدة خمسين سنة وصل فيه إلى سورة سيدنا محمد وقد جمعت له أربعمئة شريط تسجيل فيها حياته العلمية وثقافته اللغوية.

وكان أهل الشام في الستينات والسبعينات ينتظرون يوم الجمعة ليسمعوا خطبة الجمعة في المذيع التي تنقل من جامع الشمسية بالمهاجرين يخطبها مولانا الشيخ أحمد يبقى الناس يتحدثون عناه طيلة أسبوع كامل لما حوت من معان منيرة وعاطفة متدفقة ومن أراد أن يستمع إلى تلك الخطب فقد جمعها في كتبه الخمسة التي فياه خلاصة مطالعته الشرعية الأدبية. أتدرون أيها الأخوة أي الطبقات كانت تحضر خطبة الشيخ، كان من ضمن الحضور ثلاثة من الطبقة العليا نم تلاميذ الشيخ بدر الدين منهم الشيخ رفيق السباعي والشيخ صالح العقاد ومولاي الوالد رحمهم الله كانوا يزينون الحضور ملتفين

حول الشيخ أحمد الذي دامت خطبته في المسجد خمساً وثلاثين سنة كان يقصد نم خلاهما نفع الناس ووعظهم بدون تكلف في الكلام وتزويقه وإغراقه بالفصاحة بل يجعله مطابقاً للحال.

وكان كشيخه الدقر لا يتدخل بسياسة البلد ولا يهاجم على المنبر أحداً. أيقظ الشيخ في تلامذته حب العلم والحرص عليه وكنت خلال سنوات تلمذتي عليه يكرر لي دائماً:

أخي لن تنال العلم إلا بستة سآتيك عن تفصيلها ببيان ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان وكنت كلما أصدرت كتاباً شجعتني على غيره وحضني على الزيادة في العلم وربما قدّم لكتابي إن أعجبه ورأى الحاجة لذلك.

ورغم ماوصل إليه الشيخ من علوم ومعارف سألته الطيبة الخميس الماضي في مشفى الرازي ما عملك يا أستاذ؟ فقال طالب علم. حقيقة لم يتوقف الشيخ عن طلب العلم في كل أحواله ولقد كنت أدخل عليه فأرى الكتاب بجوار ويحدثني بأحلى ماقرأ فيه وصدق به قول سيدنا رسول الله: (من سلك طريقاً للمشى فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة).

وهكذا أيها الأخوة عاش الشيخ عيشة الأحرار الأعزاء لم ينافق ولم يدهن وبقيت عمامته لا تسجد إلا لله تعالى حتى وافته المنية فرحمك الله يا شيخنا وعوض المسلمين خيراً ونسأله تعالى أن يجعلنا خلفاءك المخلصين الداعين إلى دين الإسلام. ونسأله تعالى أن يهيء لنا طلبة علم يلازمون منهجك وسيرتك.

اللهم اجمعنا به في مستقر رحمة وصدق رسول الله والله أكبر لا يبلي والذنب لا ينسى والدنيا ؟؟؟ اعمل ماشئت كما تدين تدان.



الحمد لله الموصوف بصفات الكمال المنزه في جلاله عن الشبيهة والمثال
فسبحانه من إله نطقت بوحدانيتها عجائب مخلوقاته وشهدت بقدرته على
تنفيذ مراده بدائع مصنوعاته.

أحمده تعالى على ما خصنا به من نعمة وآلائه وأشكره وأستجير به من
أليم عقابه وبلائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله شرفنا بكلمة التوحيد
وأزال عن قلوبنا ظلمات الشك والترديد، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدٌ عبده ورسوله
وصفيه وحبيبه وخليفه نبي أرشد أمته إلى الإيمان وحذرها من مخالفة الملك
الديان.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى سائر النبيين الكرام الذين
بلغوا أمهم وعلى أله وأصحابه المتفقهين في دين الإسلام صلاة وسلاماً دائماً دائمين
متلازمين إلى يوم الدين.

في الحادي عشر من شهر آب الحالي سنة ١٩٩٩ ستشرق الشمس
وتغرب مرتين في نهار واحد إنه الكسوف الكي حيث تتجلى القدرة الإلهية
العظيمة فيحجب القمر ضوء الشمس لنرى آية من آيات هذا الكون المنظم،
إن الله القادر المقتدر الذي جعل هذا السراج وهاجاً، هو القادر على طمسه،
فالشمس والقمر مخلوقات الله تعالى والله هو المعبود وحده.

{ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون، فقولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر}

إن هذا الكسوف القادم إلينا سيكون مرئياً في جميع أنحاء الوطن العربي، ولكن لن يكون كلياً إلا في أقصى الشمال الشرقي منه، ففي شمال سورية الشرقي وبعيد ظهر ذلك اليوم ١٤.١٣، وسيبدأ بكسوف جزئي يستمر حوالي ساعة وعشرين دقيقة تقريباً، ثم تغرب الشمس وتختفي كلياً ويحل الظلام التام لمدة دقيقتين حيث سيكون متاحاً لنا رؤية بعض الكواكب القريبة من الأرض عطارد والزهرة والمريخ والمشتري، وكذا النجوم القريبة من الشمس المختفية، كما يشاهد الانفجارات الشمسية بشكل نوافير وشلالات.

ثم تعود الشمس إلى أماكنه عليه، وخلال ساعة أخرى نتابع خلالها كيف يطوي الظلام أمتعته للرحيل لينتصر النور على الظلام، إنها إرادة الله تعالى التي لن يستطيع أحد أن يردها أو يعطلها: {قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة} من إله غير الله يأتيكم بضياء، من القادر، من المقتدر، من الجبار، من القهار، من الحي، من القيوم، من الواحد، من الماجد، من الواحد، وحدوا الواحد.

إن الشمس من آيات الله الدالة على عظيم قدرته وبديع صنعه، ودقيق حكمته ليستدل بها الإنسان الجاحد، على وجود الخالق الواحد.

وهذه الآية الكونية من آلاف الأدلة التي تبرهن على وجود الصانع الحكيم والخالق العظيم الذي عنت الوجوه لعظمته وخضعت النفوس لحكمته.

فيا عجباً كيف يعصي الإله أم كيف يحده الجاحد وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، إنه الله القادر، إنه الله البديع الصنع، إنه الله الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون. وصدق الله العظيم.

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون.

هذا هو نظام الله الكوني، لكن أراد منا أن نعرف أنه هو الذي يجريه، جعله ينخرم ويختلّ في بعض الأحيان ليعود الناس إلى ربه عز وجل، إننا نحارب الله في أسواقنا، إننا نحارب الله في شوارعنا، في بيوتنا، والله لا يحارب، والله لا يخادع.

نحن اليوم مبتلون بقلّة المياه، بقلّة المطر، لكننا لم نرجع إلى الله، إنه امتحان شديد عسير فهل نترك المعاصي، هل تعود نساؤنا فتستر رؤوسها مع بناتها، هل تغلق بيوت الزنى المنتشرة بين المسلمين، نحن في بلاء وشظف العيش، والأمة سادرة في غيها لاتتعظ.

لاترجع الأنفس عن غيها مالم يكن لها من زاجر.

هاهو مولانا يهددنا ويتوعدنا بآية أعظم، آية ظاهرة كعين الشمس، بل هي الشمس بعينها. قولوا - بالله عليكم - ماذا ستفعل الأمة لو استمر هذا الكسوف يومان، مالم الذي سيجري على الأمة، لقد نقل غير واحد من الأطباء أنه خلال الكسوف ومع تراجع ضوء الشمس المرئي تتوسع حدقة العين بسبب العتمة المتزايدة مما يجعل النظر للشمس بشكل مباشر يصيب شبكية العين وتخريبها خلال ثوانٍ معدودة ولا يمكن إصلاحها. وقد حدث بالكسوف الماضي حالات عمى متعددة هذه هي حرب الله لأهل المعاصي.

ويحذركم الله نفسه، {وما نرسل بالآيات إلا تخويفا}.

فيا أخي المسلم إنه لجدير بك أمام هذه الدلائل الواضحة، والبراهين الساطعة أن تستعمل عقلك وتستنهض فكرك وتؤمن بربك وتخضع لجلاله وتذل لعظمته وتطلب من الرحمة والمغفرة والإحسان.

أيها الأخوة كان الجهلة في الماضي يتعاملون مع الكسوف والخسوف بالخروج إلى الشوارع والصعود إلى أسطح المنازل ضاربين على الأواني النحاسية والطبول لمنع الحوت من اختطاف الشمس أو القمر أو أن هناك قوة خارقة تبتلع الشمس بسبب فساد الإنسان فيقدمون القرابين. أما العلم الصحيح فأثبت أن سبب كسوف الشمس ناتج من وقوع القمر بين الشمس والأرض، والله عز وجل أعلم. وأما السنة المطهرة فتبين لنا الحقيقة كل الحقيقة، فتعالوا معاً لنرَ الحبيب الأعظم يقدم لنا الدواء الشافي لهذه الآفة الكونية. تخبرنا أم المؤمنين السيدة عائشة وجمع من الصحب الكرام ان الشمس كسفت في عهد رسول الله يوم مات ولده سيدنا إبراهيم بن السيدة ماريّا القبطية. فقام رسول الله فزعاً يخشى أن تكون الساعة حتى أتى المسجد فنأدى بالصلاة جامعةً، فصف الصحابة الكرام يصلي فأطال القيام جداً ثم ركع فأطال الركوع جداً، ثم رفع رأسه فأطال القيام جداً. وهو دون القيام الأول، ثم ركع (ثانية) فأطال الركوع جداً وهو دون الركوع الأول ثم سجد ثم قام، ففعل مثلما فعل في الركعة الأولى بتطويل اقل من الركعة الأولى. ثم وقف خطيباً بعد الصلاة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

(إن الشمس والقمر من آيات الله يخوف الله بهما عباده)، وإنهم كانوا يقولون إن الشمس والقمر لا يخسفان إلا لموت عظيم. وإنهما لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا وأدعوا الله وصلوا حتى يفرج الله عنكم (وفي رواية) فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره وتصدقوا).

يا أمة محمد أن من أحدٍ أغير من الله أن يزيي عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً، ورفع يديه وحركه وقال: اللهم هل بلغت. وفي رواية: إني قد رأيتمكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال فيؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل فأما المؤمن والموفن فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وأطعنا. فقال له: قد كنا

نعلم إنك لتؤمن فتم صالحاً. وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لأدري، سمعت الناس يقولون شيئاً، وإنه عرض عليّ كل شيء تَوَلَّجُونَهُ، فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ حتى لو تناولت منها قِطْفاً أَخَذْتَهُ (ولو أَخَذْتَهُ لَأَكَلْتُم مِّنْهُ مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا)، وعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَعُذِبُ فِي هَرَّةٍ لَهَا رِبَطَتُهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ ورَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، قَالُوا بِمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرُهُنَّ، قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ، قَالَ: بِكُفْرِ الْعَشِيرِ وَبِكُفْرِ الْإِحْسَانِ (أَيَّ بِكُفْرِ الزَّوْجِ الْمَعَاشِرِ أَوْ بَغْيِهِ) لو أَحْسَنْتُ إِلَى أَحَدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ. ثُمَّ قَالَ، حَرَكٌ: فَمَا مِنْ شَيْءٍ تَوَعَدُونَهُ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتَهُ فِي صَلَاتِهِ هَذِهِ.

أيها المؤمنون عودة إلى الله.. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، عودة إلى الصلاة هذا هو الحل؟ الصلاة، وقد علّمنا رسول الله صلاة الكسوف لنفزع إلى الله، املاؤا أوقاتكم في الاستغفار والأدعية والأذكار وقراءة القرآن، ويفضل عدم النظر إلى قرص الشمس إطلاقاً، إن النظارات الشمسية لا تحمي العيون من ضرر الكسوف. عملياً لا يوجد علاج نوعي في حالة الأذية والأساس هو الوقاية والمثل الشعبي يقول: «درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج». وانتبهوا إلى أطفالكم وراقبهم بشكل مباشر أثناء هذه الآية الكونية. وصدق الله العظيم: {وَمَا يَجِدُ بَأْيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ} {وَمَا يَجِدُ بَأْيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} {مَا يَجِدُ بَأْيَاتِنَا إِلَّا كَلَّ خَطَارَ كُفُورٍ}. اللهم لاتأخذنا على حين غرة ، ولاتدعنا في غمرة وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم فنا شرّ الأسواء ولا تجعلنا محلاً للبلواء. اللهم أعطنا أمل الرجاء، وفوق الأمل يا الله.

رمضان والقرآن

. ٣٤ .

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبصرة لأولي الألباب ، وأودع فيه من فنون الحكم والعلوم العجب العجاب ، وجعله أجلّ الكتب قدراً وأغزرها علماً وأعظمها نظاماً ، وأبلغها في الخطاب .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فهو العزيز الوهاب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك عنت لقيوميته الوجوه ، وخضعت لعظمته الرقاب .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المبعوث إلى خير أمة بأفضل كتاب .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأنجاء ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

مهما حاولت الأمم والشعوب والحكام والمحكومون وعلماء القانون والقضاة أن يأتوا بنظام يسعد البشرية جمعاء فلن يجدوا قانوناً ولا نظاماً ولا تشريعاً إلا في قرآن سيدنا محمد ﷺ ، ودين سيدنا محمد ﷺ ، وشرعة سيدنا محمد ﷺ ، هذا الدين الذي كمله الله ورضيه للبشرية ديناً وأعلن ذلك على مسمع التاريخ كله :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام
دينا﴾ (المائدة ٣)

معشر الإخوة : أرحب بكم مع الحلقة الرابعة والثلاثين من سلسلة الحلقات
الرمضانية من جامع الدرويشية وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من
كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة البقرة : أعوذ بالله من
الشیطان الرجیم ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان﴾

إخوة الإيمان : يعظم المسلمون القرآن الكريم ويضعونه في أحسن مكان في
غرفهم ولكني أسأل : هل ينفعهم ذلك بدون عمل بتعاليمه والوقوف عند
حدوده ؟، إننا ندعي بأننا مؤمنون ومصدقون بهذا القرآن ، ولكن هل ينفعنا
هذا الإدعاء وهذا التصديق بدون عمل ؟

ولو أن قائداً من القواد أرسل إلى بعض جنوده كتاباً يأمره فيه باتخاذ خطوة
معينة وإجراء عملية حربية عسكرية ، فتلقى الجندي الكتاب بكل احترام
وتقدير وقبلة ووضع على رأسه ، ثم احتفظ به في أكرم مكان عنده ، غير أنه
اكتفى بذلك ولم يعمل بمحتوياته ولم ينفذ الأوامر التي تضمنتها الكتاب ، فهل
يكون هذا الجندي ممثلاً طائعاً قائماً بواجبه يستحق المكافأة والتقدير أم يكون
عاصياً مهملاً مفرطاً يستحق العقاب والتنكيل !!؟

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ شعار نفذه الرعيل الأول في صدر
الإسلام ففك العقول من إسارها ، وحرر الأفكار من أغلالها ، وقضى الله به

على العصبية والطغيان والجبروت ، وأمات به النعرة والقبلية والأنانية ، وأقام به أمة هي مضرب الأمثال في الإيمان والإخاء والعدل والمساواة .

لقد بنى القرآن الأمة ، وأدبها بأعظم الآداب ودافع عنها وعن شرفها ونادها :

﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم (فيه عزكم فيه شرفكم) أفلا تعقلون ﴾

إلهي للهدى أنزلت فينا	كتاباً فيه عز العالمينا
جمعت الخير كل الخير فيه	ويبقى جامعاً ديناً ودنيا
تلاوته تزيل الهم عنا	وتملأ قلب سامعها يقينا

تعالوا بنا . **معشر السادة** . نتل هذا الكتاب ونحن نتدبر آياته الكريمات ، بدءاً من موقف القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ ، حين وقف على الصفا ونادى بالإنذار الأول لأمة العرب ، فكان أول من جابه الدعوة النبوية عمه أبو لهب قال : تباً له سائر اليوم . فأنزل الله تعالى أمين وحي السماء برد قاصم على أبي لهب ﴿ تبث يدا أبي لهب وتبّ . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى ناراً ذات لهب ... ﴾ دفاع عظيم عن أشرف العالمين خلقاً وخلقا ، وغضبت زوجه أم لهب وتأتي فتقول : أين مذمم (مذمم) وسيدنا النبي أمامها جالس أعمى الله بصرها عنه ، وهي تردد: أين مذمم ؟ وهم يضحكون : ماذا تريد من منه ؟ قالت : سمعت أنه هجا زوجي ، لئن رأيته لأضربه بهذا الحجر . فأنزل مولانا : ﴿ وامراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ﴾ .

وينقطع الوحي أياماً ، فيحزن حبيب الله ويصيبه الهم والغم : هل الرب قلاني
!؟ هل غضب عليّ ؟ فتأتي امرأة عجوز إلى نبينا ﷺ ، وتقول له : أين
شيطانك ؟ ما أراه إلا قد انقطع عنك . ويسارع أمين وحي السماء يطوي
السبع الطباق فينزل بالقرآن مدافعاً عن سيد الأنبياء ﷺ والضحى . والليل
إذا سجي . ما ودّعك ربك وما قلى ...»

ويعت ولد النبي ﷺ ، فيأتي العاص بن وائل ، لم يرع إنسانية ولا شعوراً
فيستهزئ بالحبيب الأعظم ويقول أمام الناس : أما سمعتم ؟ مات آخر ولد
لمحمد ، قطع نسله ، بُتر مُحمَّد ... وسرعان ما نزل الجواب على قلب سيد الأنام
يا مُحمَّد ﴿إنا أعطيناك الكوثر . فصلّ لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر﴾
(إن مبغضك هو الأبتر) ماذا تريد من الدنيا يا مُحمَّد (إنا أعطيناك الكوثر)
خير من الدنيا وما عليها

أما أنت يا سيدي يا رسول الله فلا زال المسلمون يحبونك حتى بعد ١٤ قرناً
وخصوصاً أهل الدرويشية

حُبُّ النبي المصطفى لقلوبنا غسل مذاب

حُبُّ النبي المصطفى يحبيك من تحت التراب

يا سيدي ومُحمَّدي

أصبحت أغنى واحد في الكون فيك بلا حساب

أنت الخلايا في دمي لكنها بك تحتمي بك لاتصاب .

هرقل كان يقول : " لو كان مُحَمَّدٌ عندي لغسلت قدميه بيدي هاتين "

ونحن نقول : يا هرقل لا يحتاج سيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ ليكون عظيماً لأن تغسل قدميه ، لأن الله تعالى قال لنبيه : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ .

والله . يا سادة . لو قرأنا القرآن بتدبر لما جرى في الأمة هذا الذل الذي هي فيه. إن رب العزة و الجلال دعانا للتدبر في القرآن في أكثر من آية ليدخل الإيمان هذا القلب الذي يصيبه الران الأسود من أثر المعاصي حتى عمي عن كلام الله .

سيدنا عمر عملاق الإسلام سمع امرأة بالليل تردد آية من القرآن الكريم ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ ترددها ولا تتجاوزها ، وهي تبكي ، وهي خائفة أن تصيبها الغاشية التي هي يوم القيامة . من أين أخذت هذه المرأة هذا المنهج الفريد في التدبر للقرآن ؟! أخذته من سيدنا مُحَمَّدٌ رسول الله ، حبيبك النبي ﷺ قام ليلة كاملة وهو يقرأ آية واحدة يرددها وهو يبكي ويتفكر فيها ، هل الآية عن الجنة ؟ لا، عن النار ؟ : لا ، عن أهوال يوم القيامة ؟ لا ، عن سكرات الموت ؟ لا ، لا ، فما الذي أبكى نبينا سيدنا مُحَمَّدًا إن الآية التي أبكت الحبيب الأعظم تحدثت عن هذه الأمة ويبكي من أجلها ، قرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة ١١٨) يردد هذه الآية وهو يبكي ، ثم يخر ساجداً لله وهو يقول : اللهم أمتي أمتي .. فأنزل العليم الخبير أمين وحي السماء سيدنا جبريل وقال له : " قل لحبيبي مُحَمَّدٌ إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك .

سيدنا النبي ﷺ أمر أمته بتدبر القرآن وتفهمه أثناء قراءته ، وكان قدوة في التدبر، في ليلة أخرى قام رسول الله ﷺ يتدبر آية من كتاب الله ويتفكر فيها، فيبكي ويشند بكاءه حتى جاء سيدنا بلال ليؤذن لصلاة الفجر فوجد رسول الله ساجداً يبكي في المسجد فقال :

يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ﷺ : أنزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر بها . ما هي يا رسول الله ؟ آخر سورة آل عمران ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ... ﴾

إخوتي في الله : كان الرعيل الأول يرون هذا القرآن رسائل إليهم من رب العالمين لذا كانوا يخشعون في صلاتهم ويتدبرون ، كان الصديق الأكبر رضي الله عنه إذا ما دخل في الصلاة وبدأ بتلاوته بكى وسمع صوته بالبكاء .

وهذا عمر الخير رضي الله عنه دخل الصلاة فقرأ من سورة يوسف حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ... ﴾ فصار يبكي حتى سَمِعَ صوته من آخر الصفوف .

أما سيدنا عثمان فعاش على القرآن ، ومات على القرآن ، وسال دمه على القرآن وبكى زوجته ، أتعرفون ماذا قالت عندما رآته شهيداً أمامها وقد سال دمه على القرآن ؟ قالت : قتلتموه وإنه ليحيي الليل بالقرآن ، من يحيي الليل بالقرآن بعدك يا عثمان ؟!. وكان من شدة تعهده للقرآن أنزل الله في حقه

وحق أمثاله : ﴿ آمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ .

أيها الأحبة والصحب : هذا الكتاب المقدس فيه منهجية حياة لأهل الإيمان ، من اتبعه لا يضل ولا يشقى ، فيه كل شيء حتى قال تعالى فيه ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ العلماء اليوم يكتشفون المكتشفات فينظرون فإذا هي في القرآن الكريم منذ عهد سيدنا محمد ﷺ .

رأى علماء الغرب أن البذرة تنفلق عن النبات ، واكتشفوا أن البذرة لا تنبت حتى يحدث لها شيء ، ما هو ؟ تهتز البذرة اهتزازاً ، فإذا اهتزت انفلقت وخرج النبات منها .

قال لهم أهل العلم من المسلمين : هذا ذكره سيدنا محمد ﷺ منذ ١٤٠٠ سنة . قالوا: هذا موجود عندهم؟! أين ؟ قالوا في قوله تعالى :

﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ .

اقرأوا القرآن ولا تمروا عليه مرور الكرام تجدوا العجب العجاب ، القرآن يكلمك أنت ، يخاطبك أنت ليزداد إيمانك بمنهجية القرآن الكريم ودستوره .

قال أحد علماء الفلك : هذه النجوم كثير منها اختفى منذ زمن ، وهذا النجم الذي نراه اليوم هو ضوء النجم الذي اختفى منذ مئات السنين ، أكثر ما تراه في النجوم لا تراها هي بل ترى ضوءها الباقي ، ترى موقع النجم الذي اختفى .

فرد عليه عالم المسلمين : هذا نعرفه منذ ١٤٠٠ سنة (قديمة : هذه المعلومات
قديمة) يعرفها المسلمون من أربعة عشر قرناً من الزمان . قال : أين؟ قال : في
كتاب ربنا عز وجل ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون
عظيم ﴾

وما أدري نبينا الأعظم ﷺ أن البحر المالح إذا اجتمع مع البحر الحلو يطفو
عليه، من أدراه به ؟، ولم يكتشفوا ذلك حتى اليوم ، الله هو الذي أعلم نبيه
الكريم ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ سلوا علماء الطب
البشري وعلماء الفلك وعلماء الجيولوجيا وغيرهم ، سلوهم ألم تجدوا في القرآن
ما يعجز ، وصدق الله العظيم:

﴿ سنريهم في آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾
(وحدوا الله)

لقد هجر الناس القرآن حتى أصبح حكراً على الموتى والتعازي ورمضان ،
وهُجرت المساجد حتى قلَّ فيها الراكع والساجد ، والذي يقرأ القرآن منهم
يقرؤه هذرمة وربما أكل الحرام بعده أو قبله ، قولوا عياداً بالله .

بينما كان الرعيل الأول يتعاهدون القرآن ، حتى يُسمع لهم بالليل دوي كدوي
النحل في القرآن ، تعالوا . **معشر السادة** . في ختام وقفتي معكم أن أضرب
لكم مثلاً بفتي من فتيان سيدنا محمد ﷺ :

اسمعوا يا شباب ! غلام يحفظ القرآن ، أراد أن يعبر نهراً ، فما وجد أحداً يقلُّه ،
ومرَّ قارب لرجل ثري وعنده خمر ونساء ، فرأى هذا الغني الغلام ينتظر فأركبه

معه ، وطول الطريق الغني يعزف ويطرب ، والغلام آخذ بالذكر ، نظر الغني إليه فقال : تعالى شاركنا ، قال : لا عندي ما هو أحسن من هذا . فأثار كلام الغلام الرجل الثري فقال لمن حوله : اسكتوا . ثم قال للغلام : عندك أحسن من هذا تمتعنا به . قال : نعم عندي أحسن . فقال : هات أسمعنا . وظن الثري أن الغلام سينشد لمطرب ما جن أو مطربة فاسدة فاجرة ، وسكت الجميع وأنصتوا للغلام ، فقرأ الغلام :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ قل متاع الدنيا قليل (كل ما عندكم في هذه الدنيا قليل) والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلا . أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة . ﴾ وراح الغلام يقرأ والغني الغافل بدأت تنجلي ظلمة قلبه ويتأثر ، فإذا عيناه تذرفان ، تأثر كالظلمة التي يأتيها النور . وتوقف الغلام . وسأل الغني هل عندك غيره ؟ قال . نعم .

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا . ﴾

وهنا قام الرجل ومن حوله قومة رجل واحد وأخذوا زجاجات الخمر والمعازف فألقوها في النهر ، وتاب الغني وتابت المغنية وتاب من ركب معهم فلم يكونوا من المغرقين .

أيها المسلم : آية واحدة إذا تدبرتها تفتح القلوب المغلقة ، اقرأوا القرآن بتدبر ،
واجعلوه دستور حياتكم :

﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ عندما تخلينا عن كتاب ربنا وتركنا الحكم به
انظروا ماذا فعل الله بنا ، لا عزة ولا نصر إلا بالعودة إلى القرآن ، وحتى نسمع
قول القائد الأعلى للأمة :

" تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي " .

ألا هل بلغت ! اللهم فاشهد .

فضل القرآن في رمضان

. ٣٥ .

الحمد لله على حلمه بعد علمه ، وعلى عفوه بعد قدرته ، كل شيء قائم به ، وكل شيء خاشع له ، عز كل ذليل ، وقوة كل ضعيف ، وغنى كل فقير ، ومفزع كل ملهوف ، من تكلم سمع نطقه ، ومن سكت علم سرّه ، ومن عاش فعليه رزقه ، ومن مات فإليه منقلبه .

أحمده حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ويدفع نقمه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده بلا عدد ، وقائم بلا عمد ، ودائم بلا أحد ، لا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ، عظمت حكمته وجلّت قدرته، أنزل على نبيه وحبيبه :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيرته خير سيرة ، وعترته خير عترة وشجرته خير شجرة ، نبتت في حرم ، وبسقت في كرم ، هو الأُمّي الذي علّم

المتعلمين ، واليتيم الذي بعث الأمل في قلوب البائسين ، والهادي الذي قاد
سفينة العالم الحائر في خضم المحيط ومعتك الأمواج إلى شاطئ رحمة الله رب
العالمين ، سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

يا داعياً للواحد الديان
يا رافعاً صوت العدالة عالياً
يا هازماً للبغي والطغيان
ومؤذناً في الناس بالقرآن

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند
الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد صلاة وسلاماً يليقان بمقام أمير الأنبياء
وإمام المرسلين ، وعلى آله وصحابه الغر الميامين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : معشر الإخوة الكرام :

أقف اليوم على رأس العشر الأول من شهر رمضان خاضعاً متذلاً بين يدي
الله لأقرأ عليكم باسمه دستور هذه الأمة ، دستور تعبّدنا الله تعالى بتلاوته
والتحاكم إليه ، وأخذه منهاجاً في حياتنا ، دستور وصفه الله تعالى بأوصاف
لوتدبرها العالم اليوم لترك القوانين الوضعية التي وضعها البشر للقضاء على
البشر ، ذلك لأنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، إنه القرآن الكريم
شرف المؤمن وعزّته ، بل سبيله إلى حياة خالدة سعيدة، (ت) " من قال به
صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى
صراط مستقيم ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره
أضله الله " .

فاسمحوا لي . معشر السادة الكرام . أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك ومع الحلقة الخامسة والثلاثين من سلسلة الحلقات الرمضانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لتكون ضمن الصحب الكرام في حديث جليل وكلام عظيم نزل على نبينا سيدنا مُحَمَّد ﷺ، تعالوا بنا نستمع إلى آيات من الكتاب ، الله يصف بها كتابه الشريف المقدّس ، فادخلوا على سيدنا رسول الله وأنتم تصلون وتسلمون عليه ، اسمعوا الآيات التي نزلت:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ رمضان ، وما أدراك ما رمضان ؟ خمس أحرف جعلها الله للمؤمن ليحفظ فيه حواسه الخمس عن معصية الله في هذا الشهر الفضيل ، ورمضان هو الشهر الوحيد في القرآن الذي ذكر الله اسمه صراحة ، أتدرون لماذا ؟.. لأن سبب عظمة هذا الشهر أن الله تعالى أنزل فيه القرآن ، القرآن الذي وصفه الله تعالى بقوله : إنه هدى للناس وإنه بينات من الهدى والفرقان .

اسمعوا الأوصاف التي يسبغها الله على كتابه وشريعته :

١ . بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ، مجيد متصف بالمجد والشرف ، محفوظ بحفظ الله من التغيير والتبديل .

٢ . كتاب مبارك : كثير الخيرات .

٣ . كتاب مبين : آياته بينات ، فيه تبيان لكل شيء من أمور الدين والدنيا والآخرة ، ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة ﴾ (النحل ٨٩)

٤- حكيم يضع الأمور في مواقعها ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي أقوم ﴾ (الإسراء)

٥ . كتاب عزيز : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه ﴾ .

٦ . كتاب مفصل : ﴿ فصّلت آياته ﴾ ميزت ووضحت .

٧ . كتاب عربي : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ .

٨ . وهو هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿ هدى للمتقين ﴾ من اهتدى بهديه انتفع به وصار من الأتقياء .

٩ . وضرب الله فيه من الأمثال للتذكيرة والعبرة .

١٠ . وجعله شفاء ورحمة للمؤمنين .

١١ . و ﴿ غير ذي عوج ﴾ : أي لا ينحرف عن الحق .

١٢ . وجعله الله تعالى ﴿ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ أي يصدق الصحيح فيها ، ويصحح ما دخل فيها من تحريف وتغيير .

١٣- وله قوة تأثير عجيبة ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾

١٤- لذلك تحدّى الله به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴿ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾
معشر الإخوة الكرام :

هذه بعض من صفات دستوركم الذي تتمسكون به ، إنه باختصار كتابٌ حق ﴿ لا ريب فيه ﴾ لا يشك أحد فيه أنه من عند الله .

إخوة الإيمان : لهذه الصفات للقرآن رأيت الصحابة ومن بعدهم يتمسكون بهذا القرآن يعملون به ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، لأن الله تعالى وعد من فعل ذلك أن يعطيه حتى يرضيه ، فمن عامل الله ربح ، ﴿ إنّ الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنّهم غفور شكور ﴾ .

وينظر رسول الله إلى الجيل المحمدي الذي سيحمل الراية من بعده فيحضهم على تلاوة القرآن وحفظه وتعلمه والعمل به ويقول لهم :

" اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه " و "خيركم من تعلم القرآن وعلمه " " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة " .

ومن هؤلاء الماهرين سيدنا عبد الله بن مسعود (م) قال له سيدنا رسول الله :
اقرأ علي القرآن . فقال سيدنا ابن مسعود : اقرأ عليك القرآن وعليك أنزل ؟
قال : نعم إني أحب أن أسمع القرآن من غيري . ويقرأ سيدنا ابن مسعود من
سورة النساء ، يقرأ ويقرأ ﴿ و ماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر
وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً . إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن
تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ حتى وصل إلى قوله تعالى
﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ وهنا
قال رسول الله : كفى ، ونظر ابن مسعود إلى رسول الله فإذا عيناه تذرفان ،
بكى رسول الله لهذا الفضل العظيم الذي أولاه الله إياه .

هذا رسول الله يعطي من نفسه المثل في اهتمامه بالقرآن ، فتسارع الصحابة
يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، على رأس هؤلاء سيدنا الصديق لما اشتدَّ
عليه أذى قريش خرج يريد الهجرة فقابلته زعيم من زعماء قريش اسمه ابن الدغنه
فقال له : أين تريد ؟، فمثلك لا يخرج ، وأرجعه إلى مكة إلى جواره ، واتفق
مع قريش أن يبقى في بيته يصلي ويقرأ فيه القرآن ، فاتخذ مكاناً من بيته يصلي
ويقرأ القرآن في الليل عندما ينام الناس ، ولكن بعض فتيان قريش ونسائهم
كانوا يأتون إليه في جنح الليل مستخفين يقبعون في الزاوية يسمعون القرآن
بصوت الصديق الرخيم وهو يبكي ويخشع عند قراءته ، وكثر الفتيان من حول
البيت حتى عرفت قريش ، فأتت إلى ابن الدغنه ترجوه أن يمنعهم من قراءة
القرآن لئلا يفتتن فتيان قريش ونساؤها .

هذا الاهتمام بالقرآن يدل على الإيمان ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ هذه الشهادة العظيمة من رب العالمين .

كان الفاروق إذا قام يصلي سُمع لصدره أزيز كأزيز المرجل (كغلي الماء في الإناء) من شدة بكائه وخشوعه .

وكان سيدنا عثمان قد كتب بيده ثلاثة مصاحف وفتحت له الكعبة يوماً فصلى فيها ركعة ختم القرآن الكريم كله .

معشر الإخوة : في مثل هؤلاء نزل قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ كانوا يحبون القرآن كسيدنا محمد ﷺ ، ومن تلاميذه هؤلاء سيدنا أسيد بن الحضير ، ولع بالقرآن ولع المحب بحبيبه ، وأقبل عليه إقبال الظامئ على المورد العذب في اليوم القاطئ ، وجعله شغله الشاغل ، فكان لا يرى إلا مجاهداً غازياً في سبيل الله ، أو عاكفاً يتلو كتاب الله ، وكان رخيم الصوت ، مبين النطق ، مشرق الأداء ، تطيب له قراءة القرآن أكثر ما تطيب إذا سكن الليل ونامت العيون وصفت النفوس ، وكان الصحابة الكرام يتحننون أوقات قراءته ، ويتسابقون إلى سماع تلاوته ، فيا سعد من يتاح له أن يسمع القرآن منه رطباً طرياً كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ .

وقد استعذب أهل السماء تلاوته كما استعذبها أهل الأرض ، ففي جوف ليلة من الليالي كان سيدنا أسيد بن الحضير جالساً في مريد التمر وراء بيته ، وابنه يحيى نائم إلى جانبه وفرسه التي أعدها للجهاد في سبيل الله مرتبطة غير

بعيدة عنه ، وقف ليصلي على عادته ويقرأ القرآن يرتله بصوته الرخيم الحنون فإذا بالأنوار راحت تتألاً في سماء البيت ، ويزداد بهاء الليل بنور أحلى من نور القمر ، فإذا به يسمع فرسه وقد جالت جولة كادت تنقطع بسببها رباطها ، فسكت فسكنت الفرس وقّرت . فعاد يقرأ فجالت الفرس جولة أشد من تلك وأقوى فسكت ، فسكنت ، فخاف على ابنه يحيى أن تطأه الفرس ، فخفّ إليه ليوقفه فحانت منه التفاتة إلى السماء فرأى غمامة كالمظلة لم تر العين أروع ولا أبهى منها قط ، وقد علق بها أمثال المصابيح ، ملأت آفاق البيت ضياء وسناء ، ثم صعدت الغمامة إلى السماء وغابت عن ناظره، وما أصبح حتى مضى إلى رسول الله وقص عليه ما رأى . فقال له : اقرأ أبا عتيك تلك الملائكة كانت تسمع لك ، ولو أنك مضيت في قراءتك لرآها الناس (ق).

وهكذا . معشر الإخوة الكرام . :

قضيت مع حضراتكم في رحاب النبوة مع الصحب الكرام وهم يشمخون به عالياً فمن شمخ بالقرآن رفعه الله وجعله في مصاف الملائكة البررة .

فمن أردنا أن يعود لنا عزنا ومجدنا فليبق معنا هنا في رحاب القرآن، وما أدراك ما هنا هنا مدرسة سيدنا مُحَمَّد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يصلي على النبي .

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله .

الصيام والإعلام

. ٣٦ .

الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، والفضل والطول والمنن العظام ، الذي هدانا للإسلام وأسبغ علينا جزيلاً من نعمه وألطفه الجسام ، وكرم الآدميين وفضلهم على غيرهم من الأنعام ودعاهم برأفته ورحمته إلى دار السلام ، وأكرمهم بما شرع لهم من أحكام الصيام ، ويسّر ذلك لهم على ممر الدهور والأعوام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله مبلغ الشرائع والأحكام ، المبين للحلال والحرام، والمشيّد لأركان دينه من حج وزكاة وصلاة وصيام .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الملحّقين به في التبجيل والاحترام ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

إذا كان رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين ، ونادى مناد من قبل الجبار ﷻ : يا باغي الخير أبشر ويا باغي الشر أقصر .

رمضان وما أدراك ما رمضان ، الرأى رحمة والميم مغفرة ، والضاد ضمان لدخول الجنة ، والألف أمان من النار ، والنون نور من العزيز الغفار .

أيها السادة : أرحب بكم مع الحلقة السادسة والثلاثين من الحلقات الرمضانية من جامع الدرويشية ، وأقف وقفتي اليوم معكم حول الصيام والإعلام ، فأعبروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية وصلاة على الحبيب الأعظم ﷺ.

إخوة الإيمان : يمثل الصوم واحداً من أهم أركان الإسلام كما أنه أحد شعائر الله عز وجل المعظمة ، ويطل هذا الركن على المسلمين بنفحاته كل عام في شهر رمضان ، فما موقع الصيام ؟ وما مقدار هذه الشعيرة ؟

أيها المسلمون : الصوم إسلام ، الصوم تعبير عن الخضوع لله تعالى ، فأول ما ينبغي أن يعلمه المسلم من صيامه أن صيامه جزء من انتمائه لهذا الدين ، وأنه مسلم .. أنه مؤمن .. هل عرفتم الآن لماذا بدأ الله تعالى آيات الصيام بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ هذا عقد عقده القرآن ما بين الإيمان والصيام ، الصوم علامة الإيمان بالله عز وجل ، علامة على حسن عقيدته ، ويجب على المسلم أن يعلم أنه عندما يمتنع عن الصيام فإنما يمتنع عن ممارسة عقيدته ودينه .

ومن هنا تأتي مكانة الصيام في دين الله عز وجل إنه شعيرة من شعائر الله عز وجل يجب إظهارها وتوقيرها والدفاع عنها ، لكي يصبح علامة فارقة لهذه الأمة ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ فتعالوا بنا إلى كتاب ربنا ننظر الكم الهائل العظيم من ثمار هذه الشعيرة .

أول ثمرة للصيام : التقوى ﴿لعلكم تتقون﴾ .

وثانيتهما : نزول القرآن شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ..

وثالثتها :ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ .

ورابعتهما :شهر يستجاب فيه الدعاء ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وهو شهر يريد الله للناس به اليسر ولا يريد بهم العسر ، وهو شهر الجهاد، شهر بدر وفتح مكة وفتح الأندلس وعين جالوت ، وشهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر الكرم كان فيه رسول الله أجود من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان إنه إحساس المسلم بالآخرين ، أن يحس المسلم بذوي الحاجة ، أن يحس بجوع الجائعين أن تتحرك المعاني الإنسانية في كيان هذا المخلوق الذي ينصرف أحد عشر شهراً كما يحلو له من طعام وشراب في ظل المباح .

فكيف أصبح عندك رمضان أيها المسلم ؟

أخشى أن تقول لي : أقطع الطرف تسكعاً ، أو أفضي الوقت لهواً ولعباً ،
ألعب الورق حتى مطلع الفجر ، أنفق عمري وراء مسلسل إثر مسلسل ، أو
أنتقل من خيمة رمضان لبنانية فاسدة إلى خيمة رمضان أشد فساداً ، أسلي
صيامي .

لا تقل ذلك ! تسلي صيامك ، أمام من ؟ أمام المهازل والمخازي ، تفطر
على تمثيلية وتتسحر على فيلم ، أسألك بالله هل هذا يليق بـرمضان ؟

باختصار يا سادة : لقد نسينا رمضان ، نصوم عادة ونفطر تخمة ، نقوم
عادة وننام غفلة ، نترك الطعام المباح ونأكل لحوم الناس ، نصوم رفع عتب ،
لا تظنوا أن هذه الأشياء لا تؤثر على صداً القلوب؟ لأن الإمام الغزالي يقول
كل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع أثر منه إلى القلب "والدليل: ﴿كَلَّا
بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ اللهم لا تحجبنا عن بابك .

وأنا أسأل : هل هكذا كانت سيرة الصحب الكرام !؟

إن الذين يشرفون على الإعلام في الفضائيات لا يعرفون لرمضان حرمة ، لا
يعرفون للمسلمين كرامة ، إن الذين يضعون البرامج يريدون للمسلمين أن
ينشغلوا بالإعلام عن ذكر الواحد الديان . تضيء الشاشات الفضائية قناديلها
كلها في رمضان وتعلن حالة الطوارئ : لا تدعوا مسلماً يتلذذ بصيامه أو يذكر
الله تعالى ، كإبليس

﴿يُرِيدُ أَنْ يَصِدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة
٩١).

وزاد الطين بلة ماركة مستوردة (ماد - إن - لبنانون) الخيم الرمضانية ، غناء ورقص وفساد وعهر ، من أحيا رمضان في ظل خيمة أخشى أن لا يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

أيها القائمون على الإعلام : إذا أردتم أن تحتفلوا برمضان فأقفلوا بواباتكم في رمضان فإن في سكوتكم احتفال برمضان ، لسنا في حاجة إلى محرماتكم وفسادكم طوال رمضان . وهل يعلم المسلمون المتابعون لهذه المسلسلات الإفسادية أن ثواب صومهم قد طار وأصبح هباء منثوراً ؟ ذلك أن المفطرات قسман معنوية وحسية ، الحسية كالأكل والشرب والجماع ، والمعنوية هي المعاصي .

هؤلاء السذج أفسدوا صيامهم إفساداً معنوياً ، وإن لم يفسدوا صومهم بالمفطرات الحسية .

يا سادة : إن صح الصوم بمقياس الفقهاء فإنه لم يصح بمقاييس الأولياء والأخلاقين وانطبق عليهم قول الحبيب الأعظم ﷺ (الدارمي جه . طب) : (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر) ويقول أيضاً (ك . هق) " ليس الصيام من الأكل والشرب (أي فقط) إنما الصيام من اللغو والرفث) وقال " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه "

هذا الحكم صدر وأفهم علناً ، غير قابل للطعن ولا للنقض ، حكم مبرم غير قابل للنقض لا عن طريق القضاء ولا عن طريق الإعلام لأن القاضي به هو من لا ينطق عن الهوى (صلوا عليه) .

يا شباب : الإسلام بعبادة الصيام يبني شخصية المسلم ، فلا تدعوا أهل الجاهلية يقضون على شخصيتكم التي بناها رسول الله ، الإسلام بالصيام ضبط أجهزة البدن ، وجعل حرمانك طوعاً ، الصوم حرمان يأتيه المسلم طوعاً لأجل مولانا عز وجل ، فعليك أن تحرم نفسك طوال شهر رمضان من المفطرات الحسية والمعنوية ، لأنه حرمان يبني شخصية المسلم ويربي أخلاقه ، أنت في الصوم أقوى حالاً منك في حالة الفطر ، هذه الدورة السنوية قصدها الإسلام ليحميك من شرادم الشياطين ، شياطين الإنس والجن والدليل عندي (إذا بتصلي على النبي) النبي يقول : (الصيام جُنة (وقائية) وهو حصن من حصون المؤمن (طب) أنت في الصيام محصن ، أتدري صيامك هذا (إن صح طبعاً) (صيامك في سبيل الله يبعدك من جهنم مسيرة سبعين سنة) (حم - حب) كما قال رسول الله ﷺ .

هذه من أسلحتك ضد أعدائك ، أنت في الصيام محصن ، صيام في النهار وقيام بالليل ، هل نعرف ما هو اسمك في الملائكة الأعلى وعند العزيز الغفار ؟ اسمك في السماء البرّ الأبر ، أصبحت في عداد الأبرار ، فلماذا تذهب صيامك بالنظر إلى الملاحى والموبقات ولعب الشدة والطاولة؟! لا تتنازل عن هذه المرتبة التي بوأك الله إياها ، هذا الوسام (وسام الأبرار) علقه على صدرك رسول الله ، هل تبقيه على صدرك أم تلقيه بين يدي راقصة أو فاجرة ، اسمع وأنت

تصلي على النبي سيدنا النبي ﷺ يقول : (جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار)
بصلاة التراويح (يقومون الليل ويصومون النهار ليسوا بأثمة ولا فجار (عبد
بن حميد . الضياء) .

بكم تبيع هذا الوسام الذي علّقه على صدرك أشرف خلق الله ، بأغنية ،
بتمثيلية ، بفيلم عربي منحط ؟!! خلّ إيمانك صاحي ، أنت أصبحت مقرباً
من النبي ، قدمك على موقع قدمه ، وسيرك على هديه ، فلماذا تدع وسائل
الإعلام الخبيثة تلعب بك ، نظرك إلى قبلة فاجرة تجعل صومك في الحضيض ،
بعت صومك ، بعته بسعر رخيص، خسر البيع .

ياأخي : صومك هذا الذي أنت فيه غالي عند الله، والله غالي ، انظر :
الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى ما شاء الله إلا الصوم (كل عمل
ابن آدم له إلا الصوم) غالي كثيراً عند الله اسمعه يقول (حم . م) إلا الصوم
فإنه لي وأنا أجزي به) الله أكبر ، ثواب لا يعلمه أحد إلا الله ، هل ستبيع
ذلك كله من أجل سهرة ، أو فيلم ، هذا الجانب الأول . هناك جانب أخطر .
إذا عرفت أن هناك مخططاً استعمارياً حقيراً لصرف المسلمين عن عبادة الصيام
بالتمثيليات والأفلام ، المحرك لهذا المخطط يقول لك حرفياً أو معنى : أترك مُجَدّاً
.ويقول لك: اسمع كلامي ، لاتسمع لمحمد واسمع كلامي . كلام من ستسمع ؟

إذا قلت لكم إنني أعرف هذا المخرج الحقير وأن التاريخ سمعه بأذنيه يقول :
(سأنسي الناس الله) ، وحين سألوه : بِمَ ستفعل ذلك ؟ قال : سأنسي الناس
الله بالمسرح (بالأفلام والتمثيلات) أتعرفون من هذا الحقير الذي خلق من
ذرية الشياطين ، ذرية من شياطين الإنس تبنوا فكرته الخبيثة : إنه ماركس حقير

الإلحاد في العالم (لعنه الله) نحن عندما نجلس في خيمة رمضان خبيثة أو أمام فيلم سيء في الفضائيات نكون قد أصبحنا من أتباع هذا الخبيث شئنا أم أبينا .

إنني لا أعتب على الفضائيات أكثر من عتبي على المسلم نفسه ، لأن مفتاح المفسديون بيده ، هو يقوم بتشغيله ، لماذا ؟ لتزكي صيامك ، حاشاك أن تكون من الغافلين ونبيك وقائدك وقدوتك سيدنا محمد ﷺ .

فكروا جيداً يا شباب : أذئاب ماركس يخططون من شهور ليمنعوك من أن تقف في محراب التراويح وقيام الليل ويفسدوا ثواب صومك ، ونحن للأسف . لبساطتنا وحسن نيتنا وطيب قلوبنا ننخدع بهذا المخطط وننقاد لهم .

هذا فخ يعدون له ليقع فيه السذج من الناس ، فهل ننقاد لهذا الفخ ؟ هل نصوم صوماً إسلامياً ، أم صوماً ماركسياً أو أمريكياً .

هل سنكون مُجدين كما يريد سيدنا محمد ، أم ماركسيين كما يريد ماركس .

هل نحن مُجديون أم ماركسيون ؟ **مُجديون** إذاً وداوها بالتي كانت هي الداء ، أطفؤوا نار الفساد بإطفاء الشاشات في رمضان ليرضى عنكم سيدنا محمد ، لا نريد أن نحرم بركة هذا الشهر الفضيل .

والله يا سادة : حبيبنا رسول الله دعا على من حضر هذا الشهر ثم حرم بركته ، يوم صعد المنبر ثلاث درجات وهو في كل درجة يقول آمين ، فلما

سئل قال : جاءني جبريل فقال : رغم أنف امرئ أدرك رمضان وانسلخ عنه
ثم لم يغفر له ، قل : آمين . فقلت آمين (أو كما قال ت . ك) .

إخوتي في الله : رمضان موسم الله العظيم ، إن لله في أيام دهركم لنفحات
ألا فتعرضوا لها ، نفذوا برنامج رمضان وتعليمات سيدنا محمد ﷺ .

رمضان ستة أركان : صيام وقيام وقرآن وصدقة وخلق حسن وإحياء
ليلة القدر . ألا هل بلغت ! اللهم فاشهد .

استقبال رمضان

. ٣٧ .

الحمد لله الذي جعل الصيام جنة من العذاب وفضّله على سائر الأعمال فهو يجزي به بغير حساب ، وفضل شهر رمضان فأنزل فيه الكتاب ، وخص فيه أمة الحبيب الأعظم بمزيد التكريم والثواب ، منحهم فيه ما لا يحصى من فيض نوال وقبول أعمال ودعاء مستجاب ، ووعدهم فيه شمول الرضا وعتق الرقاب .

أحمده سبحانه وتعالى حمد من إليه أناب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كاملة بحسن المآب .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المخصوص بجوامع الكلم وفصل الخطاب . الذي منّ الله به على المؤمنين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب .

اللهم فصلّ وسلم أكمل الصلاة وأعظمها على أشرف مخلوقاتك وأكملها سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير آل وأصحاب ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

ها هو رمضان قد حلّ بيننا ضيفاً عزيزاً على قلب كلّ مسلم ، ها هي دروب الخير تمتد أمامنا بلا انتهاء ، ها هو رمضان يللم شمل الأمة بعد الضياع، ويجمعها في زمرة واحدة بعد التشرذم ، ها هي ينابيع الخير تتدفق من جديد بعد أن جفّت العيون والسواقي ، ها هي الجموع المسلمة تولد من جديد تحت المآذن والقباب ومع الحلقة السابعة والثلاثين من سلسلة الحلقات الرمضانية من جامع الدرويشية تعالوا نغتنم هذه الأيام .

فطوبى لمن اغتنم هذه الأيام ، كنا نقول :هل ندرك رمضان العام القادم ، وها هو رمضان بيننا وكأنه حلم لا نكاد نستقبله إلا ونودعه ، ولا ندري أينسلخ عنا رمضان بتوبة أم بغفلة ، بعودة أم بشرود ؟!

فيا أخا الإسلام : اخلع حجاب نفسك عنك ، اخلع هواك وارحل بثوب انكسارك وافتقارك إلى الله ، لقد كنت في غفلة عن هذا ، فأنسك اليوم بالله ، لقد كنت غائباً فأحضر قلبك وتعال إلينا ، إلى مجالس الإيمان كي لا يصدأ قلبك . إِنَّ عُمْراً ضَيِّعَتْ أوله حري بك أن يشتدّ حرصك على آخره ، كم عدد أيام عمرك مع الله من يوم عرفته ؟! فإياك أن تموت قبل أن تعيش ، ها هو الأمل الحي قد عاد إليك ، ها هو طبيب القلوب والأرواح ، ها هو السائق إلى الجنان ، ها هو واحة الأمان ، رمضان وما أدراك ما رمضان : الرء رحمة ، والميم مغفرة ، والضاد ضمان للجنة ، والألف أمان من النار ، والنون نور من الواحد الديان . فلماذا الإدبار ، لماذا نقطع الطرق تسكعاً ، لماذا نصوم

عادة ونفطر تخمة ، نقوم عادة وننام غفلة ، لماذا نمضي الوقت لهواً ولعباً ، لماذا ننفق عمرنا بين هذا المسلسل وذاك .

أتدري يا أخي المسلم وأنت في هذه الحال أن طفلاً يذبح في فلسطين وأماً تترمل أتدري وأنت تلهو وتعبث أمام راقصة تافهة فاجرة أن دماءً لإخوتنا في العراق تسيل على أرضها باسم الديمقراطية .

عُدْ إليه ، ارجع إليه فإنه يقبلك ، تب إليه فإنه يحبك ، قال موسى لمولانا رب العالمين : يارب إذا قال العبد لك وهو راكع يارب ، ماذا تقول ؟ قال : أقول له لبيك . وإذا قال يارب وهو ساجد ؟ قال أقول له : لبيك . وإذا قال : يارب وهو عاص قال : أقول له لبيك .. لبيك .. لبيك

أيها المسلم : هل نسيت نبيك الأعظم عندما كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه؟! هل نسيتَه وهو يبكي ولصدره صوت كصوت الماء المغلي من شدة البكاء .

لماذا رمضان بالذات يتحول ضمن الوسائل الإعلامية المرئية إلى برامج أشد فتكاً من غير رمضان ، لماذا المسلسلات مكثفة في رمضان وجديدة ، هل سألت نفسك مَنْ هو وراء هذا ؟ حولوا رمضان من شهر عبادة وتقوى وجهاد وعزة إلى شهر لهو وعبث ، أين ذلك الهدير الإيماني الجارف الذي كنا نسمعه في رمضان ، أين أولئك الذين مدحهم الله بقوله : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أهكذا كانت سيرة القائد الأعلى للأمة سيدنا مُحَمَّد ، سيرة أيقظت العالم من سبات الضياع

والتشتت واليأس والإحباط ، فأين تلك القلوب التي تنفتح لسيد الخلق وحبيب الحق ، يذهلني حديث أبي الدرداء عندما قال : (خرجت مع رسول الله في شهر رمضان في حر شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا رسول الله وعبد الله بن رواحة) (م ١١٢٢) .

بأبي أنت وأمي يا جدّاه ! تعلّم أمتك الصبر الشديد ، بأبي أنت وأمي يابن رواحة ألزمت نفسك الدرجة العليا من المتابعة والاقتداء ، فمن منكم يفتح قلبه في هذا الشهر لفقّه ابن رواحة فيغمس نفسه في سبيل الله على قدم نبينا المصطفى ﷺ ؟ ، من منكم يعاهد الله على ألا يخرج من رمضان إلا وقد أعاد بناء نفسه ، وطلّق غفلته وسار إلى الواحد الديان ؟ ! من منا يعاهد الله على ترك الذنوب ويلزم نفسه التقوى في هذا الشهر ؟ ، والله يضمن له أن يستمر في الخير معه بقية عامه .

من يتخرج من الدورة رمضانية وهو يعاهد الله ألا يكذب ولا يغتاب ولا يمشي بباطل ؟ هل يرجع الشاردون ؟ هل يتوب العاصون ؟ هل يهتدي الضالون ؟ هل يستيقظ النائمون ؟ من يعمل :

لدار غداً رضوان خازنها	والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها	والزعفران حشيش نابت فيها

الجنة التي تفتح أبوابها في رمضان وينادي مناديا يا باغي الخير أقبل ، تعال إلينا ، تعال لمنحك ، لنعطيك ما لآعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، أقبل إلينا بحسن الصيام وحسن القيام والإكثار من الطاعات .

وحسن صيامك ألا يكون فقط مجرد صيام البطن والفرج ، ولسانك مفطر ، وعينك مفطرتان ، وأذنك مفطرتان ، وجوارحك مفطرة ، بالكذب والغيبة والسخرية ، وأذنك مفطرة بسماع الأغاني الفارغة والألفاظ السخيفة وشخص فتاة بلا حجاب ولا جلباب ، لا ينبغي لك يا أخي المسلم أن يصوم بطنك وفرجك وكلارك مفطر ، تصوم عما أحله الله لك (من الطعام والشراب) وتفطر على ما حرم الله من المعاصي ، اسمع إلى نبيك وحيبيك يحذرك من هذا الاتجاه فيقول : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " (خ . د) " والصيام جنة (درع من المعاصي) " فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم " (ق) .

الأمر إذاً ليس كما يفعل بعض الناس غفر الله له ، يتناول بلسانه على الخلق ثم يقول : اعذرني فيإني صائم ، وكأن الله شرع الصيام ليفسد أخلاق الناس ، لا ، بل ينبغي للصائم أن ينضبط ، أن يهذب نفسه ، أن يصون لسانه كما يصون أذنه كما يصون عينه ، كما يصون جوارحه كلها ، وصدق رسول الله (جه ن) : " ربّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، أتعب نفسه وأجهد جسمه وأجاع بطنه ، ولكنه لم يقم للصيام بحقه " ولذلك ذهبت السيدة عائشة أم المؤمنين وذهب عدد من فقهاء السلف كالأوزاعي وذهب

الأولياء والعارفون بالله إلى أن الغيبة والنميمة والكذب وبقية المعاصي تفطر الصائم ، وأن من ارتكب شيئاً من ذلك فعليه أن يقضي يوماً بدل هذا اليوم ، وقال سائر الصحابة وجمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة ومذاهبهم أنها لا تفطر الصائم ولكنها تذهب ثوابه وأجره عند الله .

فيا أخي المسلم : هذه فرصتك ، الصيام يقربك من رحمة الله لأنك حرمت نفسك مما اعتادته لالشيء إلا لإرضاء الله تبارك وتعالى ، ما الذي غيرك ، كنت تأكل وتشرب في الصباح والظهيرة فغيرت نظام حياتك ، ثرت على مألوفاتك ما الذي جعلك تفعل هذا ؟ إنها العبودية لله تعالى ، ولأنك أصبحت بمستوى العبودية ، ولأنك وصلت إلى درجة التذلل والإنكسار كافأك الله تعالى فقال : كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف قال الله تعالى : إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به يدع الطعام من أجلي ، ويدع الشراب من أجلي ، ويدع لذاته من أجلي ، ويدع زوجته من أجلي (ق . خز) .

من أجل من صمتتم؟ من أجل من حفظتم فروجكم ؟ من أجل من تركتم المعاصي، من أجل من صليتم؟ من أجل الله تعالى وحدوا الله ، لأنك فعلت ذلك جعل الله دعاءك مستجاب وأنت صائم (الصوم الحقيقي) فقال: من تحبون أن تصلوا عليه : ثلاثة

لا ترد لهم دعوة : " دعوة الصائم ، ودعوة الوالد على ولده ودعوة
المظلوم " فلتوجه جميعاً بالدعاء إلى الله تعالى : اللهم اقبل صومنا ، اقبل
قيامنا ..

الصدقة في رمضان

. ٣٨ .

الحمد لله الذي قدّر الأعوام والشهور والأيام ولياليها ، وجعل واسطة عقد الأيام أياماً اختارها باريها ، وفضل شهر رمضان وجعله معظماً فيها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل في هذا الشهر السور ومثانيها ، وفتح به باب العزة ، وأنزل منه آيات جلّت عن كلام يحاكيها ، فقال تعالى في محكم الآيات ومبانيها (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) تفضيلاً لهذه الأمة إذ لا أمة تباهيها ، هل كان لغيرها من الأمم فخر (الصوم لي وأنا أجزي به) والجزاء تمتع الأبصار بنور باريها .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نادى بالإعلان (للصائم فرحتان) فأسمع ذلك قاصيها ودانيها ، وبشّر بليلة القدر التي تنزل الملائكة والروح فيها ، فهل أعطي غيرها فضل هذه الأيام من شهر رمضان ولياليها .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه سادات الأمة في سائر نواحيها ، وسلم تسليماً .

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام :

لو لم يكن شهر الصوم إلا أنه أحد أركان الإسلام التي لا يتم إسلام العبد إلا بها ، ولو لم يكن ثواب الصيام قد اختصّه الله سبحانه وتعالى لنفسه من بين عمل ابن آدم ، الحسنة بعشر أمثالها (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) .

ولو لم يكن في شهر الصيام إلا ليلة القدر التي هي أفضل من عبادة ألف شهر، ولو لم يكن رمضان إلا الشهر الذي اختصه الله تعالى بنزول القرآن، وأن هذا الشهر شهر المغفرة ومحو الذنوب والآثام، لو لم يكن في الشهر إلا هذه الخصال لكفاه شرفاً ومنزلة، و لكفانا حرصاً وإصراراً على استغلال أيامه وساعاته .

إنني أدعوكم اليوم لصوم رمضان هذه السنة مرتين أن يكون صوم رمضان لنا مضاعفاً، أن ننال ثواب صوم كل يوم بيومين، فهل تحب يا أخي أن تصوم رمضان مرتين؟ تعال معي لنركب علمنا رسول الله ﷺ أن نفعل ذلك في رمضان وغير رمضان .

ومع الحلقة الثامنة والثلاثين من سلسلة الحلقات الرمضانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لنبتهل بالدعاء : اللهم أقبل صيامنا كما قبلت صيام نبينا ﷺ

إخوة الإيمان : دلنا سيدنا رسول الله في أحاديثه كيف يكون صومنا مضاعفاً، فكان مما قاله لنا : (من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء) (ت ٧٠٨ - ج ١٧٤٦ - حم ١١٤/٤) .

أرأيتم كيف يدعونا هذا النبي الكريم لمضاعفة أجرنا على الصيام؟ هل تصدقون يا أخوة أن خمسين ليلة سورية تفتّر صائماً في اليوم الواحد تجعل من صومنا في اليوم مضاعفاً، فإذا أرادت أن تحصل على أجر صيام هذا اليوم الجمعة اليوم الفضيل مرتين فعليك أن تدفع هذا المبلغ أثناء خروجك من

المسجد لأن لجان اليوم تفطر طلاب العلم الشرعي الغرباء على مائدة رمضان ،هل تفكرت في هذا الشهر الفضيل أن ترسل لجيرانك أو أقاربك في الحي صحن طعام تشاركهم فيه صلة رحم وبر وحسن جوار .

معشر السادة الكرام : إن من أعظم الصور التي يحملها رمضان للأمة ، صورة من الألم والعطش والجوع يجد حرارتها ومسّ ألمها الصائم ، حين يرى الماء والطعام أقرب ما يكون إلى يديه ، ومع ذلك يراها أبعد شيء إليه تحقيقاً لعبوديته لله تعالى ، إن هذه الصورة تنقل كل مسلم إلى صور الفقراء والمعوزين والأرامل والأيتام في أي بلد وفي أي قطر من أقطار البلاد الإسلامية ، نراهم يعيشون ألواناً من الجوع والعطش نتيجة الفقر الذي أصابهم ، ولعل هذه إحدى حكم الصيام التي لأجلها شرع الصوم ، ورحم الله من قال : (الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، الصوم ظاهر العذاب وباطنه الرحمة ، يحث على الصدقة ويستشير الشفقة ، حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع عرف الحرمان كيف يقع وألم الجوع إذا لسع) .

ياأحباب : نحن بأمسّ الحاجة إلى إرواء عطش الفقراء ، وسد رمق جوعهم ، تعميقاً لأثر الإخوة بمزيد من الإحسان . ولهذا ورد في الحديث الشريف(أبو الشيخ :حسن) :

" أحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مؤمن ، تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً " .

يا أخوة أصدقكم القول : الصدقة لها أثر عجيب على المتصدق ، تقيه من البلايا والكروب التي تحل به وتكون بعد أمر الله تعالى سبباً في دفع هذه المصائب ، ألم يقل سيد الكائنات ﷺ : (طب - حسن) : (صنائع المعروف تقي مصارع السوء) . ألم يقل (د . صحيح) (داووا مرضاكم بالصدقة) .

سأل رجل سيدنا ابن المبارك عن قرحة في ركبته سنين وقد أعيت الأطباء فأمره بحفر بئر في محل يحتاج الناس فيه إلى ماء . وذكر سيدنا ابن حجر في كتابه الزواجر : أن وجه الإمام أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرک في الحديث تقرّح وجهه قريباً من سنة ، فسأل أهل الخير الدعاء له ، ثم تصدّق على المسلمين بوضع سبيل ماء بني على باب داره فشرب منه الناس فما مرّ عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء وزالت تلك القروح ، وعاد وجهه أحسن ما كان عليه ببركة الصدقة ، وهذا أمر مجرب فالأدوية الروحانية تفعل ما لاتفعله الأدوية الحسية .

وإذا كان الله تعالى قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمأ فكيف بمن سقى العطاش وكسا العراة من المسلمين .

أيها الصائمون : رمضان فرحته عظيمة لبذل المال وإنفاقه في وجوه الخير ، أنت تعطى في رمضان على إنفاقك ثواب الفرض ، وإن أنفقت فيه زكاة الفرض تعطى فيه ثواب سبعين فريضة ، ففي الحديث : (من تقرّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه ، ومن أدّى فريضة فيه كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه)

وكم يتيم يترقرق الدمع في عينه لا يجد من يواسيه ، وأرملة أقعدها الزمن ،
وأطفال يعيشون ذل الفقر وذلل المسألة .

أمامكم فرصة ربانية تدلّون بها علي إيمانكم وصدق إخوتكم للفقراء
والمحتاجين وطلاب العلم الغرباء ، فرصة يقول عنها الهادي ﷺ يخاطب بها
سيدنا سعداً بن أبي وقاص (ق) : (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا
ازددت بها درجة ورفعة) ، وهذا هو زمن السخاء والجود هذا زمن القبول
والرضى فلا تضيع هذه الفرصة لتكون سخيّاً كما قال الحبيب الأعظم : (ت) :
(السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار)
جود الرجل يحبه إلى أضداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده) .

وأنت للمال إذا أمسكته ، فإذا أنفقتَه فالمال لك ، تحدثنا السيدة عائشة
الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ؟ أن رسول الله ذبح شاة ، فوزع منها
ما شاء الله ثم سأل : كم بقي منها ؟ قالت : ما بقي منها إلا كتفها . فقال
الحبيب : (بقي كلّها غير كتفها) (ت صحيح) بقيت لنا في الآخرة كلها)
الذي وزعناه ادخره الله لنا في الآخرة إلا كتفها لأننا أبقيناه) .

ابن آدم : إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شرّ لك ، ولا تلام
على كفاف (م) لا تلام على ما أبقيت لأهلك ولنفسك وماتكف به حاجتك
.

لقد صور لنا السيد الأعظم صورة بديعة عما يفعله الله تعالى بالصدقة ولو كانت قليلة، صورة تملأ القلب إيماناً و يقيناً بأن الله لا يضيع لك مثقال ذرة ،
فإلى رسول الله، إلى حبيب الله

فقد اشتاقت النفوس	والقلوب إلى طيب القلوب
على طيبة بلا نروح	ونداوي القلب المجروح
ونشاهد تلك الحضرة	فيها حبيب الروح

ها هنا نحن هناك ،ها هنا عند النبي ، سلموا على رسول الله ﷺ .

وأدخل من باب السلام مسلماً على المصطفى الهادي وأفرح بالبشرى
وأقول يا سيد السادات جئتكم خاضعاً فكن لنا شافعاً يا أجلّ الورى قدرا

سيدي اشفع لنا عند الله ، اذكرنا عند الله ،ها هو يقول ﷺ (ق) (من
تصدّق بعدل ثمرة (بقيمتها) من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيباً فإن
الله يقبلها بيمينه ثم يُرِيها لصاحبها كما يري أحدكم فُلُوهُ (مهره) حتى
تكون مثل الجبل)خمسین ليرة تصبح مثل الجبل مئة ليرة كالجبل ، وليس هذا
فقط إن الملائكة تستغفر للصائم الذي يفطر عنده الصائمون فقد دخل ﷺ
(ت حسن صحيح) على السيدة أم عمارة الأنصارية فقدّمت إليه طعاماً
فقال: كلي فقالت إني صائمة فقال ﷺ : (إن الصائم تصلي عليه الملائكة
إذا أُكِلَ عند حتى يفرغوا) (يشبعوا) .

فيا ترى هل نقص مال المسلم بإفطار الصائمين عنده أم زاد ؟ (زاد)
وصدق من قال: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً
وما تواضع أحد لله إلا رفعة) (م) إلا رفعه ، إلا رفعه صدّقوا رسول الله .

أن نستيقن أن الله تعالى يختص الكريم بمزيد من العطاء دون البخيل وتارك
الصدقة فتعالوا أتلّ على مسامعكم هذا البيان النبوي ، الذي صوّر لنا فيه
حبينا النبي صورة إيمانية عرضها لنا فيه بشكل بليغ ، صورها لنا الفم الفصيح
ذو الوجه المليح سيدنا مُحَمَّد ﷺ يقول لنا :

(بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة :- اسق حديقة
فلان (بستان فلان) فتنحّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرّة ، فإذا شرجة
من تلك الشراج (ساقية أو مكان يجري فيه الماء) قد استوعب ذلك الماء
،فتتبّع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال : يا عبد الله ما
اسمك قال: فلان (للاسّم نفسه الذي سمعه في السحابة) فقال له : إني سمعت
صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك ، فما
تصنع بها فقال : أما إذ قلت هذا فإني انظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه ،
وأكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثه) (م).

فهل رأيت أخي المسلم كيف عوض الله عليه، بل اختصه بكرمه دون سائر
الناس ، فمن منكم اليوم سينفق ثلث ما في جيبه لله تعالى ، أنفق أخي المسلم
ولا تتردد أنفق ينفق الله عليك ، اتق الله في نفسك ومالك وإخوانك ، فإنك
خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ، ولا والله ما
معك من أهلك وعشيرتك ممن هم حولك اليوم أحد ، قد أعطاك الله الدنيا

فاشتر نفسك ببعضها ، واذكر ليلة تبيت فيها في القبر وحدك ، ليلة صباحها يوم القيامة ، يقول سيدنا سلمان الفارسي : إذا مات السخي قالت الأرض والملائكة الحفظة : يا رب تجاوز عن عبدك لسخائه في الدنيا ، وإذا مات البخيل قالت الأرض : اللهم احجب هذا العبد كما حجب عبادك عما في يده من الدنيا "

فاشتر لنفسك أي الرجلين تريد ؟ من عامل الله لم يخسر تجارتَه ، سئل رسول الله : أي الإسلام خير ؟ فقال: (تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) (ق)

فمن فطر اليوم صائماً أدعو له بدعاء رسول الله ﷺ (د ٣٨٥٤) : (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة) .

يا أحباب رسول الله : أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة الأخيار وذكركم الله فيمن عنده .

بركات رمضان

. ٣٩ .

الحمد لله المتوحدّ بجلال البهاء ، المنفرد بدوام البقاء ، المتعالى عن الزوال
والفناء ، المقدس عن الأبناء والآباء ، المتردّي برداء العظمة والكبرياء ، العليم
بجميع الأشياء الذي جلّ عن الابتداء والانتهاء .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قدّر الأزمان ، وفصل الفصول
وخص شهر رمضان بالعفو والغفران والبشر والرضوان ، والسرور والقبول ،
ووعده من صامه ببلوغ المقصود والمأمول

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله كان يبشر أصحابه ويقول : قد
جاءكم شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه وسننت لكم قيامه ، إذا جاء شهر
رمضان تفتّح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران وتُغلّ فيه الشياطين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

قبل أن أُلج مع حضراتكم عتبة الدرس الأول أريد أن أرحب باسمكم بضيف عزيز على قلوبنا جاء خصيصاً من أجلكم ضيف لا أقول قادماً من الغرب الكافر أو الشرق الملحد ولكنه قادم من قبل الجبار ﷻ .

إنه رمضان ، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار .

شهر من فطر صائماً فيه من كيس حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها ، وصافحه سيدنا جبريل عليه السلام في ليلة القدر .

شهر جعله الله تعالى هدية لأمة سيدنا مُحَمَّد تعظيماً لها ولقدر نبيها ، وأولى مظاهر هذا التعظيم تتبدى بصيغة الخطاب التي افتتح الله تعالى بها آيات الصيام ، اسمعوا لتروا مبلغ قدركم عند الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إنا مع الحلقة التاسعة والثلاثين من سلسلة الحلقات الرمضانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة توجهوا إلى الله بالدعاء أن يقبل صيامنا (اللهم اقبل صيامنا كما قبلت صيام نبينا)

إن مولانا نادى الأنبياء في كتابه فقال : ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾

﴿يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾

﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾

﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس ﴾

يا داود ، يا عيسى فلما أراد أن يخاطبك ناداك يا أيها الذين آمنوا ناداك
كما نادى حبيبك سيدنا مُحَمَّدًا من قبل (يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، يا أيها
المزمل ، يا أيها المدثر) يا أيها الذين آمنوا تفخيم وتعظيم وتبجيل ، مِنْ وزير؟
، من أمير؟ ، من حاكم ، لا... بل من الله رب العالمين .

لماذا لا يعظمك وأنت خليفته في الأرض ، ولماذا لا يعظمك وقد خلقك
بيده ، وعلمك الأسماء كلها وأسجد لأبيك الملائكة ، وسخر لكم ما في
الأرض جميعاً ، ثم أعطاك فضلاً لم يعطه لليهود والنصارى أتدري ما هو ؟ هو
أن جعلك من أمة سيدنا مُحَمَّد ﷺ

ومما زادني تيهاً وفخراً وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

فأنا بجاهك يا رسول الله ، نحن بجاهك يا سيدي أحمد ، أن يغفر الله لنا
ذنوبنا .

فيا أخا الإسلام ! هل عرفت ما هي مكانتك عند الله ؟ وهذه المكانة غير
المكانة الرمضانية لأنه عندما يدخل رمضان تنزل عليك العطايا والكرامات غير
التي تكون لك في غير رمضان ، فقد ورد من مدرستي الإمام أحمد والبيهقي
والبزار عنه ﷺ (أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي :

أما واحدة : فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً .

أما الثانية : فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك .

أما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم كل ليلة .

أما الرابعة : فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي .

أما الخامسة : فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً .

فقولوا : الحمد لله ، هذه النعم كلها لأنك من أمة سيدنا محمد ﷺ ولأجل ذلك يتوجب علينا في بداية هذا الشهر أن أزور مع حضرتكم هذا النبي فاستعدوا لنتقل بقلوبنا إلى هناك ، تعالوا بنا نبارك لرسول الله بهذا الشهر الفضيل ، ندخل عليه مسلمين

وأدخل من باب السلام مسلماً	على المصطفى الهادي وأفرح
وأقول يا رسول الله جئتك	بالبشرى
خاضعاً	فكن لنا شفيعاً يا أجلّ الورى قدرا

فقولوا جميعاً : السلام عليك يا رسول الله ، بشرنا يا رسول الله ما لنا عند الله إذا نحن صمنا رمضان ؟ اسمعوا الإجابة عن السؤال : (من صام رمضان

إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (ق) وماذا يعني إيماناً واحتساباً ؟
إيماناً : بفرضيته هذا الصوم واحتساباً: أننا نحتسب ثوابه عند الله تعالى . ذلك
أن الناس في الصوم على ثلاث مراتب : ١ . ناس يصومون حتى يرزقهم الله
تعالى في الدنيا

٢ . ناس يصومون خوفاً من النار ورغبة في الجنة .

٣ . وناس يصومون طاعة لله تعالى وحباً فيه .

سيدنا النبي يريد منك أن تكون من أهل المرتبة الثالثة ، زدنا من حديثك يا
رسول الله بشّرنا صلى الله عليك ، يقول لنا : (إن للصائم عند فطره دعوة
لا ترد)

(للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح
بصومه) (ق)

يا رسول الله هل صيام النفل مثل صيام الفرض ؟ هذا سؤال هام ينبغي
علينا أن نعرف إجابته لتزوا . أيها الإخوة . ما الثواب العظيم الذي أعدّه الله
للمؤمنين . اسمعوا الجواب الشافي من صاحب الجبين الأنور والروض الأزهر ،
يقول : (من صام يوماً في سبيل الله تعالى باعد الله وجهه عن النار سبعين
خريفاً) .

يوم واحد تصومه يبعد الله وجهك عن النار سبعين سنة ، فما بالك ببقية
الشهر إذا صمنا الشهر كله ، ولم يقدر مولانا أو يحدد ثواب شهر رمضان لأن

الثواب لا يعد ولا يحصى ، وبهذا ورد التصريح في الحديث القدسي : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) الله أكبر ، العطية كبيرة وجزيلة ، العطية تكون على مقدار الكرم وعطية الله عطية من لا تنفذ خزائنه .

فكم تتصور أن يعطيك الله على ثواب صومك مئة ألف حسنة ، ملء هذا المسجد حسنات ؟ اسمعواكم هي المكافآت الربانية والمنح الإلهية عظيمة يقررها علينا السيد الأعظم ﷺ يقول : (لو أن رجلاً صام يوماً تطوعاً ثم أعطي ملء الأرض ذهباً لم يستوفِ ثوابه دون يوم الحساب)

هذا صوم نافلة أعظم من ملء الأرض ذهباً فكيف بصوم الفرض .

إخوة الإيمان : يعطي الله تعالى هذا الثواب لمن يكون صومه صحيحاً ، فلا يكفي أن يمسك عن الطعام والشراب والوطء في نهار الصوم بل عليه أن يحفظ لسانه وعينه عما لا ينبغي ، إن المغتاب والنمام والسبّاب والكذاب هؤلاء عليهم أن يمسكوا عن القضايا المخالفة للشرعة ، على بيوتنا ومحلاتنا وشوارعنا أن يظهر فيها أثر الصوم حتى ننال أجره وثوابه ، إن نبينا ﷺ حذرنا أشد التحذير من ذلك فقال : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) وحدثنا عن امرأتين قاءتا دماً ولحماً وهما صائمات فقال : (هاتان صامتا عما أحل الله ، وأفطرتا عما حرم الله جلست إحداهما إلى الأخرى تغتابان الناس فهذا ما أكلت من لحومهما) .

فطوبى لمن أَرْضَى الإلهَ مسارعاً إلى هديه للرحلة الأخرى
وقام وصلى في الدجى ودعمه على خدّه يجري بمقلته العَبْرُ
وأخلص لله العظيم قيامه وعاهده سراً وراقبه جهراً
وأحيا ليالي شهره بقيامه إلى ربه في الليل وامتلأ الأَمْرُ
فذاك بحمد الله في طيب عيشه يفوز بها صوماً ويحظى بها فطراً

يقول أحد الصالحين :

احتجت في شهر رمضان إلى جارية تضع لنا الطعام فوجدت في السوق جارية ينادي عليها بثمان يسير وهي مصفرة اللون نحيفة الجسم يابسة الجلد ، فاشتريتها رحمة لها وأتيت بها إلى المنزل فقلت لها : خذي أوعية وامضي معي إلى السوق لنشتري حوائج رمضان . فقالت : يا سيدي أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلمت أنها من الصالحات ، فكانت عندنا تقوم الليل كله في شهر رمضان ، فلما كانت آخر ليلة قلت لها امضي بنا إلى السوق لنشتري حوائج العيد ، فقالت يا مولاي ! أي حوائج العيد ؟ حوائج العوام أم حوائج الخواص ؟ فقلت لها : صف لي حوائج العوام وحوائج الخواص ؟ فقالت : يا سيدي حوائج العوام الطعام المعهود في العيد ، وحوائج الخواص في العيد الاعتزال عن الخلق والتفريد والتفرغ للخدمة والتجريد والتقرب بالطاعات للملك المجيد ، والتزام ذل العبيد ، فقلت لها : إنما أريد حوائج الطعام فقالت: يا سيدي أي طعام تعني طعام الأجساد أم طعام القلوب ؟ فقلت صفيهما لي فقالت : أما طعام الأجساد فهو القود المعتاد ، وأما طعام

القلوب: فترك الذنوب وإصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المقصود والمطلوب ، وحوائجه الخشوع والتقوى، وترك الكبر والدعوى والرجوع إلى المولى والتوكل عليه في السر والنجوى ، ثم إنها قامت تصلي فقرأت قي الركعة الأولى سورة البقرة ثم آل عمران فلم تنزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت إلى سورة إبراهيم إلى قوله تعالى ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ولم تنزل تلك تردد هذه الآية وهي تبكي إلى أن أغمي عليها ووقعت إلى الأرض فحركتها فإذا هي ميتة رحمة الله عليها .

معشر الإخوة الكرام :

هذا الكلام أوجهه لكم وللنساء من خلفكم ليتقين الله في خروجهنّ سافرات ، فما هكذا يكون ردّ الجميل ، ما هكذا يعامل الربّ الجليل ، ما هكذا يكون استقبال هذا الشهر الفضيل .. آه على من كانت النار مثواه ، آه على من عصى مولاه ، آه على من استهواه غيه فاستعبده هواه ، آه على من باع آخرته بدنياه ، آه على من كان التعذيب عقابه ، آه على المطرود في هذا الشهر ثم أواه ، فيا ربّ بجاه النبي مُحَمَّد ...

وبآله الأنجاد والأعجاد

يا ربنا فبحقه وبجاهه

يا خير مدعو وخير جواد

اغفر لنا كلّ الذنوب تفضلاً

أركان رمضان

. ٤٠ .

الحمد لله الذي فرض صيام رمضان على أمة خير البرية كما فرض الصيام على جميع الأمم الماضية في الشرائع السماوية ، وأنزل القرآن هدى للناس ورحمة للأمة الإسلامية .

أحمد سبحانه على نعمه التي عمت الآباء والأبناء والإخوان ، وأشكره ، والشكر أولى ما استعمل فيه الإنسانُ اللسان فما خاب من استهداه واستعان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان . شهادة من شهد بها فهي له نجاة وأمان ، وكلمة لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً على الإنسان .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة إلى الأحمر والأسود من إنس وجان ، الذي أعطي فواتح الكلم وجوامعه واختار الله له خير الكلام القرآن ، أول الناس خروجاً إذا بعثوا وخطيبهم إذا وفدوا إلى الملك الديان .

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا أيها الشهر الكريم

أطللت بالإحسان يا رمضان يا من صيامك كلّ إحسان
خيرَ الشهور غدوتَ يا شهر لما اصطفاك بحبه الرحمن
الهدى

طهرت من درن الحياة نفوسنا يا ليت بعدك لا تُرى أدران
يا ليت شهر الصوم يبقى عمرنا ويدوم منا الشكر والعرفان
ويعود للأقصى الحبيب صفاءه وتَنال نصراً تلکم الفتیان
من أيقظوا الدنيا على نقر الحصى فكأنّ كلّ حصيةٍ بركان
ويعود للأقصى الحبيب شبابه ولكم يخبيء موعداً رمضان
ما الله واعدَ ناصريه بنصره والنصر ما يأتي به الرحمن

(ألا إن نصر الله قريب)

هاهو الضيف العزيز يطرق باب كل منا ، ها هو ضيف كريم يدخل
بذنوبنا ويخرج بها إن نحن استقبلنا كما يجب ، إن نحن أخلصنا في بيتنا إن أقبلنا
على الله بعد رمضان كما أقبلنا عليه في رمضان ، من أراد أن يقبل الله منه

صومه فليصح نيته على عدم الارتداد عن الطاعة بعد رمضان ، إن الله تعالى لا يقبل من عبده أن يقبل في رمضان ثم ينكص على عقبيه ويعود كما تفعل حليلة إلى عاداته القديمة ، كثيرون هؤلاء من العبيد في رمضان يعودون بعده إلى ما كانوا عليه فهؤلاء لم تصدق توبتهم ولم تصدق نيتهم ولم يستقبلوا هذا الشهر كما يجب ، من اقترب إليه ملك الملوك عافى الذنوب ، بئس القوم قوماً لا يعبدون الله إلا في رمضان كن ربانياً ولا تك رمضانياً ، واعلم أن رمضان ستة أركان : صيام وقيام وقرآن ، وبدر وفتح وقدر .

كان هذا موجز الأنباء الرمضانية وإليكم تفصيلها مع الحلقة الأربعين من الحلقات الرمضانية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لتتوجهوا إلى الملك داعين

(اللهم اقبل صيامنا كما قبلت صيام نبينا)

إخوة الإيمان :

رمضان صيام لأن رب رمضان أنزل على نبي القرآن : "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام" أي فرض .

لا يعذر في عدم الصيام إلا ثمانية : حائض ونفساء وهرم ومريض وحامل ومرضع ومسافر و ذوي الأعمال الشاقة .

فما جزاء من أفطر يوماً من رمضان ؟؟

إليكم مايقول أستاذنا ومرشدنا وسيدنا وحبينا سيدنا مُحَمَّد رسول الله ﷺ:

" عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة : عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم ."

ما هن يا سيدي يا رسول الله ؟

١ . شهادة أن لا إله إلا الله (أي وأن مُحَمَّدًا رسول الله)

٢ . الصلاة المكتوبة .

٣ . وصوم رمضان (أبو يعلى بإسناد حسن)

حديث صحيح ونص صريح نطق به فم فصيح ذو وجه مليح وهو حبيبك سيدنا مُحَمَّد ، ورأى رسول الله في منامه جبلاً تصدر منه أصوات شديدة فسأل عنها ف قيل

له : هذا عواء أهل النار ، فإذا يقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً ، فسأل : من هؤلاء ؟ فقيل له : الذين يفطرون قبل تحلة صومهم (خزيمة - حب صحيح) هؤلاء الذين يفطرون في رمضان قبل أن يأذن لهم الشرع المطهر بالفطر .

هذا كلام سيدنا النبي ﷺ فماذا يقول الأئمة الأعلام ؟ يقولون : أجمع المسلمون على أن المفطر يوماً عامداً من رمضان كان شراً عند الله من الزاني ومدمن الخمر ، يقول ابن حزم: ذنبان لم أجد أعظم منهما بعد الشرك بالله . ما

هما ؟ الأول :رجل أخر الصلاة عن وقتها حتى خرج وقتها . الثاني : رجل أفطر يوماً عامداً من رمضان.

وأنا أسأل ماهي المفطرات ؟ حتى لا نكون ممن أصابه هذا الوعيد الشديد ؟

أدعوكم أولاً لتصلوا على سيد السادات

إخوة الإيمان :

المفطرات قسمان : مفطرات حسية ومفطرات معنوية :

المفطرات الحسية :أكل وشرب وقيء وجماع وحقنة .

المفطرات المعنوية : المعاصي كالكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى النساء وشهادة الزور ، اسمع معي إلى حبيبك وأنت تصلي عليه يقول " ليس الصيام من الأكل والشرب ، الصيام من اللغو والرفث ، فإن سبك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم (هق . حا) ويقول: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " خ

وقيل له مرة : إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذي جيرانها ، فقال رسول الله ﷺ . لا خير فيها هي في النار "

فيا أخي المسلم : اترك الغيبة والنميمة وأمسك لسانك وتفرغ للقرآن والتسبيح والقيام ، لأن رمضان ستة أركان :صيام وقيام وقرآن وبدر وفتح

وقدر ،رمضان شهر العبادة ، شهر المساجد شهر التراويح ، شهر عليك أن لا تنقطع فيه عن الذكر لله تعالى أقبل على الله ولن تندم ، اسمعه يقول لك : "من تقرب إلي شبراً تقربت إليه باعاً ومن تقرب إلي باعاً تقربت إليه ذراعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة "من تقرب إليه بطاعة قليلة جازاه عليها الكثير الكثير .

اذكره ليس فقط بلسانك ذكر العينين البكاء ، وذكر اللسان الثناء ، وذكر الأذنين الإصغاء ، وذكر اليدين العطاء ، وذكر البدن الوفاء ، وذكر القلب التسليم والرضاء ، وذكر الروح الخوف والرجاء .

هذا القيام وهذا الذكر وهذا الدعاء يصعد إلى السماء ويدوي حول العرش ، له دوي كدوي النحل ويقولون نحن ذكر فلان بن فلان، " أفلا يحب أحدكم أن يكون له من يذكر به عند ربه عز وجل " (ت . أحمد . عن النعمان بن بشر) .

أما أن تختار لك مسجداً يأخذ التراويح بعشر دقائق وتقول :صليت قيام رمضان ثم تجلس أمام المفسديون ساعتين وثلاث ، ياأخي اتق الله ، وعيب عليك أن تجلس أمام فيلم أو تمثيلية ساعات ، ولا تقف بين يدي الله ربع ساعة ، لاحول ولا قوة إلا بالله هجرت المساجد وقلّ فيها الراكع والمساجد فوحد الواحد ، تعالوا بنا نر قيام سيدنا رسول الله ﷺ (مرّ عليه سيدنا حذيفة في المسجد وهو يصلي من الليل وهو يقرأ من سورة البقرة يقول سيدنا حذيفة فقلت يركع بعد مئة فأتمّها كلها ثم افتتح آل عمران فقلت يركع إذا

أَتَمَّهَا ، ثم قرأ النساء فقلت يركع إذا أتمَّهَا ، فلما أتمَّهَا ركع . بركة واحدة قرأ
خمسة أجزاء ٤/٢ .

وتقول عنه أم المؤمنين السيدة عائشة "كان رسول الله إذا دخل رمضان
تغير لونه وكثرت صلاته وابتهل في الدعاء وأشفق لونه "أي صار كالشفق في
الصفرة من شدة الانصراف إلى العبادة وتقليل الطعام . إن من الناس من لا
يصلي إلا الجمعة ، وإن منهم مَنْ لا يصلي إلا في رمضان ، ومنهم من لا
يدخل المسجد إلا يوم يصلى عليه، بينما كان حبيبك رسول الله يصلي في
الليل حتى تتفطر قدماه ، فتقول له أم المؤمنين يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول لها : أفلا أكون عبداً شكوراً سيدي أبا
القاسم يا رسول الله

إن كان للأخلاق ركن قائم في هذه الدنيا فأنت الباني

المجد والشرف الرفيع صحيفة جعلت لها الأخلاق كالعنوان

فمن مثل سيدنا مُحَمَّد ﷺ ، علماً أن رمضان ستة أركان : صيام وقيام وقرآن
وبدر وفتح وقدر .

رمضان قرآن لأن فيه أنزل القرآن على نبي القرآن ﴿شهر رمضان الذي
أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ .

هذا القرآن اليوم يناشدكم ويناديكم ويستنجد بكم ويطلب منكم العناية
والمعونة، يا أمة القرآن ،القرآن اليوم في محنة ، كتاب ربكم في خطر ، أمريكا

اليوم تريد أن تغير القرآن حتى يخفت هذا الصوت المذكر بالله ، أمريكا اليوم أثرت على مصر والأردن وليبيا والمغرب وقطر واليمن حيث منعت قراءة وتدريس الآيات الخاصة بالجهاد والآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل ، بدأ طوفان الباطل يحتاج الوطن العربي، وأنتم اليوم المعنيون بانقاذ القرآن ، وخاصة أن قوى الشر ألقت قرآنًا جديدًا نشر على الإنترنت ، ولولا قدسية هذا المنبر لتلوت عليكم بعض هذا الباطل ، عليكم واجب ديني أن تقرؤوا القرآن وتدرسوه وتعلموا منه قبل أن تستيقظوا يوماً وليس في صدورنا شيء من القرآن، لا يكفي تلاوة القرآن فقط بل لابد من العمل ، وأنتم مسؤولون عنه يوم القيامة ،هو حجة لكم عند الله أو حجة عليكم ، ولتوضيح هذه القضية أدعوكم جميعاً لِنُمَثِّلَ جميعاً في موقف القيامة ، وكلنا سوف يقف بين يدي الله: (اللهم أحسن وقوفنا بين يديك يوم العرض عليك)

"يؤتى برجل يوم القيامة ويمثل له القرآن قد كان يضيع فرائضه ويتعدى حدوده ويخالف طاعته ويركب معاصيه ، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال : فشأنك به فيأخذه بيده فما يفارقه حتى يكبه على منخره في النار) وكم عمق جهنم؟ ، إن ضجة وقعت زمن الحبيب الأعظم وهو يجلس بين أصحابه فقام الصحابة فزعين ما هذا ؟ فقال رسول الله هذا حجر ألقي في نار جهنم منذ سبعين سنة لم يصل القاع إلا الآن)ويؤتي بالرجل قد كان يحفظ حدوده (حدود القرآن) ويعمل بفرائضه ويعمل بطاعته ويتجنب معاصيه فيصير خصماً دونه فيقول : أي ربَّ حمَّلت آياتي خير حامل : اتقى حدودي، وعمل بفرائضي ، واتبع طاعتي ، واجتنب معصيتي فلا يزال يقذف له بالحجج

حتى يقال له : فشأنك به ، فيأخذ بيده فما يزال به حتى يكسوه حلّة الاستبرق ويضع عليه تاج الملك ويسقيه بكأس الملك " (بز- ابن أبي شعيبه) .

رمضان لم يشرع للبرامج التلفزيونية الأرضية والفضائية ، مسموعة ومرئية بحجة سلي صيامك ، الفضائيات تتبارى في رمضان بالتمثيلات والأفلام بالشاشة الأفضل في الشهر الفضيل ، من هو الذي سيذهب إلى صلاة التراويح وهو يرى فيلم كذا أو تمثيلة كذا تعرض أثناء الصلاة حتى جعلوا الناس بدل أن يستقبلوا القبلة يستقبلون المفسدون ، ومن الناس في رمضان من يقوم بإعداد الموائد المترعة بأصناف وألوان الطعام حتى انتشر بين الناس الأمثال عن رمضان ، نبينا يقول عن رمضان (أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار) وهم يقولون :أوله مَرء وأوسطه خلأ ، وآخره خلأ أوله إعداد المرق والشوربات والأطعمة ، وأوسطه خلأ : شراء الحاجيات ولباس العيد ، وآخره خلأ : صنع الحلويات والمعمول والكعك لأجل العيد .

أعرفون من روى هذا الكلام ؟ مفجوع بن مفجوع .

ما هكذا رمضان ! صححوا نياتكم في اليوم الأول منه ، واستعدوا لليلة الغراء آخره ، أزيلوا عن القلب الران والأغيار بالذكر والتوبة وإلا حرمت التجليات الإلهية فيها ، استعدوا لهذه الليلة التي قال فيها الحبيب الأعظم (إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم) .

أُعرفون . أيها السادة . لو أننا نفذنا هذه التعليمات حق التنفيذ سيرزقنا الله نصراً مثل نصر بدر وفتح مكة ، سيرسل إلينا قائداً ربانياً يقودنا جميعاً نحو المسجد الأقصى فنفتحه كما فتح رسول الله مكة المكرمة فهل بنا معاً نطبق الأركان الستة تعالوا بنا نستعد لبدر جديد ، تعالوا بنا فليكن كل منا ربانياً وليس رمضانياً ، لندخل معاً مدرسة رمضان ، وما أدراك ما رمضان : الرء رحمة والميم مغفرة والضاد ضمان الجنة والألف أمانة من النار والنون نور من الواحد الديان .

عشر المغفرة

. ٤١ .

الحمد لله الرحيم الذي يرحم من عباده الرحما ، الكريم الذي يسبل على العاصي ذيل حلمه جوداً وكرماً ، الحليم الذي يرى المذنب ويستتره إذا أبدى على زلته حسرة وتندما ، العليم الذي يعلم ما في الضمائر ويطلع على السرائر ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السما ، العظيم الذي لا يتعاضمه ذنب إلا غفره ، ولا يرى عيباً إلا ستره فضلاً منه ونعما

أحمده سبحانه وتعالى أولاً وآخرأ على ماغفر زللاً ومأثماً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبقت رحمته غضبه ، من لجأ جنابه احتسمى ، ومن تاب إليه نجاه ، ومن توكل عليه كفاه هما وغماً وألماً .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله أرجح الناس عقلاً وحلماً ، وأوفرهم علماً وفهماً وأقواهم يقيناً وعزماً ، فتح به أعيناً عمياً وأذاناً صماً ، فأمن به وعزّره ونصره من جعل الله لهم من مغنم السعادة سهماً ، وكذب به من كتب الله عليه الشقاء حتما .

هذا النبي مُحَمَّد خير الورى ونيهم وبه تشرف آدم

كلّ السنا من نوره يتقسّم

وله البها وله الحياء بوجهه

حقاً ويسمع من عليه يسلم

هو في المدينة ثاوياً بضريحه

زال الذي من أجله يتوهم

وإذا توسل مستضام باسمه

في جنة المأوى غداً يتنعم

يا فوز من صلى عليه فإنه

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله
وأصحابه ذوي القدر الرفيع والجناب الأسمى ، صلاة وسلاماً ننال بهما يوم
الفرع الأكبر أمنا ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

ها هو عشر المغفرة قد آذن بالرحيل ، فهل سيرحل بذنوبنا أم سيبقى
شاهداً علينا فيا من أيامه في الغفلة ضائعة ، وصحائفه لزلاته جامعة ، أقبل
على مولاك بنية خالصة ونفس طائعة ، واسمعه يناديك ﴿ قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾

وغدا على زلاته متندما

قل للذي ألف الذنوب وأجرما

فضل بنيل التائبين تكرما

لا تيأسن من الجميل فعندنا

١ معشر العاصين جودي واسع توبوا ودونكم المنى والمغنما

لا تحتشوا من قبح ذنب سالف إني أحب بأن أجود وأرحما

أخي المسلم : لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين يديه لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه وقال لك : ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾

إن الكريم أبوابه لا تغلق في وجه التائبين فأقبل على مولاك بالتوبة والإنابة، ولا تحف من ذنوب أنت حاملها ولو كثرت وتأمل في قوله تعالى : ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾

إننا مع الحلقة الواحدة والأربعين من سلسلة الحلقات الرمضانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة استفتح بالذي هو خير يقول الحبيب الأعظم ﷺ (جه): (لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم) فقولوا استغفر الله ، تبت إلى الله ، وندمت على ما فعلت من جميع المعاصي وعزمت عزمًا أكيداً على ألا أرجع إلى المعصية فأقبل توبتنا ، يا تواب اقبل توبتنا ، اقبل دعاءنا .. واسمع معي إلى العلي القدير ينادينا (م) " يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أباي فاستغفروني أغفر لكم " ياغفار ، يارحيماً على من عصاك ، جئناك تائبين ، اغسل قلوبنا بماء رحمتك ، قد شابت رؤسنا ولحاننا في عبادتك ، قد شبننا في الرق فاعتقنا من النار

حدّث أحمد بن سهل رحمه الله قال : رأيت يحيى بن أكثم في المنام فقلت : يا يحيى ما فعل الله بك ، قال أوقفني بين يديه وقال : يا عبد السوء ؟! فقلت : ما هكذا حدثت عنك ؟ قال : فبم حدثت عني ؟ قلت : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام يا رب أنك قلت : إني لأستحي أن أعذب شيبة شابت في الإسلام ، وأنا شيخ كبير : فقال الله تبارك وتعالى : صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق النبي وصدق جبريل وصدقت أنا ، ثم أمر بي ذات اليمين إلى الجنة "استغفر الله

استغفر الله مما كان من زللي ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري

يارب هب لي ذنوبي يا كريم فقد أمسكت حبل الرجا يا خير غفار

إن المملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم أعتقوهم عتق أبرار

وأنت يا خالقي أولى بذاكرما قد شبت في الذنب فاعتقني من النار

أيها العبد : ارفع كفيك وناد يا رحيم ، يا تواب ، يا غفار ، إن الكريم لا يطرد أحداً عن بابه فما رفع عبد كفيه يدعو بشيء إلا استجيب له ، لذا قال لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة " :
(ت ك) .

أيها الأحبة والصحب :

اسمحو لي أن أنقل لكم هذا الحوار بين مولانا عز وجل وإبليس ، إبليس لما طرد من الجنة ومن رحمة الله قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب ﷻ : وعزتي وجلالي لا أزل أغفر لهم ما استغفروني "حم . ع . ك) فقل استغفر الله ، ارفع كفيك وقل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا، يا ذا الجود والإحسان .

تأكد أخي المسلم أن الله تعالى قد غفر لك الآن لا تشك في ذلك أتعرف لماذا ؟ لأن الله تعالى يقول " من علم أي ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئاً " (طب . ك) .

ليسمع التائبون إلى الله ماذا يقول سيد العالمين سيدنا محمد ﷺ (م) يقول: (يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود" ومرة رجل رأى آخر على المعصية مراراً مصرّاً عليها فقال : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله تعالى (م) : (من ذا الذي يتألى علي أني لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك) (أيها القائل) .

لا رحيم أرحم من الله ، ولا كريم أكرم من الله ، ورد أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ من يلي حساب الخلق يوم القيامة ؟ فقال الله تبارك وتعالى . قال : هو بنفسه ؟ قال : نعم فتبسم الأعرابي . قال رسول الله ﷺ : (مم ضحكت يا أعرابي . فقال : إن الكريم إذا قدر عفا ، وإذا حاسب سامح .

فقال رسول الله : (صدق الأعراي لا كريم أكرم من الله هو الأكرمين)

وسمع أعراي ثانٍ سيدنا ابن عباس يقرأ قوله تعالى (وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) فقال الأعراي : والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها . فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه . (هذا هو الحق) .

وقيل إن سيدنا موسى قال في بعض مناجاته : يارب . فقال الله تعالى :

لبيك

يا موسى . فقال موسى : يارب أنت أنت فمن أنا حتى أجاب بالتلبية؟ . فقال : يا موسى إني آليت على نفسي أن لا يدعوني عبد من عبادي بالربوبية إلا أجبته بالتلبية . فقال موسى : يارب هذا لكل عبد طائع؟ قال : ولكل عبد مذنب . قال : يارب أما الطائع فبطاعته ، فما بال المذنب؟ فقال الله تعالى : يا موسى إذا جازيت المحسن بإحسانه ومنعت المسيء لإساءته فأين جودي وكرمي .

وأستر الذنب إنعاماً وإحساناً

تعصي وتجهر بالعصيان
إعلاناً

أجزى الذي تاه عصياناً
وعدواناً

ولا أجازي مسيئاً بالفعال
ولا

نعطيه من فضلنا عفواً وغفراناً

ومن أتى تائباً بالذل منكسراً

يا عفو ، يا حنان ، جد علينا بالإحسان والغفران يا رب غرفت في بحار
غفلتي ، وركضت في ميدان صبوتي ، وعثرت في أذيال زلتي ، ومالي غيرك أعتمد
عليه ، ولا أعرف باباً غير بابك فالتجئ إليه ، وها أنا عبدك الذليل المذنب
العليل قد وقف ببابك ولذت بجنابك ، فإن لم ترحمني فيا ذلي ويا شقوتي، وإن
لم تعف عني فيا طول حسرتي

أنا الغدار كم عاهدت عهداً	وكننت على الوفاء به كذوبا
أنا المصّر أرجو منك عفواً	ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
فيا مولاي جد بالعفو وارحم	عبيداً لم تنزل يشكو الذنوبا
وسامح هفوتي وأجب دعائي	فإنك لم تنزل أبداً مجيبا
وشفع فيّ خير الخلق طرا	نبيا لم يزل أبداً حبيبا
عليه من المهيمن كل وقت	صلاة تملأ الأكوان طيبا

إخوتي في الله : مرّ سيدنا السري السقطي رحمة الله برجل ملقى على
الأرض وهو سكران والخمر يفتح من فمه وهو يقول : الله الله . فرفع السري
طرفه إلى السماء وقال : إلهي إنسان يذكرك لا يكون هكذا (ذاكر والنجاسة
على فمه) ثم دعا بماء فغسل فمه ثم تركه ومضى . فلما أفاق الرجل قالوا : إن

الشيخ السري قد رآك ، وفعل معك خيراً وغسل فمك لتذكر الله على طهارة .
فخجل واستحيا ولام نفسه ووبخها وقال : ويحك يا نفس إن لم تستح من الله
ومن أوليائه فممن تستحين . ثم ندم وتب مما كان فيه . وبات السري فرأى في
منامه قائلاً يقول له : يا سري أنت طهرت فمه لأجلنا ونحن طهرنا قلبه
لأجلك . فلما أصبح السري سأل عن ذلك الرجل ، فوجده في بعض
المساجد وهو قائم يصلي فلما فرغ قال له السري : يا أخي كيف حالك
؟ فقال : يا سيدي كيف تسأل عن حالي وقد أخبرك الكريم أنه طهر قلبي من
أجلك وأصلح حالي قال : ومن أعلمك بهذا ؟ قال : الذي طهر قلبي من سواه
وجادعلي بعفوه ورضاه .

هذا زمان الصلح ما
أقعدك
عن باب من للخير قد عودك

فإن محوت اليوم ما
سَطَرْتُ
أيدي خطاياك فما أسعدك

إخوة الإيمان : أتدرون ماذا يقول جدي سيدنا ابن عباس رضي الله
عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾
يقول : غافر الذنب لمن يقول لا إله إلا الله . وقابل التوب لمن يقول لا إله
إلا الله . شديد العقاب لمن لم يقل لا إله إلا الله فالسر كل السر في لا إله إلا
الله ، فاتخذوا عند الله عهداً وقولوا لا إله إلا الله جددوا إيمانكم وقولوا : لا إله
إلا الله ، أعلنوها عالية في قلعة التوحيد ، أسمعوا بها ملائكة الله ، جلدوا بها
المكان :

لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره الملحدون .

لا إله إلا الله محمد رسول الله ، عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، لا إله إلا الله واحد أحد ، لا صاحبة له ولا ولد ، مريم عبدة من عباد الله ، ولية من أولياء الله ، والجنة حق والنار حق لا إله إلا الله ، واحد أحد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . أتدرون ماذا يقول فيكم الآن سيدنا رسول الله يقول : ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا ناداهم منادٍ من السماء قوموا مغفوراً لكم "وأنا أبشركم بهذه البشارة قوموا فقد غفر الله لكم

....

عشر المغفرة

. ٤٢ .

الحمد لله منشئ الموجودات ، وباعث الأموات ، وسامع الأصوات ،
ومجيب الدعوات ، وكاشف الكربات ، عالم الأسرار ، وغافر الإصرار ، ومنجي
الأبرار ، ومهلك الفجار ، ورافع الدرجات (وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ويعفو عن السيئات) ، فيا حسرة من لم يقبله الملك العظيم ، ويا
مصيبة من فاتته هذا العتاب وهو على خطاياه مقيم أتبارز بالقبيح من عاملك
بالجميل ؟ أتجاهر بالعصيان من غمرك بفضله الجزيل ، أترضى بالبعد بدلاً عن
الوداد فبئس البديل ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا
في الآخرة إلا قليل﴾ .

أحمده سبحانه وتعالى حمد معترف بالعجز عن ثنائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عزّه وكبريائه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد أصفیائه وخاتم رسله وأنبيائه .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وأصحابه وعلى أزواجه الطاهرات وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا أيها الإخوة الكرام

سائل ومسؤول ومجيب : السائل صحابي ، والمسؤول سيدنا مُحَمَّد ﷺ ،
والمجيب هو الله جلّ في علاه ، فاسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم سريعاً إلى
مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية ، إلى صاحب الجبين الأزهر
والروض الأنور سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ :

يامن له الأخلاق ما تهوى	العلی منها وما يتعشق الكبراء
زانتك بالخلق العظيم شمائل	يغرى بهن ويولع الكرماء
المصلحون أصابع جمعت يداً	هي أنت بل أنت اليد البيضاء
صلى عليك الله يا علم الهدى	صلى عليك الله ربي وسلما

تعالوا بنا لننزل ضيوفاً على هذا النبي الحبيب ، فارفع تحيتك إليه وأنت
تدخل عليه ، ها هو صحابي جليل يدخل معنا عليه ، وأرى الآن وجه
المصطفى متهللاً مستبشراً كأنه القمر ليلة التمام ، الصحابي يسأل : يا رسول
الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنأديه ؟ (إن كان قريباً نأجينا سرّاً ، وإن كان
بعيداً نادينا : رفعنا أصواتنا بالدعاء) فمن الذي أجاب عن هذا السؤال ؟
الذي أجاب الله رب العالمين ، إذ بالأوامر تصدر إلى سفير الأنبياء وأمين وحي
السماء ، إذ بجبريل يجوب الآفاق ويطوي السبع الطباق وينزل بالإجابة سريعاً :

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ﴾

إجابة شافية كافية وافية إننا ما الحلقة الثانية والأربعين من سلسلة الحلقات

الرمضانية من جامع الدجرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا أكفكم إلى الله .

(للهم اقبل صيامنا كما قبلت صيام نبينا)

الآية الشريفة بين آيات الصيام : بين آيتي ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات﴾ وبين آية ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ لماذا يقطع الله تعالى الحديث عن أحكام الصيام المتتابة ليضع هذه الآية الكريمة بين آيات أحكام الصيام ؟ وضعها هناك ليقول لك : إنني فتحت لك بابي وكرمتي ليلة الصيام ونهاره فاسألني ماشئت ، لك مني دعوة مستجابة لحظة إفطارك ، اسمع إلى حبيبك وأنت تصلي عليه يقول : " ثلاثة لا ترد لهم دعوة : الإمام العادل ، ودعوة الصائم ، ودعوة المظلوم " فهذه الساعة من ساعات الإجابة لأنك أطعت الله تعالى دون غيره ، لا تذهب لتطلب حاجاتك من العبيد بل اطرق باب من طرقه لا يخب .

سيدنا عوف بن مالك عندما أسر ولده جاء إلى نبينا يسأل ماذا يفعل ، فقال له رسول الله : . يا عوف بن مالك أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله . وذهب عوف إلى زوجته أوولده فقال : أمرني رسول الله أن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله فقالت الزوجة : صدق رسول الله . فقد فهمت الزوجة أن النبي أراد من زوجها أن يسأل الله تعالى ، (وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) .

لا تسألن بُنَيَّ آدَمَ حاجةً وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَيَّ آدَمَ حين يسأل يغضب

إذا مرضت فقل يا الله ، وإذا كان لك حاجة فقل يا الله ، إذا وقعت في هم
وغم فقل يا الله هذه هي العقيدة الصحيحة ، لأن بعض المسلمين وقعوا في
خلاف ذلك ، من يصاب اليوم منهم بشدة يذهب إلى أحد المقامات ويقول :
يا ولي الله لو نجح ولدي فلك كذا ، وآخر يقول : مدد يا فلان إذا كسبت
القضية فلك ديكان (هذا الولي مختص بالديوك) وآخر مختص بالولادة ،
وآخر يزيل الشدة ماذا يبقى لله ؟

لك ألف معبود مطاع أمره غير الإله وتدعي التوحيداً

سيدنا موسى عندما دعا ربه قال ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ ،
اطلب من الله ، الأنبياء جميعاً كانوا يتوجهون إلى رافع السماء بلا عمد ، افتحوا
القرآن على سورة الأنبياء واقرؤوا : ﴿وأيوب إذا نادى ربه إني مسني الضر
وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ وآتيناه أهله
ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين. وذا النون إذ ذهب
مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت
سبحانك إني كنت من الظالمين. فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي
المؤمنين. وذكروا إذ نادى ربه ربّ لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين .

فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ،إنهم كانوا يسارعون في
الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴿٤٠﴾ .

سيدنا نوح دعا قومه إلى الإسلام ألف سنة إلا خمسين فما آمن معه إلا
قليل ، فماذا كانت النتيجة ؟ ﴿٤١﴾ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴿٤٢﴾ فكيف
استجاب مولانا لنبيه : ﴿٤٣﴾ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض
عيوناً فالتقى على أمر قد قدر ﴿٤٤﴾ فلماذا هذا؟ لأجل دعوة صادقة رب إني
مغلوب فانتصر . بكلمات قليلة تدعوها بصدق يقرب الله لك صحراء حياتك
جنة غناء ، وتأتيك العطايا والثمرات من كل جانب ، تماماً كما فعل الله
بسيدنا إبراهيم في مكة المكرمة الصحراء المجدبة ، لما ترك زوجته وولده سيدنا
إسماعيل بواد غير ذي زرع نادى ﴿٤٥﴾ رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من
الثمرات ﴿٤٦﴾ وأشهد الله تعالى أن ثلاثة ملايين أو أقل بقليل يأكلون ويشربون
في موسم الحج بركة دعاء سيدنا إبراهيم .

فيا أخي المسلم : عليك أن توقن تماماً : أن الله لا يطرد أحداً عن بابه ،
هل حاولت مرة أنت تقول: يا الله ؟ هل جربت مرة أن تقول: يا رب لتحلّ
مشاكلك كلها ،إذا أحد من أولادك لا يلتفت إلى القبلة ولا يصلي ، أو لا
يسمع كلامك ليس لك إلا أن ترفع يديك وتقول : اللهم اهد ولدي ،
ويستجيب الله لك . سيدنا أبو هريرة كانت أمه من أعداء سيدنا محمد ، تسب
وتهين سيدنا أبا هريرة ، فجاء سيدنا أبو هريرة وقال يا رسول الله : ادع الله
لأمي أن يهديها ؟ فرفع الحبيب يديه إلى من لا يخيب أحداً وقال : اللهم اهد
أم أبي هريرة .وانطلق سيدنا أبو هريرة فما أن وصل إلى دار أمه حتى وجدها قد

نطقت بالشهادتين وقامت تغتسل غسل الإسلام ،يقول أبو هريرة : ففرحت حتى بكيت من شدة الفرح ، أسرعرت إلى رسول الله وقلت: أبشر يا رسول الله قد استجاب الله دعوتك .ولماذا لا يستجيب ؟ وقد دعاه رسول الله بصدق والتجاء وحرقة ويقين بالإجابة (يارب اهد أولادنا ،يارب اهد زوجاتنا ، يارب اهد جيراننا ، يارب كما استجبت لنبينا استجب لنا). الصلحة بلمحة ، والمطلوب منك فقط أن ترفع كفيك وأنت موقن بالإجابة (ادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة) .

إخوتي في الله : مازلنا عند سيدنا رسول الله ، لكن المشهد الآن خارج المدينة المنورة عند بدر ، الزمان ليلة المعركة الصحابة الآن يدعو ويستنجد بالواحد الأحد ويقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، واللهم نصرك الذي وعدتني، يا حي يا قيوم إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض أبداً ، ويلح في الدعاء ويكي ، ويرفع يديه ويتذلل ويسقط رداؤه من شدة الدعاء ، ويظهر إبطه من شدة رفع يديه ، ويقول : يارب يارب . حتى يشفق عليه الصديق ويمسكه من الخلف ويعيد إليه رداءه ويقول : يا رسول الله هون عليك فإن الله منجز لك ما وعدك . وسرعان ما نزلت الإجابة ، وسرعان ما جاء النصر ، وسرعان ما جاء جبريل وهو على فرسه ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ (الأنفال) .

يا حسرة على العبد يمضي عليه اليوم واليومان ولا يرفع يديه إلى أكرم الأكرمين ، هذا العبد الآبق حدثنا القرآن عنه وعده من المستكبرين والعياذ بالله، اسمعوا الخطاب الإلهي ينادي ويقول : ﴿وقال ربكم ادعوني استجب

لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴿٤٠﴾، لأن الإعراض عن الإله كبيرة ، وقد يكون كفراً والعياذ بالله، ولذلك اسمعوا هذا الحديث النبوي يقول : (من لم يسأل الله يغضب عليه) يارب لطفك بنا ، يارب عطفك علينا ، يارب مغفرتك لنا، رحمتك بنا ، لا تهلك وأنت رجاؤنا

فيا أخي المسلم : أبعد هذا تشك أن الله سيستجيب لك ، إن الكريم يعطي بلا طلب فكيف إذا طلبت منه ، يقول حبيبي وجدي رسول الله ﷺ : (إن الله حيي كريم يستحي أن يرفع العبد يديه ثم يردهما صفرا خائبتين) ، ولا تقل لي دعوت فلم يستجب لي ، لأن الناس صنفان : عبید يعطيهم مولانا مباشرة ، وعبید يؤخرهم ، لأن الأصلح لهم تأخير الإجابة فهو العليم بهم ، يقول سيدنا ابن عطاء الله السكندري : لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح بالدعاء موجبا ليأسك ، فإنه قد ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك ، وفي الوقت الذي يريد لافي الوقت الذي تريد .

اعلم أن الحاحك بطلب الشيء يحبه منك ، وعليك أن تخاف إذا ما أعطاك مباشرة، لماذا؟ لما ورد في الحديث: أن الله تعالى يقول لسيدنا جبريل : اذهب إلى عبدي فلان فأعطه ما يريد فإني أكره أن أسمع صوته ، ويقول عن عبد آخر : يا جبريل مالي لا أسمع صوت عبدي فلان اذهب فاصبب عليه البلاء فإني أحب أن أسمع صوته .

فكل إنسان لا يدعو الله في جميع أوقاته سيجعله الله يدعوه عن طريق البلاء، ذلك أن الدعاء نوعان : دعاء حاجة ودعاء عبودية ، فإن لم تدع دعاء عبودية اضطرك مولاك لأن تدعو دعاء الحاجة والعياذ بالله تعالى ، لذلك ورد

في الحديث القدسي : (عبدني تعرف إلي بالرخاء أعرفك في الشدة)
فالمطلوب منك إيماناً أن تبقى دائماً واقفاً متعبداً في محراب الدعاء ، فهذا
محراب لا يهلك فيه أحد ، أقول هذا الكلام وأنقله عمن لا ينطق عن
الهوى، يقول طه صاحب الشريعة : " لن يهلك مع الدعاء أحد " ولكن
بشرط أن تدعوه وأنت صاح ، قلبك صاح ، عقلك صاح ، وكلما خشعت
استجاب لك ، كلما خشعت جوارحك ودمعت عيناك ، و اعترفت بأنك
عبدته استجاب لك ، فمن جمع الله قلبه عند الدعاء استجيب له .

معشر السادة الكرام

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم الموجز

إذا شعرت بعجزك أمدك بقوته

إذا شعرت بفقرك أمدك بغناه

إذا استشعرت بذلك أمدك بعزه

هنا مدرسة رمضان من مدرسة سيدنا مُحَمَّد ، الجالس فيها عليه أن يتوجه إلى
الله تعالى بالاستغفار والإنابة ، فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين .

عشر المغفرة

. ٤٣ .

الحمد لله الذي عزّز معرفته فلا يدريك بالمعقول خافيتها ، ودامت أزليته
فمن ذا يضاهيها ، وعلت سلطنته فجلاً تعاليها .

إلهي أغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح للسائلين ، وها نحن بين يديك ،
إلهي ذنوبنا طردتنا عن بابك ، ودوام الغفلة أبعدتنا عن جنابك ، وقد وقفنا
ببابك بالذلة والإفتقار ورجونا العفو عن ذنوبنا والأوزار ، يا أنيس المستوحشين
إن طردتنا عن بابك فيألى من نلتجئ ، يا جميل العفو أذقنا برد عفوكم وحلاوة
مغفرتكم ، وإن لم نكن أهلاً لذلك فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ينادينا ويقول : "يا عبادي
إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر
لكم" .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أيد الله له الشريعة ونصرها ، وهدى
الأمّة إلى طريق الصواب وبصرها .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم وأنعم على هذا النبي الكريم والسيد السند
الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته التي برأها
الله تعالى من الرجس وطهرها ، وسلم تسليما .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

هذا عشر المغفرة قد أقبل علينا ، ها هو عشر التوابين قد أقبل علينا ، وعمما
قريب سيرحل عنا فارفع كفيك إلى الله تائباً منيباً وقل ياالله ، أطفئ بالبكاء
جمر الذنوب وقل ياالله ، إبك في خلواتك على جفواتك ، إبك بعبراتك على
عشراتك ، إبك في أيامك على ذنوبك وآثامك ، إبك في لياليك على غيك
وتماديك

يا غافلاً وليالي الصوم قد	زادت خطاياك قف بالباب
ذهبت	وابكيها
وتب لعلك تحظى بالقبول	أن تبلغ النفس بالتقوى أمانيتها
عسى	أتيت أرجو أجوراً فاز راجيها
وقل إلهي أنا العبد الذليل وقد	واغفر ذنوبي فإني غارق فيها
فلا تكلني إلى علمي ولا	
عملي	

إخوة الإيمان : هذه الأيام والليالي لا تعدلها أيام في سني حياتك ، قد فتح
لك فيها رب العزة أبواب فضله وكرمه فتعرضْ لنعماؤه ، هل قال لغيرك

بالإعلان : للصائم فرحتان ، هل بشر سواك بليلة القدر ، هل لغير هذه الأمة "الصوم لي وأنا أجزي به "أتعرفون ما الجزاء ؟ تمتع بصرك برؤية نور الله ﷻ .

كان فيما مضى ولي يدعى فتحاً الموصللي يبكي في الليل الدموع ثم يبكي الدم ، فلما مات رؤي في المنام ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : أوقفني بين يديه وقال لي : يا فتح هذا البكاء لماذا ؟ قلت : يارب لتخلفي عن واجب حقك ، فقال : فلم بكيت بالدم ؟ قال : يارب خوفاً على دموعي أن لا تصح لي (تكون رياء) قال : يا فتح ما أردت بذلك كله ؟ قال : قلت : ياسيدي أردت بذلك وجهك الكريم فأرينه واصنع بي ما شئت . فقال : وعزتي وجلالي لقد صعد إلي حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك وليس فيها خطيئة واحدة ، فلا لبسك لباس التكريم ولا متعنك بالنظر إلى وجهي الكريم .

هذا هو الجزاء ، ما أعظمه وما أجله ، فاللهم لا تحرمنا النظر إلى وجهك الكريم .

فيا أخي المسلم :

إن الله يمهل ولا يهمل ، هب أنه عجل لك العقوبة في الدنيا ، ما موقفك لو بقيت بلا عين أو يد والعياذ بالله ، إن وبال المعصية شديد ، مهما كانت هذه المعصية صغرت أو كبرت فإنها تعظم في جنب الله ، لا تنظر إلى صغر المعصية وانظر إلى عظم من عصيت ، قال أبو يعقوب الجوري رأيت في الطواف رجلاً بعين واحدة وهو يقول في طوافه : أعوذ بك منك . فقلت : ما هذا الدعاء ؟ فقال : إني مجاور في البيت العتيق خمسين سنة فنظرت يوماً إلى

أمرد فاستحسنته فإذا بلطمة وقعت على عيني فسالت على خدي فقلت: آه فوقعت أخرى ، فإذا قائل يقول : لو زدت لزدناك.

إن الله قد يعجل العقوبة للعاصي هنا ، فكم من نظرة محتقرة زلت بها الأقدام ، فتب إليه وابك على ذنبك لعله يغفر لك ، ألم تسمع إلى قوله يناديك ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ . ألم تسمع إليه يقول لك : "عبدني لو جئتني بقراب الأرض ذنوباً لأتيتك بقرابها مغفرة".

فاعترف بذنبك وناد ربك وقل يا غفار ، ابك على معصيتك فدمعتك اعتراف بذلك وعبوديتك وألوهيته وعظمته ، إذا اعترف العبد بذنبه وقال رب اغفر لي قال الله لملائكته: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب اشهدوا أنني قد غفرت له . الدمعة يا أحبتي رحمة من الله عند التوبة تنور وجهك يوم القيامة ، يقول أحد الأولياء وهو أحمد بن أبي الحواري : رأيت مرة في المنام جارية ما رأيت أحسن منها يتلألاً وجهها بهاء وجمالاً ، فقلت لها : ما أنور وجهك فقالت : أتذكر الليلة التي بكيت فيها من خشية الله عز وجل ، قلت : نعم قالت مُحِلَّتْ إلي دمعتك فمسحت بها وجهي فصار كما ترى .

أين البكاؤون من الذنوب ، أين الراجون لرحمة الله ، ها هو عشر المغفرة قد فتح أبوابه فاعترف بذنبك أمامه ، اعترف وأنت هنا قبل أن تقدم عليه هناك ، هل تعرف كيف تتوب؟ اعترف وقل له : إلهي وسيدي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ، ولا بعقوبتك مستخف ، ولكن سؤلت لي نفسي وغلبت علي شقوقتي ، وغرني سترك المرخي علي ، فعصيتك بجهلي ، وخالفتك بسفهي ، فالآن من عذابك

من يستنقذني ، وبجل من أعتصم إذا قطعتني وأبعتني ، واسوأاته من الوقوف بين يديك ، واخجلتي من العرض عليك ، فكم أتوب وأعود ، وأعاهد وأنقض للعهود . يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ، ويا مفرج كرب المكروبين ، قد تري مكاني وتعلم حالي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ، فرج عني ، واقبل توبتي ، وردني إليك رداً جميلاً .

إخوتي في الله : ذنوبنا كثيرة ولكن لا ذنوب مع الاستغفار ، المهم أن تعرف أن لك رباً يغفر الذنب يعفو ويصفح فحاسب نفسك قبل أن يحاسبك . كان رجل ممن يحاسب نفسه على سيئاته وخطاياها ، فحسب أيامه فوجدها أحداً وعشرين ألف يوم وخمسمئة يوم ، فصرخ صرخة وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق قال : يا ويلتا آتي ربي بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمئة (هذا إذا أذنبت ذنباً واحداً كل يوم فكيف بذنوب لا تحصى) ثم قال : آه علي ! عمرت دنياي ، وخربت آخرتي ، وعصيت مولاي كيف أقدم في يوم الحساب على الكتاب والعذاب بلا عمل ولا ثواب ثم شهق شهقة عظيمة ووقع على الأرض فحركه فإذا هو ميت ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾

فيا أخي المسلم مهما كانت ذنوبك عظيمة فإن الله يغفرها لك ، اسمع إليه يقول لك " ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ .

ولا تقنطن فإن الله منان	وعنده للورى عفو وغفران
إن كان عندك إهمال ومعصية	فعند ربك إفضال وإحسان

ها هو صحابي جليل يقدم على الحبيب الأعظم وهو ينادي : واذنوباه .
فتعالوا بنا نتقل إلى هناك ، إلى سيد الخلق وحبيب الحق ، إلى المبعوث رحمة
للعالمين .

فلذ بمن تأوي إليه العصاه	وإن تخف من قبح ذنب مضى
من طبّق الأرض جمعا شذاه	مُجدّ المختار خير الورى
شمس وما حث إليه الحداه	صلى عليه الله ما أشرقت

ها هو الصحابي ينادي كالولهان وهو يقول : واذنوباه . فأقبل عليه طيب
القلوب يهدئ من روعه ، حتى هدأت نفسه وسكن قلبه ، وشخص له الداء ثم
قدم له الدواء ، أجلس الرجل بين يدي وعلمه أن يدعو بكلمات اسمعوها
لعلكم تحفظونها قال : قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى من
عملي "فراح الرجل يكررها ويلقنه إياها الحبيب الأعظم ، ثم قال له طيب
القلوب : قم فقد غفر الله لك ، وأنا أبشركم ببشارة الحبيب الأعظم قوموا فقد
غفر الله لكم .

عشر المغفرة

. ٤٤ .

الحمد لله الغفور الودود ، الكريم المقصود ، الملك المعبود ، القديم الوجود ،
العميم الجود ، المتعالي عن الأمثال والأشكال والجهات والحدود ، فالتشبيه
مذهب اليهود كفّ كيف مشلولة وباب التشبيه مسدود ، والمتبع مقرّب
والمبتدع مطرود ، والحق غني عن العباد ، فلا ينفعه المطيع ولا يضره الكنود ،
ولما سعى إبليس في طرد آدم كان هو المطرود، وخادعه بإظهار النصيحة فزين له
الخلود ، لكنه كان حاسداً والحسود لا يسود ، فتاب سيدنا آدم فنال السعود .

فسبحان من قرب وأقصى وعلم وأحصى وكل ما سواه مشهود .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يفوز قائلها في اليوم
الموعود.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب اللواء المعقود والخوض
المورود.

فيارب هذه ذنوبي في السورى
كثرت
وليس لي عمل في الحشر ينجيني
حب النبي وهذا القدر يكفيني
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند
العظيم سيدنا ومولانا مُحَمَّد ، وعلى آله وأصحابه الركع السجود ، صلاة دائمة
باقية إلى يوم الورد، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام: ها قد انتصف شهر رمضان ، وكاد
عشر المغفرة أن ينصرم فأين التائبون ؟ هاهو موسم الخيرات يكاد أن ينفض ،
فأين المتنافسون ؟ أين تجار الآخرة ؟ وقد آذنت أيام رمضان بالرحيل (إن لله في
أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها) ، ها هو مولانا ينادينا ويعدنا بالتوبة
والمغفرة إذا نحن أقبلنا عليه ورجعنا إليه وأقلعنا عن المعاصي ، فيا غافلاً تيقظ
واسمع نداء الملك المعبود : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً
عسى أن يكفر عنكم سيئاتكم ﴾ توبوا إليه توبة شاملة من كل الذنوب ،
افتحوا صفحة جديدة مع مولاكم ، توبةً من قوتها أنكم إذا أردتم معصية
تنصحكم بالرجوع إلى الله إلى الطريق الصحيح مثل الصديق الناصح .

إنها دعوة من الله تعالى لكل مذنّب ومسيء ، لكل عبد آبق (هارب) من
مولاه ، تب إليه فإنه يقبلك ، هو الذي يدعوك إليه ويعدك بقبول التوبة ﴿
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ يقبل توبتك ولو
كانت ذنوبك أمثال الجبال فهو الملك الغفار ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن

وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴿يقول سيد الأولين والآخرين (خ) (إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه) هذا نبي الرحمة ، من عُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول: (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم والليلة مئة مرة) (م) ، رسول الله يتوب إلى الله تعالى من غين الأنوار الخاص بالأنبياء ، يستغفره ليرتقي من مرتبة إلى مرتبة من الأنوار الإلهية ، لأن الأنبياء لا يذنبون لأنهم معصومون لكنهم يستغفرون ليكونوا قدوة لأهلهم أولاً وليرتقوا إلى مراتب الأنوار العالية الإلهية .

أما غين الأوزار فهو خاص بنا معشر البشر ، وهو ما يترسب على القلب من الران جراء المعاصي ، فإذا تاب العبد وآب إلى ربه فإن الله تعالى يغسل له قلبه بنور التوبة ، وتأكد يا أخي المسلم وكن على يقين أن الله تعالى يقبلك ولو طال أمد العصيان ، ذكر أن رجلاً عبد الله تعالى عشرين سنة ثم خلط عملاً سيئاً بآخر صالحاً عشرين سنة، ونظر يوماً في المرأة فرأى الشيب في لحيته فأحزنه ذلك وقال: يارب إن تبت إليك هل تقبلني؟ فسمع هاتفاً يقول : عبدي أطعنا فقربتناك ، ثم تركتنا فأمهلناك ، ولو عدت إلينا بعد ذلك قبلناك "

فلطالما استغرقت في العصيان	إننا إن بكيت فلن ألام على
ويجود للعاصين بالغفران	البكا
ستر القبيح وجاد بالإحسان	يا من يجيب العبد قبل سؤاله
يا من إذا قلت يا مولاي لبّاني	وإذا أتاه الطالبون لعفوه
فكيف أنساك يا من لست	يا واحداً في ملكه ماله ثانٍ
تنساني	أنساك تذكرني في كل نائبة

إننا مع الحلقة الرابعة والأربعين من سلسلة الحلقات الرمضانية من جامع
الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة ارفعوا أكفكم إلى الله وادعوا :

(اللهم اقبل صيامنا كم قبلت صيام نبينا).

معشر السادة الكرام : التوبة ليست كلاماً نكرره وكفى ، بل حقيقة
التوبة أن تضيق على العبد الأرض بما رحبت ويرى ذنوبه وكأنها الجبال يحملها
على كاهله ، حتى لا يقر له قرار ، بل وتضيق عليه نفسه ، تماماً كما وصف
مولانا الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، فهجروهم رسول الله والمسلمون
خمسین صباحاً حتى نزلت توبتهم ، قال تعالى ﴿ وعلى الثلاثة الذين خَلَّفُوا
حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ هذه
هي حقيقة التوبة شعور بالندم والاستحياء من المولى ﷺ ، فمن تاب من
الذنوب خوفاً من عذاب الله فهو تائب ، ومن تاب حياءً من نظر الله تعالى

فهو منيب ، ومن تاب تعظيماً لجلال الله فهو أواب ، فانظر لنفسك أيّ المسالك تختار .

إنّ العبد إذا تذكر تفريطه وإساءته وعلم أنّ الذنوب سموم قاتلة خاف من عذاب الله وغضبه ، فإذا حصل له ذلك أثمر الندم على تضييع حقوق الله ، ثم يثمر الندم عملاً وهو المبادرة إلى الخيرات وقضاء الواجبات وردّ الظلمات والعزم على إصلاح ما هو آت ، وإذا أتبعه العبد بثمانية أشياء كان العفو عنه مرجوّاً :

أربعة في القلب وهي : التوبة، والعزم على أن لا يعود ، والإقلاع عنه ، وخوف العقاب ، ورجاء المغفرة .

وأربعة في الجوارح : وهي أن يصلي أربع ركعات في المسجد ، ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة ، ويقول : سبحان الله ربي العظيم وبحمده مئة مرة ، ويتصدق بصدقة ويصوم يوماً .

فهذه الحسنات الثمانية تذهب السيئات الماضية ، قال عزّ من قائل : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي الصغائر ، أما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة الصادقة وتأدية حقوق العباد إن كانت عليه ، لذا ورد في الحديث (أن الله تعالى يغفر للشهيد كلّ شيء إلا حقوق العباد) .

إخوتي في الله تعالى : إذا توفرت هذه الشروط يرجى أن تقبل توبته ، إذا فعل العبد ذلك وأقبل على الله بكلّيته فرح الله بتوبته ، الله يفرح بعودتك إليه ، فكيف هي فرحة مولانا بتوبة عبده ؟ للإجابة عن هذا السؤال استمحيكم أن

أنتقل بكم إلى هناك ، إلى سيد الكائنات إلى سيد الخلق وحبيب الحق ، إلى سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ ها هو يمثل لنا عظمة فرحة الله تعالى بتوبة عبده فيقول: (الله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل ناقته في صحراء وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته) وبدأت سكرات الموت والإعياء تبدو عليه وربما حفر قبره ونام فيه ينتظر الموت) وبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده (توقظه من رقدته فاستيقظ فرحاً وهو لا يصدق ثم من شدة فرحه أراد أن يشكر الله ويعترف له بعبوديته وحاجته إليه) فقال : (اللهم أنت عبي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح) (فالله أفرح بتوبة أحدكم من ذلك الرجل بناقته فرح ومحبة من الله تعالى للتائب (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين).

فهل تشك بعد ذلك أن الله لا يطردك عن بابه إذا طرقت باب التوبة؟! إن عبداً صالحاً اسمه أيوب السخثياني كان له جار سوء ، فلما مات ذلك الجار وجي بجنازته للعارف بالله أيوب ليصلي عليه صلاة الجنازة أبا أن يصلي عليه ، وقال :أخرجوه من هنا .وَصَلَّى عَلَى الْمَيِّتِ وَدَفَنَ ، وبعد أيام رآه العارف بالله أيوب في المنام وهو في حال حسنة فقال له أيوب : كيف حالك مع الله ؟ فقال له جاره : لما طردتني ولم ترض الصلاة علي امتلاً قلبي رعباً من الله ، فلما تمثلت بين يدي ربي عز وجل قال :

يا عبي ما فعل بك عبي أيوب ؟ فقلت : يارب أنت أعلم بما فعل . فقال الله تعالى : إن كان عبي طردك عن بابه فإن باي يقبل المطرودين ويعفو عن المذنبين .

إخوة الإيمان : إنني وأنا أريد أن أمثل لقبول توبة التائب لأرى أمامي أمثلة لا تحصى ، لكنني الآن أرى أمامي امرأة من جهينة تقف أمام الحبيب الأعظم تدعى المرأة الغامدية ، صحابية زوجة صحابي من بيئة الصحابة ، كان الرجل منهم إذا أذنب رأى ذنبه كأمثال الجبال ينوء بحمله ، وقد جاءت هذه المرأة وهي حبلى تقول : يارسول الله إني زנית فطهرني (أقم علي الحد) .وينظر نبي الرحمة إليها وهي حامل فيدعو وليها ويقول له:أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها ، وتذهب المرأة وربما لو لم تعد وتابت فيما بينها وبين الله لقبل الله توبتها ، ولكنها عادت بعد أشهر ومعها ولدها ، فقال رسول الله : اذهبي حتى تفتطميه . وتذهب المرأة الغامدية مدة سنتين أو أقل ، ولعلها لو تابت فيما بينها وبين الله لانتهى الأمر ، ولكن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ،عادت وفي يد ولدها كسرة خبز ، ويسلم رسول الله الولد لأهله (وفي رواية : أنه رفعه وقال من يكفل هذا الولد جعله رفيقي في الجنة)وتؤخذ المرأة فتشد عليها ثيابها ثم يؤمر بها فترجم ، ويقول سيدنا رسول الله بعد أن غسّلت وكفنت اصطفوا خلفي فإني مصلي عليها ، فيقول سيدنا عمر:أتصلي عليها يارسول الله وقد زنت ؟! فيلتفت إليه رسول الله ويقول (قد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل) (م وغيره) .

فيا أخي المسلم : إن مولانا فتح لك باب التوبة فلم الإصرار على المعصية ؟، لاتسوّف وتقول : غداً أتوب ،هل ضمنت غداً حتى تقول هذا الكلام ، هل تدري متى يأتي أجلك ؟! عجل بالتوبة قبل الفوت ،فباب التوبة مفتوح للتائبين يقول ﷺ : (إن باباً مفتوحاً للتوبة من جهة المغرب إلى جهة الشام

يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين سنة يقول عنه: إن الله خلق هذا الباب يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها).

فهنيئاً لمن أقبل على الله ، هنيئاً لمن قال يا الله وطرق باب مولاه ، لا تقل: طال الغياب وطال زمن المعصية فالصلحة بلمحة .

أقول هذا الكلام وأستشهد بالتابعي الجليل مالك بن دينار ، كان في مطلع شبابه شديد الفسق هو الذي قال : ما تركت ذنباً أستطيع فعله إلا فعلته حتى تجنّبني الناس) واشتهى أن يتزوج وينجب ومن يزوجه ؟ لا أحد ، فاشتري جارية وأعتقها وتزوجها وهو مازال على سكره ومجونه ، ثم أعقب طفلة سمّاها فاطمة أحبها حباً جماً كانت كلما كبرت كبر الخير في نفسه ، وكان إذا شرب الخمر تأتي ابنته الصغيرة وتبعد كأس الخمرة عن فمه ، فلما بلغت السادسة ماتت فحزن عليها حزناً شديداً وعاد الرجل إلى حالة أسوأ حتى كانت ليلة شرب فيها حتى الثمالة ، ونام فرأى في منامه نفسه في يوم القيامة وأهوالها وهو يسمع أصوات المحاسبين ويسمع صوت الملك وهو ينادي كل فينة : فلان بن فلان هلم للعرض على الجبار ، يقول : وكان البشر قد اختفوا وصرت في أرض المحشر وحدي ورأيت ثعباناً يجري نحوي ففررت منه وهو خلفي ، فرأيت رجلاً كبيراً هرمّاً فقلت له: أنقذني فقال :إني كما ترى ضعيف ، ولكن اركض في اتجاه الجبل فلعلّ لك ودیعة فيه، فركضت نحو الجبل فإذا على الجبل أطفال صغار فنادى الأطفال : يا فاطمة أدركي أباك ، فرأى ابنته تخرج من الجب وتدفع الثعبان فيختفي ، وهدأت نفسي .

وجلس الفتاة الصغيرة في حجر أبيها فسألها : ما هذا الثعبان يا بنتي ؟
قالت :ذاك عملك السيء كبرته حتى كاد أن يهلكك ، فقلت : والكهل
العجوز ؟ قالت : ذاك عملك الصالح ضعفته حتى لم يقو على إنقاذك ، وهنا
تمسك الابنة الصغيرة لحية أبيها وتقول : ياأبت ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن
تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾.

ويستيقظ مالك بن دينار من نومه وهو يقول:قد آن يارب ، قد آن يارب ،
وتاب مالك بن دينار وصار من كبار التابعين يضرب المثل بصلاحه
وتقواه، تاب فتاب الله عليه .

فيا أحباب رسول الله :أما آن لنا أن نرجع إلى الله ، أما آن أن تولي ذنوبنا
مع عشر التوبة والمغفرة ، فلا تدع يا أخي هذا العشر يمضي إلا وقد عدت إليه
، إلا وقد عدت إلى هنا، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة رمضان من مدرسة
سيدنا محمد يقول فيها الحبيب الأعظم (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين
التوابون) ﴿فتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾

فيا فوز التائبين .

عشر المغفرة

. ٤٥ .

الحمد لله الواحد فلا يجحد ، الأحد الذي في سرمديته توحد ، الفرد الذي في ربوبيته تفرّد ، الغفور الذي يغفر الذنوب لمن يتوب ولا يتردد ، الملك الذي أفنى الممالك والملوك وملكه سرمد ، العلي الذي إليه الكلم الطيب يصعد .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فهو أحق أن يشكر ويحمد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تفضل علينا بإرسال الرسل ليرشدوا الناس إلى الطريق الأحمد ، وجعلهم بين يدي من له الشفاعة ولواء الحمد في القيامة يعقد .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله ، جعله آخر الأنبياء ليبين للناس الطريق الأرشد.

فمن يطع الرسول ينال عزاً	ويحظى بالمسرة والأمان
شفيع المذنبين رسول حق	ومن قد خص بالسبع المثاني
عليه من المهيمن كل وقت	صلاة ماتثنى غصن بان

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

أقف اليوم بينكم لأتحدث عن صفة من صفات المؤمنين ، ودرجة من
درجات الصالحين، أتحدث عن قضية لو تقرب العبد بها إلى الله لم يبال كيف
أمسى وأصبح ، إنها التوبة النصوح التي لا تبقي على صاحبها أثراً من المعصية،
إذا ندم العبد بالقلب واستغفر باللسان وترك العمل بالمعاصي وأضمر أن لا
يعود إليها وبكى على تفريطه ووجل في قلبه منها بحيث عنه معاصيه في أم
الكتاب (عبد الله بن عمر) .

فالتوبة صفات المؤمنين قال عز من قائل ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور ٣١ .

والإنابة صفة الأولياء والمقربين قال الله تعالى ﴿ وَجَاء بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ ق ٣٣ .

والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين قال تعالى ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص ٣٠

ذلك أن التوبة توبتان توبة الإنابة وتوبة الإستجابة ، فتوبة الإنابة أن يتوب
العبد خوفاً من عقوبة الله ، وتوبة الإستجابة أن يتوب حياء من كرم الله تعالى .

إننا معشر السادة مع الحلقة الخامسة والأربعين من سلسلة الحلقات
الرمضانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا أيديكم
وتدعوا :

(اللهم اقبل صيامنا كما قبلت صيام نبينا)

إخوة الإيمان : هذا عشر المغفرة يكاد ينصرم عنا فأين التوابون؟ أين
الأوابون؟ أين الرجاعون إلى الله؟، ها هو مولانا يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة
فيقول ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنَّ
الله يغفر الذنوب جميعاً﴾. قال إبليس (١ ٧٦٧٢- أحمد ٣/٢٩) أي رب لا
أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال مولانا عز وجل
:(ولا أزال أغفر لهم فاستغفروني) .

وقد ضرب لنا سيدنا رسول الله مثلاً فاستمعوا له ، فقد قدم عليه سبي ،
فإذا امرأة من السبي تسعى وقد وجدت صبياً في السبي فأخذته وألصقته ببطنها
وأرضعته فقال الهادي ﷺ (أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا
والله ، فقال :الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها) (ق) .

إخوتي في الله :إذا كان الحق سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من أمه فكيف لا
يقبل العبد على طاعة مولاه ويقطع عن معصيته ويندم بين يديه .

قدم لنفسك خيراً مادمت مالك مالك
واعدد جواباً سريعاً إذا سمعت سؤالك
فكل ما قد فعلته تراه ثم ينالك

هل تنتظر أن يأتيك أجلك على ما أنت عليه مبارز لله بمعصيته؟! ألا فلتعلم أن الله تعالى أرحم ما يكون بعبده إذا نزل في لحده ، ووضع خشن التراب على لين خدّه ، أتدري ابن آدم إذا ما وضع المؤمن العاصي على المغتسل ثم جرد من ثيابه وأيس من أحبابه ، أتدري ما يفعل؟، إنه ينادي :واسوأته وافضيحته ،ولا يسمع نداءه غير مولاه ، فيجيبه الحنان المنان ويقول له :عبي أنا سترتك في الدنيا وأنا أسترك في الآخرة .

فإذا ما وضع في لحده وتركه أهله وأحبابه وذهبت عنه الدنيا وشعر بالوحشة ناداه الملك الديان : عبي تركوك ،وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا أموت .

يامن له الستر الجميل على الورى ويجود بالإفضال منه وبالقرى
أبديتني ورحمتني وسترتني وهديتني لطفاً فكنت مقصراً
فارحم بعفوك زلتي ياسيدي ومصون وجه في التراب معقراً

كان ببغداد رجل مسرف على نفسه وله أم صالحة ، وكان كلما عمل معصية كتبها في دفتر ،فبينما هو ذات ليلة إذا بالبواب يطرق فخرج فوجد امرأة جميلة فقال : ما حاجتك قالت أيتام عندي ما أكلوا طعاماً منذ ثلاثة أيام

فقال :ادخلي . فعرفت منه الفساد ،فقالت : معاذ الله . فجذبها كرهاً فنادت :
يا كاشف كلّ شدة اعصمني منه ، ثم قالت : اسمع ما أقول لك ثم أنشدت :

ألا أيها الناسي ليوم رحيله	أراك عن الموت المفرق لاهيا
ألم تعتبر بالظاعنين إلى البلا	وتركهم الدنيا جميعاً كما هيا
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة	وما عمروا من منزل ظلّ خاليا
وأنت غداً أو بعده في جوارهم	وحيداً فريداً في المقابر ثاويا

ثم إنها راحت تبكي وتقول : يارب أغثني وخلصني من هذا الرجل ، فلما
سمع كلامها أخذته رعدة ورعشة وراح يبكي على إثرها كالطفل الصغير ،
فقالت : بالله عليك إذا حصل لك الصلح بينك وبين مولاك فأعطني لأطعم
أولادي فأعطاهما وقال : أطعمي أولادك واسألهم لي الدعاء بمحو ما في الدفتر .
قالت : نعم . فلما صنعت الطعام لأولادها سألتهم الدعاء له فقالوا : والله لا
نأكل حتى ندعو له ، فإن الأجير لا يستحق الأجرة حتى يعمل ، ثم إن الرجل
دخل على أمه ونظر في الدفتر فوجده أبيض ليس فيه ذنب ، ففرحت أمه
بذلك ، فعرف الرجل أن الصلح قد جرى بينه وبين الله ، فقام وتوضأ وقال :
اللهم كما محوت عني المكتوب ألحقني بك (حتى لأعصيك) ثم سجد فحركته
أمه فإذا هو قدمات (نزهة المجالس ٢٨٥).

فيا أحباب رسول الله :

هذه صدقة قدمها هذا التائب بين يدي توبته بيضت صحائفه عند الله
تعالى ، وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

فيا أخي المسلم: لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى ، فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه ، اسمع ماذا يقول حبيبك رسول الله (جه) (لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتنم لتاب الله عليكم).

يا كبير الذنب :عفو الله من ذنبك أكبر ، أعظم الأشياء في جنب عفو الله يصغر ،لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين يديه لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه ، وقد قال لك ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾

وقوله ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾

لا تقنطن فإن الله منان
وعنده للورى عفو وغفران
إن كان عندك إهمال ومعصية
فعند ربك إفضال وإحسان

إخوتي في الله :ولأجل ذلك كله فقد دلنا حبيبنا وسيدنا وشفيعنا كيف نستغفر ونتوب فقال لنا (أبو يعلى) "من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات فقال:استغفر الله الذي لاإله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فرّ من الزحف "

وهذا دليل على مغفرة الكبائر بهذا الإستغفار لأن الفرار من الزحف كبيرة ، وفي رواية أخرى (د): "من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب " بل علمنا سيد الإستغفار، وهو أن يقول العبد : " اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا

عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" (خ) .

أتدرون . أيها الإخوة الآن بعد أن توجنا حياتنا بالتوبة النصوح ماذا فعل الله بذنوبنا اسمعوا ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ وإليكم هذا الحديث الشريف (ابن عساكر) : (إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالم الأرض التي عصى الله فيها حتى يلقي الله وليس عليه شاهد). و حبيبك وشفيعك رسول الله سأل مولانا عز وجل في ذنوب أمته فقال: "يارب اجعل حسابهم إلي لئلا يطلع على مساويهم أحد غيري فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : هم أمتك وأنا أرحم بهم منك فلا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا ينظر في مساويهم أحد غيري " .

ولهذا ورد : أن الله تعالى يدني إليه المؤمن العاصي يوم القيامة ويسدل عليه ويذكره بغدراته في الدنيا : أتذكر معصيتك يوم كذا وكذا ؟، أجل يارب ، أتذكر يوم كذا وكذا... ويذكره بغدراته وهو يعترف ولا يستطيع أن ينكر ، ثم يقول له مولانا عز وجل لقد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . فيسجد العبد لله شكراً .

قدم أعرابي إلى سيدنا رسول الله ليسأله سؤالاً ، اسمعوا إلى صيغة السؤال قال: من يلي حساب الخلق يوم القيامة ؟ فقال :الله تبارك وتعالى . قال الأعرابي :هو بنفسه . قال: نعم فتبسم الأعرابي فقال سيدنا رسول الله : مم

تضحك يا أعرابي؟. فقال: إن الكريم إذا قدر عفا ، وإذا حاسب سامح . فقال
رسول الله ﷺ صدق الأعرابي : ألا لا كريم أكرم من الله هو أكرم الأكرمين .
فيا أكرم الأكرمين جنناك تائبين فاغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت
التواب الرحيم.

ليلة القدر وفضل الدعاء

. ٤٦ .

الحمد لله الذي جعل الصيام جنة من النار، وفضل شهر رمضان بما خصه من الخصائص والآثار ، وخص هذه الأمة بليلة القدر، التي من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من الأوزار ، نحمده على هذه المنن العظيمة المقدار .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الغفار ، شهادة تبليغ قائلها نهاية الأوطار .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المصطفى . من خيار الأخيار ، وسبح بكفه الحجر ، نبي شق له القمر ، وجاءت لدعوته الأشجار

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه النجوم والأقمار، وسلم تسليمًا.

أما بعد :فيا معشر الإخوة الكرام :

وقفت فيكم اليوم لأدعوكم جميعاً إلى مائدة الملك الجليل ، مائدة تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة وتنزل عليها السكينة ، ويذكر أهلها الجبار ﷺ (م ٢٧٠٠- ت ٣٣٧٨)مائدة دعانا إليها الحبيب الأعظم في أحاديثه الشريفة ،

تلكم هي مائدة ليلة القدر التي يحتفل بها أهل السموات والأرض ، فقال ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ تنزل ملائكة الله على كل قائم وراكم وساجد وذاكر وداع ، لأن الملائكة تحب الذاكرين والعابدين ولأن الذكر أفضل العبادة كما ورد في الحديث عنه ﷺ (٣٣٧٦) وقد سئل: أي العبادة أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ فقال :الذاكرون الله كثيراً . قلت : يا رسول ومن الفار في سبيل الله ؟ قال :لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون لله كثيراً أفضل منه " .

ولهذا اسمعوا ماذا يقول ﷺ (ت ٣٣٧٧- جه ٣٧٩٠) (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم في إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى قال :ذكر الله تعالى) (حا) .

إننا معشر الإخوة مع الحلقة السادسة والأربعين من سلسلة الحلقات الرمضانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا أكفكم إلى الله تعالى أن يتقبل منا صيامنا، اللهم اقبل صيامنا كما قبلت صيام نبينا .

إخوة الإيمان : نحن أمام ليلة عظيمة ما بعدها ليلة ، ليلة قال عنها رب العزة : ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ ، ليلة قال عنها ﴿يفرق كل أمر حكيم﴾ تقدر فيها الأشياء وتثبت في الصحف وتسلم للملائكة في ليلة القدر.

كان حبيبنا رسول الله يستعدُّ لها منذ العشر الأواخر ، فهذا هي أم المؤمنين السيدة عائشة تقول: (خ) "كان رسول الله إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شدَّ مئزره وأيقظ أهله وأحيا ليله" ليلة الدعاء المستجاب ، ليلة العطايا الإلهية ، قال عنها السيد الأعظم: "إن لله تعالى عتقاء في كلِّ يوم و ليلة لكلِّ عبد منهم دعوة مستجابة" (حم)

إخوتي في الله : ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء ، حتى قال لنا رسول الله ﷺ (ت) " إنه من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه " وقال : "أعجز الناس من عَجَزَ عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام " (طس . هب) ويروي لنا أبو نعيم بسنده عن عكرمة (حلية الأولياء ٣/ ٣٤٠) مولى ابن عباس قال : إن الله تعالى أخرج رجلاً من الجنة ورجلاً من النار ، فوقفهما بين يديه ثم قال لصاحب الجنة :عبدني كيف رأيت مقيلك في الجنة؟ فيقول :خير م قيل قاله القائلون فذكر من أزواجها وما فيها من النعيم . ثم قال لصاحب النار: عبدني كيف رأيت مقيلك في النار فقال شر م قيل قاله القائلون ، وذكر عقابها وحياتها وما فيها من ألوان العذاب . فقال له ربه عز وجل :عبدني ماذا تعطيني إن أعفيتك من النار؟ فقال العبد : إلهي وما عندي ما أعطيك فقال له الرب : لو كان لك جبل من ذهب أكنت تعطيني فأعفيك من النار؟ فقال: نعم . فقال له الرب: كذبت لقد سألتك في الدنيا أيسر من جبل من ذهب، سألتك أن تدعوني فأستجيب لك وأن تستغفري فأغفر لك، وتسألني فأعطيك فكنت تتولى ذاهبا " .

أخي المسلم : الداعي والذاكر في المكانة العليا بين العباد حتى قال حبيب الله سيدنا محمد ﷺ (حم) (ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله) لذلك كان رسول الله يذكر الله تعالى على كل أحيانه (م . ت . د . هـ) لكنه كان يحضنا على الدعاء في أوقات مخصوصة هي أرجى لإجابة الدعاء ، والله يا أخوة النبي حريص علينا أن يستجيب الله لنا الدعاء ، تعالوا بنا نلتقي التوجيهات النبوية من صاحب الطلعة البهية والرائحة الطيبة الزكية وسيد البشرية سيدنا محمد ﷺ.

ها هو يوجه صحابته الكرام عن أرجى أوقات الإجابة :يقول : "إذا نودي بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء" (الطيالسي . ع) ويقول (الشافعي . هـ)

"اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث"

ويقول : إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة" (حم . م)

ونحن اليوم بل الآن في وقت استجابة الدعاء ، هذه الساعة من صعود الخطيب على المنبر وحتى انتهاء الصلاة وقت استجابة الدعاء ، فقولوا : يا الله اقبل صومنا ... يقول ﷺ (إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً). وأنت

يا أخي أيضاً متلبس بعبادة الصيام ودعوتك أيضاً مستجابة يقول ﷺ (ثلاث دعوات مستجابات دعوة الصائم ودعوة المظلوم ودعوة المسافر).

نحن اليوم في أحسن حالاتنا ليستجيب الله دعانا، والحبيب الأعظم لا يدلنا فقط عن أوقات الإجابة بل يعلمنا كيف ندعو، كان الصحابة الكرام يقولون:

. (كان إذا دعا جعل باطن كفه إلى وجهه) (طب)

- وعلمهم فقال لهم : (المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك ، والإستغفار أن تشير بأصبع واحدة والإبتهاال تمدّ يديك جميعا) (د).

. قال لهم (إذا سألتم الله تعالى فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها) (د).

. (وامسحوا بها وجوهكم) (هـ طب . ن).

. ويقول : (كل دعاء محبوب حتى يصلي على النبي ﷺ) (فر . هب).

- وكان يحب أن يدعو أو يذكر الله تعالى على طهر (إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر) د . ن حب .

- يعلمنا فيقول : (إذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي إن شئت، وليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يعظم عليه شيء أعطاه) (حذ . م).

فإذا ما أردنا أن يستجيب الله منا دعاءنا في ليلة القدر فعلينا أن نتهيأ لهذه الليلة الكريمة وأن نأخذ الأسباب الداعية للإجابة، عليك في هذا اليوم أن تعترف بذنبك وتقصيرك وتنادي ربك بالتوحيد تناديه فتقول: (لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي) هذه الكلمة أحد أسباب المغفرة ويحيها مولانا عز وجل، ولذلك جعله رسول الله في سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ... (من قالها من النهار مؤمناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة) (حم . خ . د) بل جعله في دعاء المكروب: (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت (حم . خذ . د).

بل اسمعوا إلى كلمات سَمَّاها رسول الله كلمات الفرج كان ﷺ يدعو بها عند الكرب وأنتم أدعوا معه ويقول: (لا إله إلا الله العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم) (ابن أبي الدنيا) (حم . ق . ت).

. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (ك) .

هذا أوان الالتجاء ، هذا وقت العبادة هذه ليلة المغفرة ، كان الصحابة الكرام والسلف الصالح لا يدعون القيام فيها ولا الدعاء حتى حديثنا الكتب (الحلية ٣/٢٠٧) أن سيدنا علياً بن عبد الله بن العباس كان يسجد كل يوم ألف سجدة ، (ألف سجدة) كان يصلي خمسمئة ركعة .

وكان سيد من سادات الأمة يدعى منصور بن زازان يقوم الليل في مسجد واسط فيختم القرآن مرتين ، وكان عليه عمامة كورها اثني عشر ذراعاً إذا صلى وقرأ القرآن بلَّها بدموعه حتى يضعها أمامه ، يقوم وقد سدل عمامته على عاتقه يصلي ويكي ويمسح بعمامته دموعه فلا يزال حتى يبلها كلها بدموعه ثم يلفها ويضعها بين يديه.

وكان سليمان التيمي (حلية ٣/٢٩) يجزئ قيام الليل بين أولاده وأهله. بل إن سيدنا

صفوان بن سليم الزهري (الحلية ٣/١٥٩) حلف أن لا يضع جنبه إلى الأرض حتى يلقي الله عز وجل ، فلما حضره الموت وهو منتصب قالت له ابنته: ياأبت أنت في هذه الحالة (تموت لوألقيت نفسك على الأرض) قال : يا بنية إذاً ما وفيت له بالقول

ودخلوا عليه وهو يحتضر وهو قائم فما زالوا به وهو في مصلاه حتى ردوه على فراشه فما وضعوه على فراشه حتى مات لساعته .

هكذا كان القوم الذين نصرهم الله على عدوهم هؤلاء الذين حملوا الراية وأصلوها إلينا فكيف ستحملون الراية ليلة القدر يوم الثلاثاء القادم هنا معنا، سنكون على مائدة الرحمن على أرض العبودية لليلة واحدة تكون عزاً لك إلى الأبد ، فإلى كرم الله وعفوه ، إلى ليلة المغفرة ، ليلة اللقاء مع الله ، ليلة الفتح المبين ، ليلة الصلح مع الله ، فيا فوز من شهدها وأحيها معنا هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة رمضان من مدرسة سيدنا مُحَمَّد الجالس فيها عليه أن يصلي على النبي ﷺ.

ليلة القدر

. ٤٧ .

الحمد لله الذي شرف شهر رمضان على جميع الشهور ، وخص لياليه بالفضل المشهور وتوفير الأجور شهرها ، وميّزها بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وجعلها واسطة عقد الدهر ، فطوبى لمن عظمها ووقرها ويالها من ليلة ما أبركها وأنورها وما أكثر خيراتها وأغزرها ، تفتح فيها أبواب السموات وتنزل الملائكة بالبشارات لمن أحياها ، فسبحان من اطلع في هذه الليلة على الذنوب فغفرها ، وعلى العيوب فسترها ، وعلى حوائج السائلين فقضاها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لمن عنده ادّخرها.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أيد الله به الشريعة ونصرها ، وهدى الأمة إلى طريق الصواب وبصرها .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمداً ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته التي برأها الله تعالى من الرجس وطهرها ، وسلم تسليمًا .

معشر الإخوة الكرام :

هذا شهر رمضان قد عزم على الإنصراف والإنصرام ، قد أزف رحيله وآن تحويله ، ولم يبق إلا كضيف طارق أو حبيب عما قليل مفارق ، وهو شاهد عليكم أولكم بما أودعتموه من الأعمال عند الملك العلام ، وقد كان نعم الضيف ، فهل أضعتم حقه أوقمتكم بما يجب له من الإكرام ، فلعلَّ المسوّف فيه بالتوبة لا يدركه بعد هذا العام ، ولعلَّ المغترّ بالإهمال لا تمهله المنون إلى استكمال التمام فيندم حيث لا ينفعه الندم ، ويتأسف على التفريط إذا زالت به في القيامة القدم :

فاستدركوا فائت ما قد مضى
فإنما الدنيا كمثل المنام
وحصلوا التوبة في شهركم
فقد دنا ترحال شهر الصيام

فالسعيد من بادر هذه البقية بالاغتنام ، والشقي من قضاها بغفلة والعياذ بالله .

إخوة الإيمان : إن تكريم الله تعالى لهذه الأمة لا يعد ولا يحصى ، ومن تلك المكرمات انتسابها إلى سيدنا مُحَمَّد ﷺ ، هذا النبي الكريم الذي أعطاه الله تعالى من المكارم والفضائل والمعجزات ما لم يعطه أحداً من الخلائق ومن جملة ما أعطاه مولانا عز وجل خمسَ ليالٍ **الليلة الأولى** : ليلة المعجزة والقدرة وهي الليلة التي انشق فيها القمر بإشارة من أصبع الحبيب الأعظم ، فهو من أعظم المعجزات الكونية .

الليلة الثانية: ليلة الإجابة والدعوة : تلك الليلة التي أجاب الجن دعوة نبينا إلى الإسلام حين حضروا استماع القرآن الكريم من فمه ﷺ .

الليلة الثالثة: ليلة الحكم والقضية ، الليلة التي قال فيها مولانا ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ .

الليلة الرابعة: ليلة الدنو والقربة والمكانة ، تلك الليلة التي دنا فيها رسول الله فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، ليلة المعراج ، ليلة التقاء الحبيب بحبيبه .

أما الليلة الخامسة: فهي ليلة القدر التي قال عنها مولانا ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر﴾؟ والله تعالى إذا سأل فهو العليم الخبير بما يسأل ، ولذلك فإنك إذا سمعت مولانا عز وجل يسأل فاعلم أنه لا يستفهم عن شيء إنما المقصود بسؤال الله تعالى ضرب عظيم من ضروب البلاغة بلاغة القرآن :

إذا سمعت الله تعالى يقول لحبيبه ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ فهو لا يريد أن يستفهم، فهو يعلم أن الحديث سيأتي إنما يريد أن يبعث الشوق إلى قلب النبي ليستمع إلى حديث موسى ، وإذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ فالله لا يستفهم من عباده ، لأن الاستفهام هو طلب الفهم ، والله هو الذي يُفهم ولا يُفهم ، وإنما يريد أن يدعوهم ملبين لندائه .

وإذا قال : هل أتى على الإنسان حين من الدهر فهو يريد أن يقرر حقيقة وهي أن قد أتى على الإنسان حين من الدهر ، وإذا قال لحبيبه ﴿ألم نشرح

لك صدرك ﴿فهو لا يريد أن يستفهم من حبيبه إنما يريد أن يقول له : (قد شرحنا لك صدرك) ! .

وإذا قال : ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه﴾ فإن السؤال هنا للتوبيخ والإنكار ، أي ما كان لكم أن تخشوا غير الله .

وإذا قال لحبيبه ومصطفاه : ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ فإنه لا يستفهم إنما يريد أن يكسو هذه الليلة بتياب الفخار والعظمة ، ولذلك قال بعدها :
﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي خير من عبادة وصيام ثلاث وثمانين سنة وثلاث . فلماذا سميت بليلة القدر ؟ سميت بذلك لخمسة وجوه كما قال العلماء :

أولاً : القدر هو العظمة ، وهي ليلة عظيمة .

الثاني : أنها الضيق فهي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون من السماء

الثالث : أن القدر هو الحكم فإن الأشياء تقدر فيها .

الرابع : أن من لم يكن له قدر يصير بإحيائها ذا قدر .

الخامس : أن نزل فيها كتاب ذو قدر تحمله ملائكة ذات قدر ، على نبي ذي قدر ، لأمة ذات قدر إن ليلة هذه شأنها جدية بإحيائها والاعتكاف لأجلها .

فهذه ليلة لا ينام طالبها ،هذه ليلة الأولياء والأصفياء ، فطوبى لمن لاحت
راية السعادة فجده ،وعلم بُعْد السفر فأعد .

ليلة قال في شأنها الحبيب الأعظم (ق) : (من قام ليلة القدر إيماناً
واحترساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) إنها ليلة العتق من النار ، لا يعرف قدر
إحيائها إلا الله تعالى ، اسمع إلى حبيبك سيدنا مُحَمَّد يقول (حب) : (صلاة في
مسجدي تعدل بعشر آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمئة
ألف صلاة ، والصلاة بأرض الرباط (الجهاد)تعدل بألفي ألف صلاة
(مليون) وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا
يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل) .

إنها ليلة كان الحبيب الأعظم يحببها بأنواع العبادات ويوقظ أهله ، قال عنها
سيدنا رسول الله : "الله في رمضان ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها
فقد حرم " (ن . هـ) وقال في اعتكافها : (من اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله
تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين) وقال الله
تعالى فيها ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ ينزل سيدنا
جبريل ومعه جماعات من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، يتفرون فيها
في الأرض فلا يبقى بيت ولا حجرة ولا مسجد فيها مؤمن إلا دخلته الملائكة
إلا بيت فيه كلب أو خنزير أو صورة ، فتسلم الملائكة على كل قائم وقاعد
ويشعر بهذا العبد في نفسه وقلبه ، فإذا طلع الفجر ينادي جبريل : معاشر
الملائكة : الرحيل الرحيل ، فيقولون : يا جبريل فما صنع الله تعالى في حوائج

المؤمنين من أمة أحمد؟ فيقول: (نظر الله إليهم في هذه الليلة فغفا عنهم إلا أربعة).

قال الراوي يا سادة يا كرام قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: (رجل مدمن خمر وعاق لوالديه ، وقاطع رحم ، ومشاحن (أي معادٍ العداوة) .

أيها السادة : ها هي الليلة الكبرى تُطلّ عليكم بنورها وخيرها .

فانهض وداو سقامك	هذه ليالي المغفرة
لو كنت تعرف قدرك	وأنت من أهل الوفا
مانمت ليلة قدرك	وفاتك الإنعام

نحن على موعد معكم في مساء يوم الأحد القادم منذ صلاة العشاء وحتى طلوع الفجر وقد بعثت باسمكم بطاقة دعوة إلى سيدنا مُحَمَّد ﷺ ليحضر معنا تلك الليلة فلا تخيبوا ظن نبيكم بكم . فمن أراد المغفرة فليقل يا الله ، من أراد الشفاء فليقل يا الله ، من أراد عتق رقبة من النار فليقل يا الله ، فيا مولانا ، يا إلهنا وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء بجناحك ، ووقفت سفينة المساكين على بحر كرمك ، يرجون الجواز إلى ساحة رحمتك ومغفرتك ، إلهي إن كنت لا ترحم في هذا الشهر الشريف إلا من أخلص لك في صيامه وقيامه فمن للمذب المقصّر؟ ، إلهي إن كنت لا ترحم إلا المطيعين فمن للعاصين؟ ، نحن عبيدك فارحمنا نحن عبيدك فاعف عنا .

صلاة التراويح

. ٤٧ .

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا
وفضل بعض الأزمنة على بعض أياماً وشهوراً وجعل فيها مواقيت الفرائض
والسنن وأعد للعاملين أجراً كبيراً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نزل الكتاب على عبده ليكون
للعاملين نذيراً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة وسراجاً منيراً .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وعترته وزوجاته الذين أذهب
عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

أقف اليوم بينكم لأردّ على الذين يشبطون الهمم في صلاة التراويح ، أقف
اليوم بينكم لأستشير همم العابدين المتقين الذين يرجون رحمة الله ، إذ أننا نعيش
أياماً لا تعدّها أيام في عمر الإنسان ، صلاة السنة فيها كالفريضة فيما سواه ،
والفريضة فيه كسبعين فريضة فيما سواه ، فلماذا نقول للناس لا تصلوا إلا ثمان
ركعات ؟ لماذا ندعي أن رسول الله ﷺ صلى التراويح ثمان ، لماذا نكذب على

رسول الله ونَحَرَفَ في الأحاديث ، فنذكر حديث السيدة عائشة : (ما زاد رسول الله في رمضان ولا في غير رمضان عن إحدى عشرة ركعة) لماذا نَحَرَفَ هذا الحديث الذي هو في صلاة الوتر ، نَحَرَفَه فنَجْعَلُه في صلاة التراويح ؟ ما هو الهدف من هذا الافتراء على الشريعة ؟ ، هل الإسلام في رمضان يدعونا إلى التقاعس أم إلى شد الهمم ؟ ، هل رمضان يدعونا لقيام الليل وزيادة الأعمال الصالحة أم ترك ذلك ؟

أليس قد دعانا رسول الله إلى التمسك بسنة الخلفاء الراشدين ، ألم يقل لنا : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ " أليس هذا الأمر صريحاً من صاحب الرسالة العصماء ، فلما نضل سيدنا عمر الذي أمرنا بالعشرين ، لماذا نقول أخطأ عمر ونُدعي أنها ثمان ، أخطأ عمر ! كلمة لا يطاوعني لساني أن أقولها ، وكيف أقولها وقد شهد له الصادق المصدوق : (إن الله قد جعل الحق على لسانه وقلبه) (أحمد). سيدنا عمر الذي ما سلك فجاً إلا وسلكت الشيطان فجاً غيره (ق). سيدنا عمر الملهم الذي قال فيه سيد الكائنات "إن يكن في أمتي محدثون (ملهمون) فعمر (خ أحمد) سيدنا عمر الذي قال فيه صاحب الرسالة : " لو كان بعدي نبي لكان عمر "

هذا الأفاك الذي يقول عن سيدنا عمر إنه أخطأ فإننا نقول له : إن سيدنا عمر نزل القرآن موافقاً لرأيه في عشرين موضعاً ، والله في علاه أئيد سيدنا عمر في عشرين موضعاً ، وزير سيدنا النبي يخطئ ، لا والله بل هم المخطئون ، هم

الذين يشوهون الدين بقولهم أخطأ الأئمة الأربعة ، ولما سكت الناس عنهم ولم يجابوهم ولم يحتقروهم وسكتوا عنهم استناداً إلى القاعدة :

ولو أن كل كلب عوى ألقتته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدینار

لما سكتنا عنهم صاروا يتجرؤون على سيدنا عمر وسيدنا علي ويقولون عنهما إهما أخطأ وسيأتي يوم ، وقد جاء هذا اليوم فيقولون أخطأ النبي ، هكذا يقولون اليوم أخطأ النبي وتناسوا أن المعصوم لا يخطئ ، المجتهد المعصوم لا يخطئ أيها الأفاكون "يريدون هدم الدين من أساسه ، أعداؤنا يريدون منا أن نكذب الأئمة الذين نقلوا لنا هذا الدين عن الرعيل الأول ، وإذا كانوا كذابين كانت الشريعة كلها افتراءً وكذباً ، فكيف إذا كذبتنا سيدنا عمر وقتلنا عن النبي إنه أخطأ .

أيها السادة الكرام : هذا موسم ماتقرب العبد في حياته بمثل قيام الليل حيث لا يراه أحد إلا الله ، إن الله لما مدح أوليائه وعباده ماذا قال، اسمعوا البيان الإلهي)الفرقان ٦٣-٦٤ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا . وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

هذا هو حالهم مع الله الصلاة في الليل ، في جنح الليل إذا أرخى الليل سدوله وأوى الناس إلى فرشهم وهجعوا هناك يلتقي الحبيب بحبيبه بين سجود وقيام لأنها أقرب حالة إلى الله تعالى ﴿أقرب ما يكون العبد من ربه وهو

ساجد ﴿ (م . د) يضعون جبهتهم على الأرض تذلاً لله ، الجباه التي علت وارتفعت لاتتحني لمخلوق إنما تنحني لله خاشعة طامعة في رحمته ، ولهذا وصفهم مولانا على موجات سورة الزمر (٩) فقال : ﴿ آمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ . يروي لنا الإمام أحمد من مدرسته عن ابن مسعود عن سيدنا النبي ﷺ أنه قال (حسن) : (عجب ربنا تعالى من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبّه إلى صلاته فيقول الله عز وجل : انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين أهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي. (هذا الرجل الأول ، والثاني) و رجل غزا في سبيل الله وانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الإنحزام وماله في الرجوع فرجع حتى يهريق دمه فيقول الله ، انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي) .

فيا أخي المسلم : ألا تحب أن يباهي الله بك ملائكته ، إن الناس لا يصلون إلا التراويح من الليل ثم نأتي إليهم ونقول لهم : لا تصلوا إلا ثمانين ركعات ، وهكذا تكون العبودية ، وهكذا تكون التقوى ، إن الله يصف قائم الليل بأنه من المتقين وكفى بها منقبة وشرفاً وفخراً هو الذي يقول ﴿ في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم . إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ .

الله أكبر :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

أيها المسلم لا تسمع للخراصين .

أيها المسلم ﴿كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ .

كيف يمنعون الناس من الصلاة ، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ .

هذه الليالي الفضيلة تكاد تودعنا ، هذه الفرصة الربانية لا يعد لها فرصة .

فكيف كان سيدنا رسول الله يقضي ليله ، اسمحوا لي معشر الإخوة .
للإجابة عن هذا السؤال أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك ، إلى عصر النبوة ، إلى سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا ومولانا مُحَمَّد ﷺ وشرط الزيارة لحبيبك النبي أن تدخل إلى مدرسة أم المؤمنين السيدة عائشة ؓ وعن أبيها لنستشف الجواب عن سؤالنا ، اسمعوا منها جواب السؤال وهي تقول : كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه (تتشقق) . وفي بعض الرويات (حتى تتورم قدماه) . فقالت له : لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال : أفلا أكون عبداً شكوراً (ق) .

سيدي أبا القاسم يارسول الله

البدر دونك في حسن وفي شرف
أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له
والبحر دونك في خير وفي كرم
وأنت (ياسيدي) أحيت أجيالاً من العدم

يا أمنا الحبيبة زينا يا أم المؤمنين عن أحوال نبينا، ها هي تقول : لما كان ليلة من الليالي قال لي : يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي .قلت : والله أني أحب قريبك وأحب ما يسرك . قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي . قالت : فلم يزل يبكي حتى بلّ لحيته قالت : ثم بكى حتى بلّ الأرض فجاء بلال يؤذن بصلاة الفجر فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال رسول الله : **أفلا أكون عبداً شكورا .**

وأنا أسأل الذي ينهون عن صلاة العشرين أيكون شكر الله بثمان أم بعشرين أم بمئة ركعة . اتقوا الله . فالناس تشتهمها في رمضان ، في غير رمضان سنّ لنا رسول الله عشر ركعات مؤكّدات كل يوم وليلة ، وأما في رمضان فتشتدّ الهمم وتعلو ولهذا ضوعف فيها العدد إلى العشرين لأنه شهر العبادة ، شهر قيام الليل ، شهر الصلاة في ليله أفضل الصلاة بعد المكتوبة (م).

يا حسرة على من فرط في جنب الله .

يا حسرة على من أضاع عمره في لاشيء .

باع أحد فقهاء السلف (وهو الحسن بن صالح) باع جارية كانت عنده لقوم ، فلما كان الثلث الأخير من الليل قامت تنادي فيهم الصلاة الصلاة ، فقالوا لها : أأصبحنا؟ أطلع الفجر؟ قالت لهم وما تصلون إلا الفجر ، قالوا

بل ما نصلي إلا المكتوبة . فرجعت إلى سيدها الأول وقالت له : بعثني لقوم ليس لهم حظ من الليل ، بالله عليك إلا رددتني ، هكذا كانوا أحراراً وعبيداً ، رجالاً ونساءً ، فلماذا لا تقوم الليل؟ ما رأيكم أن يجيبنا عن هذا السؤال سيدنا رسول الله ؟

ذكر لسيدنا يارسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح فقال : (ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه) . وما أكثر الذين جعلوا آذانهم مباحول للشيطان إن شياطين الإنسن والجن يريدون حرماننا من الصلاة بكثرة المعاصي في النهار ، يقول الإمام سفيان الثوري : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل : وما ذاك الذنب؟ . قال : رأيت رجلاً يكي فقلت في نفسي هذا مرأء يرأني الناس)

المعاصي تقيد الإنسان عن قيام الليل ، فيأياك أن تقيدك ذنوبك ، إياك أن يقوم الشيطان يتقييدك و سحرك فلا تقوم إلى الصلاة ، اسمعو إلى كيفية سحر إبليس .

إخوة الإيمان : تذكروا أننا ما زلنا عند الحبيب الأعظم ليشرح لنا كيف يريد الشيطان منا ترك الصلاة يقول : (يعقد الشيطان على قافية أحدكم) مؤخرة الرأس (إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإذا استيقظ فذكر الله أنحلت عقدة ، وإذا توضأ انحلت عقدة فإذا صلى انحلت عقدة كلها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث

النفس كسلان) هذه رواية البخاري ، زاد عليها ابن خزيمة في روايته : فحلوا عقد الشيطان ولو بركتين .

وهكذا معشر السادة : قضيت مع حضراتكم في المدرسة الرمضانية الثالثة عن شرف المؤمن ، عن قيامه بين يدي ربه عز وجل ، كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها . قيل : لمن هي يارسول الله ؟ قال : (لن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائماً والناس نيام) .

هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يصلي على سيدنا النبي .



ليلة القدر

. ٤٨ .

الحمد لله الذي فضل مواسم الطاعات على سائر الأوقات وللخيرات والبركات يسرها، وشرف شهر رمضان على جميع الشهور ، وخص لياليه بالفضل المشهور ، وبتوفير الأجور شهرها ، وميزها بليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر وجعلها واسطة عقد الدهر ، فطوبى لمن عظمها ووقرها ، فيا لها من ليلة ما أبركها وأنورها وما أكثر خيراتها وأغزرها ، تفتح فيها أبواب السموات وتنزل الملائكة بالبشارات لمن أحياها، ومنع جفونه من المنام وأسهرها ، ويفوز من تلذذ فيها بالمناجاة وتلى وسجدت له جميع المخلوقات وقد أذهلها في أنواره وحيرها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تكرم علينا بليلة القدر التي مارفعت إليه فيها قضية محتاج إلا نظرها ، ولا وصلت إليه دعوة مظلوم إلا أنجزها ونصرها ، ولا صعدت إليه أنفاس كربة إلا أزال كربها وضرها ، ولا انتهت إليه شكاية ملهوف إلا أزال عنها الحرج وأتاها بالفرج وبشرها ، فسبحان من اطلع في هذه الليلة الشريفة على الذنوب فغفرها وعلى العيوب فسترها ، وعلى القلوب فسكنها وعمرها ، وعلى حوائج السائلين فقضاها بفضله ويسرها .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أيد الله له الشريعة ونصرها وهدى الأمة إلى طريق الصواب وبصرها .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته التي برأها الله تعالى من الرجس وطهرها ، وسلم تسليماً .

أما بعد :فيا معشر السادة الكرام :

بعد أن استقبلت مع حضراتكم ضيفنا رمضان بالتهليل والترحاب فنحن في هذه الجمعة القادمة سنستقبل ليلة من ليالي العمر ، ليلة تفوق ليالي الدهر لأنها خير من ألف شهر :

كل الشهور وسائر الأعوام	هي ليلة التي شرفت على
عنه الذنوب وسائر الآثام	من قامها يحو إليه بفضلها
وقضى القضاء وسائر الأحكام	فيها تجلى الحق ﷻ
ويجود بالغفران للصوام	فالله يرزقنا القبول بفضلها
ويميتنا حقاً على الإسلام	ويديقنا فيها حلاوة عفوه

هذه الليلة القادمة علينا تضيق فيها الأرض بالملائكة الذين ينزلون من السماء ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ فمنذ أن أنزلت القرآن إلى بيت العزة في السماء الدنيا بقيت هذه الملائكة في كل رمضان تنزل في تلك الساعات الإلهية التي لا تعد من ساعات العمر من كثرة ماتغمرها الرحمات والبركات ، لذلك هي ليلة عظيمة لا يحرم بركتها إلا محروم لأن قيام هذه الليلة يعدل عبادة ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر ، وقد ورد في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه) .

إنها عطية الجبار ﷻ لأعظم أمة في الوجود كرمى عين سيدنا محمد رسول الله ﷺ وقد ذكر عنده رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر في سبيل الله فتعجب أصحاب سيدنا رسول الله من ذلك عجباً شديداً وتمنوا أن يكون لهم مثل ذلك ، فدعا رسول الله مولانا عز وجل وقال : **رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً** . فأعطاه الله ليلة القدر وجعل العمل فيها خيراً من العمل بألف شهر .

وقد حدد زمنها رسول الله فطلب من الصحابة أن يتحروها في العشر الأواخر من رمضان (ق) فمن قامها فقد وجدها ، وليس المراد رؤية شيء من خوارق العادة فيها ، ولذلك تقول السيدة عائشة: **كان رسول الله إذا دخل العشر الأواخر أحيى الليل وأيقظ أهله وشد المنزر** ، كناية عن الاجتهاد في العبادة تلك الليالي لأجل ليلة القدر ، وهي ليلة طلقة لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها ، وتصبح الشمس لا شعاع لها لكثرة نور الملائكة الصاعدة إلى السماء ، يقول مولانا **﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾** أي ينزل سيدنا جبريل إلى الأرض قائداً الملائكة النورانية والله أعلم بعددهم يتفرقون في الأقطار فيدخلون على كل مؤمن ومؤمنة يجدونه في صلاة أو ذكر ويسلمون عليهم ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم ويجد المؤمن ثمرة ذلك بركة في قلبه وانشراح صدره **﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾** سلام من الملائكة على المؤمنين ، سلام وسلامة وبركة للمؤمنين .

أيها الأحبة والصحب : هذه الليلة ليلة لا ينام فيها حبيب ولا خليل لله ، كان الصالحون يطوون فراشهم قائمين متعبدين باكين خوفاً من جلال الله

مجتهدين بالذكر وأنواع العبادات هذا الربيع بن خثيم تدخل عليه أمه فتراه شديد البكاء فتقول له : يا بني لعلك قتلت قتيلاً فأنت خائف من ذنوبك ؟! فقال لها : نعم يا أماه . قالت : فقل لنا من هو لعلنا نطلب من أهله أن يسامحوك ، فوالله لو رأوا ماتصنع بنفسك لرحموك . قال : . يا أماه إنما هي نفسي قتلتها بتقصيري في حقوق الله تعالى .

إن هذا وأمثاله من الصحابة الكرام هم الذين مدحهم مولانا في كتابه فقال على موجات سورة السجدة ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون ﴾

يذكر أن السيدة رابعة العدوية كانت تصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة وتقول : والله ما أريد بها ثواباً ، ولكن ليسر ذلك رسول الله ويقول للأنبياء : انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم واللييلة .

هذا عمل المحبين لله تعالى وقد أوحى الله تعالى إلى سيدنا داود : يا داود كذب من ادعى محبتي فإذا جنّه الليل نام عني ، أليس لكل محب الخلوة بحبيبه ، ألسنا نحب الله أيها الإخوة ؟ أعلنوا عن محبتكم هذه بإحياء ليلة القدر ، هناك في تلك اللييلة نجتمع لنسأل الله تعالى الفرج القريب ، يقول ﷺ (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه) .

وليست هذه المكافأة فحسب ، بل المكافآت التشجيعية على إحياء هذه اللييلة لا تعد ولا تحصى يقول ﷺ لأصحابه : (من اعتكف عشراً من رمضان

كان كحجتين وعمرتين)، إن هذه القضايا وأمثالها جعلت أهل الله لا ينامون في ساعات التجلي الإلهي يتلذذون بمناجاة ذي الجلال والإكرام ، لا شك أنكم تسمعون بسيدنا أويس القرني سيد التابعين كان في عصر النبوة ومنعه القدوم على سيدنا رسول الله أنه كان يخدم أمه في اليمن ، لكن نبينا ﷺ قال للصحابة الكرام : يقدم عليكم أويس القرني في وفد من اليمن فإذا لقيتموه فاطلبوا منه الدعاء . كان دعاؤه مستجاباً :أتدرون لماذا ؟ اسمعوا لماذا ؟ لأن سيدنا أويساً كان قواماً لليل عابداً زاهداً ، كان إذا أمسى يقول : هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح ، فإذا أمسى من الليلة التالية يقول : هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح كان لا ينام وكان يقول : ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفترون .

إنني وأنا أتكلم هذا الكلام لأشعر بتقصيري أمام هؤلاء الأبطال ، ولعلنا نستدرك هذا التقصير ولو في ليلة واحدة من العمر ، ليلة يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ : (من اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين) إنها ليلة لا يشك مؤمن ببركتها، لذلك كان الصالحون من السلف الصالح يحيونها قياماً حتى كأنهم جذوع أشجار ثابتة ، كانوا إذا جاء الليل قاموا إلى المحراب فكأنه خشبة منصوبة حتى يصبح ، من هؤلاء العابد الزاهد منصور بن المعتمر سألوا أمه عن عمله فقالت: كان ثلث الليل يقرأ ، وثلثه يبكي ، وثلثه يدعو ، وكان يصلي على سطحه، فلما مات قال غلام لأمه : . يأمأه الجذع الذي كان على سطح دار جارنا لست أراه ، قالت يابني ليس ذلك جذعاً، ذاك جارنا منصور قد مات.

ياترى أهؤلاء رجال ونحن رجال ، ياليتنا إذ قصرنا نحن في أعمال الأبرار سلمنا من الذنوب والأوزار. قال رجل لبعض الصالحين : إني عاجز عن قيام الليل فقال : يا أخي لا تعص الله بالنهار. فلا يُحرّم أحد قيام هذه الليلة إلا بذنب ويقول حبيبنا رسول الله : (إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم) أتدرون أيها الإخوة من هو المحروم ؟

إن الذي يحرم خيرها أربعة ، ذكرهم سيدنا رسول الله فيما رواه ابن حبان والبيهقي قال : (إذا كانت ليلة القدر يأمر الله عز وجل جبريل عليه السلام فيهبط في كبكبة من الملائكة ومعهم لواء أخضر ، فيركز اللواء على ظهر الكعبة ، فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر ينادي جبريل : معاشر الملائكة الرحيل الرحيل . فيقولون : يا جبريل فما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة أحمد ؟ فيقول لهم : نظر الله إليهم في هذه الليلة فعفا عنهم إلا أربعة : فقلنا : من هم يا رسول الله ؟ قال : (رجل مدمن خمر وعاق لوالديه وقاطع رحم ومشاحن) (معادٍ) فإلى كرم الله تعالى وعفوه ، إلى إحسانه وجوده ، بعد أن نظف أنفسنا ونظهر قلوبنا من أوصاف المطرودين ، إلى الليلة التي قال فيها مولانا ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ إلى الليلة التي سنقضها معاً إن شاء الله هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة رمضان من مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يصلي على النبي ﷺ :

فضل قيام الليل

وليلة القدر

. ٤٨ .

الحمد لله ذاكر من كان له ذاكرة ، وشاكر من كان له شاكرة ، الذي عمت رحمته بلاداً وقرى ، وكفلت نعمته مؤمناً وكافراً ، فالسعيد من بات في طاعته ليلاً ساهراً ، من عامله أربحه بعد ما كان خاسراً ، ومن لجأ إليه بذله وفقره كان لذله راحماً ولكسره جابراً ، ومن عصاه بجهله ثم تاب إليه من قبيح فعله كان لذنوبه غافراً ، ومن تقرب منه شبراً تقرب إليه ذراعاً وافراً ، أحمدته سبحانه وتعالى أولاً وآخراً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلصه ليس فيها شك ولا مرا

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نبع الماء من بين أصابعه وجرى ، تواضع فلم يبد تكبرا ، وقطع ليلاليه يناجي الله سهرا ، بسط كفاً منكسرا ، وجاد بالدنيا علانية وسرا ، فاستنشق منه العارفون عنبراً وعطرا .

فقد زمزم الحادي بذكر مُحَمَّد
رسولٌ عظيمٌ مصطفى ذو
مهابة
له الله بالذكر المرفّع قد حبا
ولا حنّ مشتاق لنجد ولا صبا
ولولاه ما سار الحجيح لمكة

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه ما حدا
الحادي إليه وسرى ، وسلم تسليما .

أما بعد :فيا معشر الإخوة الكرام

ماهي العبادة التي إذا فعلها العبد تنثر عليه البر من عنان السماء إلى فوق
رأسه ، وهبطت عليه الملائكة ؟ ، وإذا اضطجع بعدها نودي : نم قرير العين
مسروراً ، نم خير نائم على خير عمل (مُحَمَّد بن قيس) ؟

ماهي العبادة التي هي حياة للبدن ونور في القلب وضياء في البصر وقوة في
الجوارح ؟ ، وإذا أصبح صاحبها يجد لذلك فرحاً في قلبه ؟ (عطاء الخراساني)

من هم هؤلاء الذين يقفون في عرصات يوم القيامة ويؤتون بنجائب من
اللؤلؤ (طائرات) قد نفخ الله فيه الروح فيقال لهم : انطلقوا إلى منازلكم في الجنة
ركباناً فيركبونها فتطير بهم متعالية والناس ينظرون إليهم ويقولون : مَنْ هؤلاء
الذين قد منّ الله عليهم من بيننا ؟ (وهب بن منبه) .

إنهم المتهجدون وإنما قيام الليل ، قيام الليل الذي يتجلى أمامنا بقيام ليلة القدر ضيفتنا الليلة القادمة . إننا مع الحلقة الثامنة والأربعين من سلسلة الحلقات الرمضانية من جامع الدرويشية وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الإسراء ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وعلى موجات سورة الدهر ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً﴾ وعلى موجات سورة المزمل ﴿ياأيها المزمل . قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً . إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً﴾ إنَّ أشدَّ شيء على الإنسان قيام الليل ، والمزمل المتف بثوبه، وكان ﷺ قل ما كان ينام من الليل كما وصفه الله تعالى بقوله ﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ أي صل الليل إلا شيئاً يسيراً منه تنام فيه وهو الثلث ، ثم قال نصفه أي قم بنصفه ، أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث : أو زد على النصف إلى الثلثين .

إخوة الإيمان : لما نزلت هذه الآيات قام النبي الأعظم ﷺ وطائفة من المؤمنين معه ، حتى انتفخت أقدامهم وشق ذلك عليهم ، فأنزل الله تعالى خاتمها بعد ثماني عشر شهراً ﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم﴾ علم أن لن تطيقوه ، أنزل التخفيف عليهم فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة ، ورخص لهم في أن يقوموا ما أمكن لهم .

لكن سيدنا مُحَمَّدًا ﷺ بقي على قيام الليل ولو شق ذلك عليه ، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة ؓ : ما رأيت النبي ﷺ ترك قيام الليل إلا أن يمرض فيصلي وهو جالس .

وكان يرغب صحابته الكرام بقيام الليل حتى قال (عليكم بصلاة الليل ولو ركعة واحدة). ويقول لهم : ثلاثة يضحك الله إليهم : رجل قام الليل ، والقوم يصفّون في الصلاة ، والقوم يصفّون في القتال)ترغيب وتشويق إن الله يرضى حق الرضا عن عبده إذا قام من الليل وصلى مع الجماعة وجاهد في سبيل الله ، قال سيدنا موسى (عن وهب) : يارب أخبرني عن آية رضاك عن عبدك ، فأوحى الله إليه : (إذا رأيتني أهيب له طاعتي وأصرفه عن معصيتي فذاك آية رضائي عليه).

وحين سئل سيدنا رسول الله ﷺ : عن أقرب ما يكون الرب من العبد قال : إن أقرب ما يكون الرب من العبد جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فافعل ، ثم قال للصحابة الكرام : إن في الجنة غرفاً يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها فقال أعرابي : . لمن هي يارسول الله؟ فقال (لمن قال طيب الكلام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام).

إخوتي في الله : إن الصحابة الكرام ضربوا المثل الأعلى في التسابق على مرضاة هذا النبي الكريم ، وعلموا أنه لا يأمرهم بأمر ولا يحضهم عليه إلا ليكونوا

أقرب إلى الله تعالى ، حتى إن بعضهم كان من شدة قيامه بالليل يأتي فراشه حبواً ولم يكن هو أعبدهم .

تعالوا بنا ننتقل إلى هناك ، إلى حيث الرعيل الأول ، إلى عصر التقدم والحضارة ، إلى العصر الذي مدحه رسول الله فقال (خير القرون قرني) إلى العصر الذي قال الله تعالى فيه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا...﴾ ها هو ابن الزبير لا ينام الليل ، وكان يقرأ القرآن في ليلة واحدة ، ويحيي الدهر أجمع ، ليلة قائماً وليلة راکعاً وليلة ساجداً حتى يصبح ، حتى قال الناس (ابن دينار) : ما رأينا مصلياً أحسن صلاة من ابن الزبير . وقيل لعامر بن عبد قيس : ما للناس ينامون ولا تنام فقال: إن جهنم لا تدعني أن أنام .

وهل سمعتم براهب العرب (عبد الرحمن بن أبي نعم) كان يواصل أربعة عشر يوماً قائماً يصلي لله تعالى ، ثم يسقط على الأرض فيعوده الناس .

هذا شأن الرجال فما شأن النساء ، عسى أن يشدَّ الشباب همتهن ، سمعنا بسيدنا مُحَمَّد بن سيرين في ملف الشخصيات الإسلامية ، كان له أخت تدعى حفصة تسرج سراجها في الليل ، ثم تقوم في مصلاًها وربما طفئ السراج فيضيء الله لها البيت حتى تصبح ، هذه العابدة مكثت في مصلاًها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة ، تدخله فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار فتصلي الضحى ثم تخرج فتنام ، ثم إذا حضرت الصلاة توضأت وعادت إلى مسجدتها إلى مثلها ، وكانت تقول : يا معشر الشباب (اسمعوا نصيحة سيدة من التابعيات الجليلات) خذوا من أنفسكم

وأنتم شباب، فإني والله ما رأيت العمل إلا في الشباب ، وكان ابنها يجمع الحطب في الصيف ويكسره ويأخذ القصب فيقلقه فإذا وجدت أمه برداً في الشتاء جاء بالكانون فوضعه خلفها وهي في مصلاها ثم يشعله ليدفئها (يخدم أمه رغم وجود الخدم عندها تقريباً إلى الله تعالى ، هكذا كان ديدنهم ، ولهذا أرسل الله ثناء عطراً في كتابه فقال عن الرعيل الأول ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾ (الهجوع النوم : كانوا قليلاً من الليل ما ينامون) ومدحهم بأعطر مديح فقال ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أتعلمون ما جزاء هذه العبادات جزاؤهم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ .

فهل نسمع الكلام ، هل ننفذ سنة خير الأنام ، أمامكم يا إخواني . ليلة عظيمة ما بعدها ليلة ، إن فاتكم فيها الربح فقد فاتكم شيء كثير لا تدركونه في كثير من سني حياتكم ، أمامكم ليلة القدر ليلة المغفرة ، الليلة المعزّة من رب العزّة ، إن إحياء ليلة ينزل فيها رب العزّة والقدر ، كتاباً ذا قدر ، تحمله ملائكة سفرة أصحاب قدر ، على رسول ذي قدر ، لأجل أمة ذات قدر هي ليلة عظيمة من ليالي التجلي الأعظم ، يقول فيها سيد الخلق وحبيب الحق (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) .

إن إحياء الليل في هذه الليلة بالتلاوة والدعاء والذكر والصلاة يعدل عبادة ٨٣ سنة وأربعة أشهر ، فالحرّوم من حرم بركتها قيل لسيدنا الحسن البصري : ما بال المتجهدين من أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : لأنهم خلّو

بالرحمن فألبسهم من نوره نورا ، ولهذا ورد في الخبر : (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار) .

هذا في الدنيا ، فماذا أعدَّ الله للمتجهدين بالليل ؟ أخرج ابن أبي الدنيا في مسنده (ت ٢٨١ هـ) قال : إن لفي التوراة : لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مالم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلمه ملك ولا مرسل. فقال لهم : إننا نقرؤها في كتاب ربنا عز وجل في القرآن ، ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون﴾ .

أما سيدنا ابن عباس تلميذ سيدنا محمد ﷺ فيقول : (إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم ، وزيد في سعتها كذا وكذا ، وجمع الخلائق بصعيد واحد جنهم وإنسهم ، ونادى منادٍ ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم : ليقيم الحمّادون على كل حال ، فيقومون فيسرحون إلى الجنة ، ثم ينادي منادٍ الثانية : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم : ليقيم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . فيقومون فيسرحون إلى الجنة ، ثم ينادي الثالثة : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم : ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً فيقومون فيسرحون إلى الجنة) .

فإلى الجنة معاً هناك ، فمن أراد أن يكون هناك هناك فليحي ليلة القدر
معنا هنا، من هنا سيقدم الرب ﷻ جوائز ليلة القدر ، وما أدراك ما هنا ، هنا
بيت الرب ﷻ الجالس فيه عليه أن يوحد الله .

الاستقامة بعد رمضان

. ٤٩ .

الحمد لله الذي سلك بأحبابه نهج الصراط المستقيم ، واختصَّ بالعناية
من أتى إلى بابه بقلب سليم .

أما قلوباً بالمعاصي وأحيا قلوباً بالطاعة ، فسبحان من يحيى العظام
وهي رميم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من به يتوكل وفيه
يقيم .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي الكريم المبعوث بالدين القويم ،
المنعوت بالخلق العظيم ، الذي وجب علينا اقتفاء آثاره في الحديث والقديم .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولى الفضل العميم
صلاة وسلاماً دائماً يضيء نورهما جنح الليل البهيم ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

انقضى شهر رمضان وربح فيه العاملون وباء المقصرون بالخسران .

إن أهل الإيمان الذين ذاقوا حلاوة الصوم والعبادة في رمضان لا بد أنهم أسفوا على انقضائه وتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان ، لأنهم رأوا نعيم الطاعة وذاقوا لذة القرب واستطاعوا التغلب على الشهوات .

أما أولئك الذين كانوا يترقبون رمضان بكره واشتمزاز ويتمنون انقضاءه بفارغ الصبر ويعتبرونه وافداً غريباً يحدّ من شهواتهم ويكبح جماحهم أولئك لم يخرجوا من الصوم بنتيجة وآية ذلك أنهم رجعوا بعد رمضان إلى ما كانوا عليه من شرور وفساد وتهاون واستهتار، أما أهل الإيمان فمعهم علامة قبولهم ، ذلك أنهم استمروا بعد رمضان على الطاعة واستقاموا على الحق ، ودافعوا عن أداء الفرائض والواجبات ، إن معهم برهاناً ساطعاً على قوة إيمانهم وقبول صيامهم هو استقامتهم بعد رمضان وامتنانهم لأوامر الله واجتنابهم لنواهيه .

وهؤلاء شهد لهم مولانا عز وجل بأنهم على خير ، وأن عطاء الله تعالى سيستمر في حياتهم وبعد مماتهم .

اسمعوا يا أهل الإيمان عطاء الله لكم ، اسمعوا خطاب الله لكم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ توعَدُونَ . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم ﴾ .

أبشروا يا أهل الإيمان بالنصر والفلاح ، بالفوز والنجاح إن الله تعالى يقول: بأن الملائكة تقول للمؤمنين ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا ﴾ نحن نصركم إنكم بأعيننا وحفظنا فلا تخافوا ولا تحزنوا ، هذا الوعد يتكرر في القرآن

، ليكون أهل الإيمان من أهل اليقين بأن وعد الله صدق ، وأن الله لن يتخلى عنهم يقول عز من قائل ، ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ البقرة ٢٥٧

﴿وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾ النساء ٥٤

وعلى الموجات العاملة من سورة سيدنا مُحَمَّد (١١) ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ .

وعلى الموجات العاملة من سورة آل عمران (١٥٠) ﴿بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾

أسمعتم يا أهل الإيمان : هو مولاكم ، هو مولانا فقولوا نعم المولى ونعم النصير ، هذا حال كل من يستقيم على طريق الله ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾ .

هذا غيض من فيض من كرم الله في الإستقامة ، نصر وعز ، وتثبيت قدم وتدمير عدو وغيث مغيث ، ويجعل من دبابتنا وطائراتنا وصواريخنا قوة لا تخطئ الهدف ، ومدمرات لا تبقي ولا تذر ، ألا فليعلم جنود الحق والإيمان الذين يرابطون على الحدود، أن صلاتهم وصيامهم هو الذي يقربهم إلى الله زلفى ، جندي لاصلاة له ولاصيام ولاصلة بالله جندي منهزم سلفاً ، لأن الله لا يدافع عن الخائنين لعهد ، ولا الضالين عن طريقة ولا القادرين ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ .

معشر السادة الكرام :

الأيام تمضي بكم سريعاً دون توقف أو مهله وهي شاهدة علينا يوم القيامة ، والمسلم أيامه كلها عبادة ، يجدّ السير إلى الله للينال محبته ورضاه ، إن الإمام البخاري يذكر لنا في مدرسته العظيمة حديثاً لو تأملناه لازددنا كل لحظة عبادة وقرباً إلى الله ، حديثاً إن اتبعه أهل الإيمان لكانوا من أولياء الله الذين يتولاهم الله برعايته ، ومن يتوله الله فلا خاذل له ، ولا مذل له ولا ظالم له ، إذا قال للأرض أبنتي نبتت ، وللسماء أمطري لأمطرت ، لأطاعه أهل الأرض والسماء من الملك والإنس والجاه .

فما هو هذا الحديث ؟

إنني . **معشر الإخوة** : أدعوكم جميعاً اليوم لنحضر عند سيدنا محمد رسول الله ، ولنكون حقاً من تلامذة هذا النبي فعلينا أن نصلي عليه .

أطير بكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية ، إلى أمير الأنبياء وخير من مشى على أديم الأرض والسماء إلى سيدنا محمد ﷺ :

عذراً رسول الله إن قصّرت في	مدحي فإن جمالكم لن يوصفا
جاءت قديماً ذرة من نوركم	قد جمل الرحمن منها يوسف
والله لو ماء البحار بجمعها	كان المداد لمدح أحمد ما وفا
يكفيه لقيا في السموات العلا	وبحضرة المولى الكريم تشرفا
يكفيه أن البدر يكسف نوره	لكنّ نور مُحمّد لن يكسفا
صلى عليك الله يا علم الهدى	صلى عليك الله ربي وسلما

خبرنا يا رسول الله عن ربك عز وجل ، ماذا يقول عمن يتولاه الله تعالى ،
سيدنا النبي يقول قال الله تعالى (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما
تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي
يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به
، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها (يصبح سيف الله على الكفار
) ورجله التي يمشي بها (يصبح من أهل الخطوة) ولئن سألتني لأعطينه ولئن
استعاذني لأعيذنه ..) (خ) .

هذه عطايا الله لأهل الإيمان ، هكذا يتولى الله عباده الثابتين على المنهج ،
الذين لا يغيرون ولا يبدلون ، الربانيون وليس الرضائيون الذين عرفوا حق
المعرفة قوله تعالى

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ هم ينفذون قاعدة الحياة : ربّ
يعبد وعبد يعبد لا يفترون عن عبادته ولا يستحسرون ، واسمحوا لي أن أعرفكم

ببعض هؤلاء ، تعالوا بنا نرى القمم الشّماء التي اكتحلت عيونهم بمراى القمة
الشاخنة التي تنقطع الرقاب عن ذراها التي صنعها سيدنا مُحَمَّد ﷺ .

وأنا أسألكم . يا أحباب رسول الله . ماذا لقينا في سبيل هذا الدين ؟! ماذا
فعلنا لأجل نصره هذا الدين ؟ .

هل صبرنا كما صبر أصحاب رسول الله ؟

هل صبرنا كما صبر سيدنا رسول الله ﷺ ؟

هل أتاكم نبأ صبره ؟

يقول سيدنا أنس (أبو يعلى . الهيتي ١٧/٦ - حا ٦٧/٣١) وتقول السيدة
أسماء بنت الصديق أبي بكر : (كان المشركون وكفار مكة قعدوا في المسجد
الحرام يتذكرون رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم فبينما هم كذلك إذ أقبل
رسول الله فقاموا إليه أجمعهم وضربوا رسول الله حتى غشي عليه ، فأتى الصريخ
إلى أبي بكر الصديق أن أدرك صاحبك فقام الصديق مسرعاً فدخل بينهم
ودفع عن النبي كفار مكة وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله).

فداك أبي وأمي يا رسول الله .

هكذا كان الصحابة يقولون إذا ذكر رسول الله جعلت فداك يا رسول الله ،
كانوا يفدون هذا الدين بأنفسهم ، قيل للصحابي الجليل زيد بن الدثينة وقد
رُبطَ على خشبة ليقتل قال له أبو سفيان . أتحب أن مُجَدَّاً في مكانك وأنك

بين أهلك معافى . فقال زيد والله ما أحب أن مُجَدَّاً في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي .

أتعرفون ماذا قال أبو سفيان ؟ قال: ما رأيت أحداً يحب أحداً مثلما
يحب أصحاب مُجَدَّ ﷺ .

هذا هو الحب الصادق ، اسمعوا الأعجب كان سيدنا الزبير بن العوام في
بعض أسفاره فأصابته جنابة بأرض قفر فقال الرجل : استرني فسترته فحانت
منه التفاتة إليه فرآه مجدَّعاً بالسيوف (ضربات السيف على جسمه في كل
عضو من أعضائه) فقال له : والله لقد رأيت بك آثاراً ما رأيتهما بأحد قط
قال: وقد رأيتَ ذلك ؟ . قال : نعم فقال الزبير : أما والله ما منها جراحة إلا
مع رسول الله وفي سبيل الله) (طب . ح ٣٦/٣ - اهتيمي ١٥٠/٩ . الحلية
٩٠/١) .

أتعرفون في أي سن آمن الزبير ؟ كان في سن الثامنة ، ولما علم عمه
بإسلامه ربطه في حصيرة وعلقه فوق موقد وراح الدخان والنار تشويانه من
تحتة ، وهو يقول له : ارجع إلى الكفر والزبير يقول : وهو ابن ثمان) : لا أكفر
أبداً (طب مرسل مجمع ١٥١/٩ . ح ٣٦٠/٣) .

لا أكفر أبداً ، لا أترك الصلاة أبداً ، لا أترك الإسلام أبداً ، أنا على
العهد باق يارسول الله ، أنا أحد أتباعك ، أنا تحت رايتك ، أرفع لواءك ،
لتسمع الدنيا نحن أمة مُجَدَّ لسنا رمضانين بل نعبد الله في رمضان وغير رمضان،
نحن أمة ربانية :

يا هذه الدنيا أصينحي واشهدي أنا بغير مُجَدَّ لا نفتدي

ﷺ

المؤتمر العام السنوي

لحج بيت الله الحرام

. ٤٤ .

الحمد لله الذي جعل الحج كفارة للذنوب ، ووعد حجاج بيته الحرام نيل كل مرغوب ، أحمده سبحانه وتعالى على ما هدانا من أسباب الخير الموفور ، وأشهد به في كل ورود وصدود ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكيم الصبور ، شهادة تقرّ بها العيون وتشرح بها الصدور .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بالدين القويم والكتاب الذي هو هدى ونور ، نبي أثنى الله عليه في كتابه بما يشفي الصدور ، رسول خصّه الله بالمقام المحمود واللواء المنشور .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائماً دائمين إلى يوم النشور ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام .

الأمة اليوم تستعد لتستقبل مؤتمرها السنوي العام ، هذا المؤتمر لا يعقد تحت راية الأمم المتحدة ولا تحت راية عصبية أو جاهلية ولا لأجل الإعداد للهجوم على أية دولة كما تفعله الدول الأوروبية اليوم في الحلف الأطلسي وغيره . الأمة اليوم تعقد مؤتمرها تحت راية البيت العتيق وتتوافد الأمم تبعاً إلى الأرض المقدسة منذ أن دعاها الخليل بأمر الله الجليل ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ دعوة سيدنا إبراهيم ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا ﴾ .

هذا المؤتمر السنوي يهرب أمريكا وأوروبا وقد صرح حقيرهم بوش بهذه الحقيقة في أحد مؤتمراته التي يعقدها ضد الأمة فقال : إن الإرهابيين يجتمعون في مكة كل سنة

وأنا أسأل الحقير بوش ماذا يسمي من يجتمع في الفاتيكان في يوم الميلاد ورأس السنة؟ إذا كان اجتماع المسلمين في أداء عبادة الحج إرهاباً فماذا نسمي اجتماع النصارى في يوم رأس السنة هل هو إرهاب أيضاً .

إن الأمة الإسلامية أمرها رسول الله بالاجتماع والوحدة ليس فقط في موسم الحج بل الأمة مأمورة بالاجتماع في صلوات الجماعة والجمعة والعيد . تجتمع لتعلن التوحيد للإله الواحد ، لأن ديننا دين التوحيد ، إن وحدة الأمة تتجلى أكثر ما يكون بأداء لون واحد من المناسك ، اتجاه واحد ، هدف واحد ، اسم واحد .

نعم إن الله اختار اسماً لهذه الأمة اسمعوا البيان القرآني وأنتم توحدون الله
﴿ هو سَمَّاكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم
وتكونوا شهداء على الناس ﴾

سَمَّانا اسماً واحداً لنكون متحدين ، روح واحدة و أمة واحدة فقال لنا :
﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وقال لنا سيدنا رسول الله (المؤمن
للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)

إخوة الإسلام :

الأمة في الأيام المقبلة تعلن انتماءها إلى الإسلام ، هذا الانتماء وهذا
التجمع ليس جديداً ، لأن الأمم اليوم تتكتل ضد الإسلام ، منهم من تكتلوا
باسم الولايات المتحدة ، ومنهم من تكتلوا باسم المملكة المتحدة ، ومنهم باسم
السوق الأوروبية المشتركة ، الأمة الإسلامية تعلن بعد أيام صوت التوحيد: الله
أكبر ، تعلن أنها أمة واحدة ، وقبلتها واحدة دينها واحد، نبيها واحد، ربها
واحد ، أصبحت الأمة الإسلامية واحدة يوم نزل عليها قول مولانا ﴿ وأنَّ
هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

ولذلك القرآن عندما يريد مخاطبة هذه الأمة لا يخاطبها أفراداً بل جماعة
﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ لم يخاطب فرداً بعينه بل خاطب جميع الأمة .

نحن اليوم مطالبون بالوقوف صفاً واحداً تجاه مجتمع الشر أمريكا
وحلفائها ، أمريكا اليوم تهدد وتتوعد كل الدول العربية البترولية بحجة محاربة
الإرهاب وهي تحمل لواءه مع ربيتها إسرائيل ، وبدأت أمريكا بأكل أفغانستان

ثم ثنت بالعراق وثلثت بليبيا ، ليبيا طأطأت رأسها لأمريكا بدون تهديد ولا وعيد وكل الدول العربية ستؤكل واحدة بعد واحدة إن لم تعلن الأمة وحدتها على أرض عرفات الله ، إن لم نجتمع ونرفع لواء التوحيد عالياً فسوف نكون لقمة سائغة لأعدائنا فهل تعي الأمة هذه الأمر.

إخوة الإيمان : الخير في هذه الأمة قائم إلى يوم القيامة ، لا تقولوا تمزقت الأمة وهلكت الأمة (**من قال هلك الناس فهو أهلكهم**) الأمة أصولها باقية، وجذورها عميقة لن تستطيع قوى الشر أن تقلع جذورها من أرض الإسلام .

والنبي ﷺ رآه الصحابة مرة وهو يبكي ، يبكي بكاء مرّاً على هذه الأمة خوفاً عليها فاسمحو لي معشر السادة أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية ، إلى سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا ومولانا مُحَمَّد :

ياأوي إليها كل قلب يخشع	وجمعت شمل المسلمين بكعبة
أنت التقى الصادق المتواضع	علمتنا نيل المطالب بالتقى
فاشفع لنا منك الشفاعة تسمع	ياآية الرحمن أنت ولينا
صلى عليك الله ربي وسلما	صلى عليك الله يا علم الهدى

النبي يبيكي ، واهتزت السموات والملاأ الأعلى لبكائه ، ونزل سفير الأنبياء
وكبير أمناء وحي السماء على الحبيب الأعظم ليسأله: لم تبكي يا رسول الله ؟
فيقول حبيبك وشفيعك: . أمتي يا جبريل أمتي يا جبريل .

يبكي رسول الله خوفاً على أمته فنادى الله تبارك وتعالى سيدنا جبريل
وقال : يا جبريل قل لحمد إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.

الأمة الإسلامية اليوم عظيمة ، وعددها كثير ، ولكنها مريضة وحين
تخرج إلى أرض النور ، إلى أرض عرفات الله ستعود وقد شفيت من أسقامها
(فمن حج ولم يفسق ولم يرفث رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

نحن اليوم مليار ونصف المليار لو بصقنا على أمريكا واليهود لغرقوا
ببصاقنا ، فعلينا أن لانخاف إلا الله ، من هو الذي يحرك أمريكا ؟ من هو
الذي يحرك اليهود ؟ من هو الذي يقول للشيء كن فيكون ؟ فلنعد إلى المحرك
الأول إلى الله، إلى الله، إلى الله ، وحدوا الله لا إله إلا الله

النصر قريب إذا بقينا تحت راية البيت العتيق ، هذا البيت تريد أمريكا
وبريطانيا أن تمنعنا من الاجتماع تحت رايته ، صدقوني سننتصر إذا رجعنا إلى
الله ، والمدد الإسلامي في كل يوم يكبر ويزداد ، الأمة ستصبح أكبر الأمم
قاطبة على الأرض ، هذه البشارة بشرنا بها رسول الله :فقد نظر في ليلة
الإسراء والمعراج فرأى سواداً عظيماً فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال هؤلاء أمة
موسى ، ولكن انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد أعظم بكثير من الأول .
فقيل له : هذه أمتك يا مُحَمَّد ، هذه أمتك يا مُحَمَّد أرضيت يا مُحَمَّد ؟ فقال :

رضيت يارب . فقال له مولانا: ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، أرضيت يا مُحمَّد ؟ فقال رضيت يارب

فإلى البيت العتيق أيها المؤمنون ، إلى الأرض المقدسة الآمنة ، إلى عرفات الله إلى مدينة رسول الله ، إلى المؤتمر الذي يرهب قوى الشر أدعوكم جميعاً لنكون معاً هناك فمن أراد أن يكون معنا هناك فليوحد الله تعالى هنا .

الحج المبرور

. ٥١ .

الحمد لله الذي عظم شعائر بيته الحرام بما أوجبه على الناس كافة من إحياء معالمه بالزيارة إليها كل عام ، وجعله محلّ تنزلات رحماته الجسام .

أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه التي تترى علينا على الدوام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خاطب أوليائه الأئمة

الأعلام فقال

﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي شرف الله به بيته وبلده الحرام

، والذي روى لنا حديثاً قدسياً عن ربّه العليم العلام فقال : (إن عبداً

صححت له جسمه (أي عافيته في جسده) ، ووسعت له في معيشته ثم

يرضى أن تمرّ عليه خمسة أعوام دون أن يفد عليّ لحروم .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم وأنعم وتفضل على هذا النبي الكريم

والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه بدور

الهدى في دجنات الظلام ، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فيا معشر الإخوة المسلمين

أقف اليوم بينكم والكون تغمره فرحة موسم الحج إلى البيت الحرام ، حج فرضه الله على عباده المكلفين القادرين ، فالقادر على الحج ولم يحج على خطر عظيم ففي الحديث : (من استطاع الحج فلم يحج فليمت إن شاء الله يهودياً أو نصرانياً) .

فمن أراد الوفود على الله عليه أن ينتقي أطيب ماله ، وإلا لم يكن حجه مبروراً بل لاثواب له فيه ، وهذا يوصلنا إلى سؤال هام نحن على موعد معه ، ماذا قال شراح الحديث في قوله البشير النذير ﷺ : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .

متى يكون الحج مبروراً؟، هذا سؤال أجيب عنه اليوم بمشيئة الله تعالى ، فهلم بنا إلى خير البرية سيدنا محمد ، وما أدراك ما سيدنا محمد ، ما من يوم إلا ويتردد اسم سيدنا محمد ملايين المرات على الشفاه هذا النبي لم يذكر على شفة إلا وصلت عليه العرب والعجم هذا النبي الحبيب يقول لنا: (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه) (م) .

فالحاج الذي يذهب من هنا إلى هناك بمال حلال ليطوف بالبيت العتيق، ولم يذهب وبطنه مليئ بالحرام ليقول : لبيك اللهم لبيك ، إذا كان المال حلالاً والنفقة من حلال وقال العبد لبيك اللهم لبيك أتدرون ماذا تقول له الملائكة رداً على التلبية المؤمنة؟ تقول له : لبيك وسعديك ، زادك من حلال ، ونفقتك من حلال ، وحجك مبرور غير مأزور. أما إذا أكل التراث

أكلًا لما ، وأحب الدنيا حباً جما ، وملاً البطن بمال اليتيم والربا والرشوة والسرقة والإختلاس وذهب إلى هناك وما أدراك ما هناك ، هناك بيت من لا يغفل ولا ينام ، وقال: لبيك اللهم لبيك قالت الملائكة : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك يا هذا مردود عليك ، زادك من حرام ، ونفقتك من حرام ، وحجك مأزور غير مبرور .

فاتقوا الله معشر الحجاج في أكل الحلال ، وإياكم والحرام ، الحرام لا يدوم وإذا دام لا ينفع ، والظلم لا يدوم وإذا دام دمر .

فمن أراد أن يكون حجه مبروراً فليسمع إلى أقوال شراح الحديث ، فقد قالوا إنّ الحج المبرور له ثلاثة معاني : المعنى الأول : هو الذي لا يخالطه إثم .

والمعنى الثاني : هو الذي يعود صاحبه من هناك راغباً في الآخرة زاهداً في الدنيا .

المعنى الثالث للحج المبرور هو : لين الكلام وإطعام الطعام .

هذه هي المعاني للحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم ولا ذنب ولا انحراف وإلا فما فائدة الحج إذا كان الإنسان قد خالف من سيذهب إلى بيته ، ما فائدة الحج إذا عصى من ناداه

ويارب هل تغني عن العبد حَجَّةٌ	وفي العمر ما فيه من الهفواتِ
إذا زرت بعد البيت قبر مُحَمَّدٍ	وأبصرت مثوى الأعظم العثرات
وفاضت من الدمع العيون مهابةً	لأحمد بين السِّتْرِ والحجرات
وأشرق نور تحت كل ثنية	وضاع أريج تحت كل حصاةٍ
فقل لرسول الله: ياخير مرسل	أبئك ما تدري من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها	كأصحاب كهف في عميق
بأيماهم نوران ذكر وسنة	سبات
	فما بالهم في حالك الظلمات

نوران أمة رها نور ، ونبيها نور ، وكتابها نور .

أمة رها : ﴿الله نور السموات والأرض﴾ .

ونبيها : ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ .

وكتابها : ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ .

أمة الله رها نور ، ونبيها نور ، وكتابها نور كيف تعيش في دياجير الظلام
؟؟! سؤال محير .

فيا حجاج بيت الله الحرام : اعلّموا أنكم لا تخطون خطوة ولا تسبحون
تسبيحة ولا تهللون تهليلة إلا وبشركم الله بها تبشرة ، (ق)

ويقول سيدنا عبد الله بن عمر : (إن استلام الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا ثم يقول : مارفع رَجُل قَدَمًا ولا وضعها إلا كتب له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات)

فيا أخي الحاج :إن الله مادعاك إلا ليعطيك ويغفر لك .هو الذي قال على لسان نبيه ﷺ ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ . (الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم) (بز) .

ولا تسأل عن انفاقك في الحج ، فإن الله تعالى يضاعفها لك أضعافاً مضاعفة يقول ﷺ (النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمئة ضعف) واجهد فإن أجرك على قدر نصيبك وتعبك) قال لأُم المؤمنين حبيبك رسول الله (ق): (إن لك من الأجر على قدر تعبك ونفقتك)

فإذا وقف الحاج بعرفة باهى الله بهم ملائكته ، فمن مدرسة الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال : (مامن يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو (أي تدنو رحمته) ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء (م) .

وعن ابن عمر قال : إذا وقفت بعرفة فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا (أي تنزل رحمته) فيقول : انظروا إلى عبادي شعثاً غبرا اشهدوا أنني قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج) (حب).

فإذا ما غابت شمس عرفات آبت بذنوب الحاج ورجعوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، هذا حبيبك رسول الله ﷺ فيقول (الحج يهدم ما

كان قبله) (م) فيلى كرم الله وعفوه ، إلى مغفرته ورضوانه ، إلى هناك من هنا ،
وما أدراك ما هنا هنا مدرسة سيدنا مُحَمَّد ﷺ الجالس فيها عليه أن يصلي على
النبي .

ﷺ

حكمة الزمان والمكان

في خامس الأركان

. ٥٢ .

الحمد لله الذي سهل لعباده الطريق إلى بيته الحرام ، وشرع الحج تذكيراً
لهم بما هم لأقوة من هول يوم الزحام ، وجعل ذلك لمن أخلص منهم وسيلة لمحو
الذنوب والآثام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نهي وأمر .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أفضل من حج واعتمر .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم سيدنا محمد النبي
الذي شق لإشارته القمر ، وسلم عليه الشجر والحجر .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه سادات
البشر ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

ما حكمة الزمان والمكان في خامس الأركان؟ سؤال أسأله بعد عودتي من حج بيت الله الحرام وأستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عنه ، فالحكمة ضالة المؤمن ، وقد خرجت مع صحي في القافلة لأبحث معهم عن ولادة جديدة لنضع معاً أوزارنا عند عتبة باب الله ، لنلج إليه طاهرين عابدين ، تغمر قلوبنا فرحة الطاعة باستجابة نداء الله الذي نادانا إياه في قوله تعالى ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ (آل عمران ٩٧) .

ها نحن . معشر السادة . نضحي بالمال ، ونركب المشقات ونفارق الأهل والأوطان في سفر لا يضاويه سفر من أسفار الدنيا ، رحلة إلى مكة المكرمة ، ها هي الأمة تجتمع في مظهر واحد فيه معنى المساواة في أحلى وأتم صورها ، مليونان تلتقي أرواحهم عند غاية واحدة وهدف واحد هو رضا الله سبحانه ، لا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة ، جميعهم يلبون رباً واحداً ، شعار واحد يظهر فيه عظمة الخالق وملكه وسلطانه : لبيك اللهم لبيك .

والشوق والتسليم والإذعان

إذ يرجعون يظلهم غفران

فوق الحدود بدمعهم برهان

شعناً أتوك حداهم الإيمان

جاؤوك يا رب الأنام لعلهم

أصواتهم نحو السماء سعى بها

يقول ﷺ أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتلبية (مالك) .

أتعرفون لماذا ؟ لأن شعار التلبية خروج من عالم الظلم والطغيان إلى عالم العدل والإحسان ، يسجل به المؤمن على نفسه أنه خاضع لمولاه مستجيب لنداء ربه ، معترف بوحدانيته وأحديته ويقر أنه العبد الذليل الواقف ببابه الملبي لأوامره ، المسارع لإجابته المقسم على عهده ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ الأنعام ١٦٢ .

هذا جزء من حكمة الزمان والمكان في خامس الأركان ، ولكل مكان حكمة ولكل زمان معنى ، فما معنى الطواف حول الكعبة ، هل في هذا شيء من الوثنية والعياذ بالله تعالى . الحقيقة أيها الإخوة أن الحجاج ثلاثة : حاج يزور الأحجار ، وحاج يرى الأنوار وحاج يطلع على الأسرار .

إن المسلم الذي يطوف بالكعبة أو يستلم الحجر الأسود يعتقد اعتقاداً جازماً أنها جميعاً حجارة لا تضر ولا تنفع ، ولكنه يقصد الأمر الإلهي والنبوي حينما سمع قوله تعالى ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ .

التوجه نحو الكعبة من جميع المسلمين تقديس لمعنى الوحدة والإخوة الإنسانية ، كلهم يتوجهون إلى بيت واحد ، مثلهم في ذلك مثل الذي يعظم علم بلده فهو يعلم أنه في ذاته قطعة نسيح لكنه يشعر في الوقت نفسه أنه

يرمز إلى كل معاني المجد والعلاء ، والكعبة راية الله ، بيت الله ، أضافها إليه تشریفاً وتكريماً ، يرحل إليها المسلم ليشهد على الأقل مهابط الوحي الأمين وأنوار خاتم النبيين ، فالكعبة حجر ، مكانته وتقديسه إنما يكون بتشريف الله له ، فالحاج أمام الكعبة يقدس الحجر الأسود ويقبله لأنه يعين الله في الأرض كما ورد ورمز الإيمان ، والحاج أمام الجمرات في منى يرمز رمز الشيطان .

فهناك حجر يلثم وحجر يرمز ، إذن لا شأن لذاتية الحجر ، وإنما الشأن كل الشأن لأمر الله تعالى وأمر نبيه ، الذي أمر بتقيل الحجر الأسود كما أمر برمز رمز الشيطان

معشر الإخوة الكرام :

إن الحاج الذي نزل ضيفاً على الله تعالى جلب معه أوزاره ليتركها تحت باب الكعبة وليطوي صفحة الأمس ، مستشعراً أنه قد عاهد الله تعالى أن يكون كما يريد منه ويرضاه ، وهؤلاء جميعاً أتوا ليوفوا بعهد الله .

كم وكم يعقد من المؤتمرات وكلها من صنع البشر ، لكن مؤتمر واحد هو مؤتمر الحج يقام برعاية الله وحده كل عام ، يذكّر فيه مولانا عز وجل الإنسان بأخيه الإنسان أنه لا مفاضلة بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وبذلك يتلقى الإنسان درساً لا تبلغه أقوى العبارات ، إن في الحج أدباً مع كافة أصناف الخلق : في الحج تأدب مع الجماد في تقبيل الحجر الأسود ، وتأدب مع النبات في النهي عن قطعه وتأدب مع الحيوان في تحريم صيده ، وتأدب مع

الإنسان في عدم مجادلته ، وهكذا معشر السادة رأينا بعض الحكم في الزمان
والمكان .

لكن حكمة ينبغي على الحاج أن يتصفوا بها بعد عودتهم من الحج ،
ألا وهو الإحرام الأبيض ، إنه رمز لما يجب أن يكون عليه قلب المؤمن من
حب ونقاء ، فإن الحاج الذي يحج ويؤدي المناسك ثم يعود وقلبه أسود حاقداً
على المؤمنين يكون قد زار الأحجار ولم يكتسب الأنوار ، بل ولم يطلع على
الأسرار ، إن أمثال هذا الحاج قد ذهب وعاد كما عادت حليلة إلى عاداتها
القديمة ، فالله تعالى أخي الحاج ، علامة قبول الله لحجك أن تعود صافياً
نقياً تقياً ، فهذا الحاج هو الذي يطلب منه الدعاء يقول نبينا ﷺ (بز) (يغفر
للحاج ولمن استغفر له الحاج) فاللهم اغفر لنا ، اللهم لا تحرمنا حج بيتك
الحرام وزيارة نبيك عليه الصلاة والسلام .

البداية الجديدة

. ٥٣ .

الحمد لله الذي خص بيته الحرام بمزيد التشريف والتفضيل ، وأَهَّلَه
بكمال التعظيم على البقاع والتبجيل ، وجعله من أعظم فرائض الإسلام ،
وجعل حجة كفارة للخطايا والآثام ، وكرمه بمهبط الرحمة والتنزيل ومألفاً
للملائكة الكرام وجبريل .

نحمده على ما منحنا من إنعامه الشامل الجزيل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربنا الملك الجليل ، شهادة
تتوي قائلها غرف الجنان وظلها الظليل .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المنعوت في التوراة والإنجيل ، نبي
خصه الله بالخلق العظيم والنسب الطاهر الأصيل .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه
أمان أهل الأرض ، وسادات كل جيل . وسلم تسليماً .

أما بعد :فيا معشر الإخوة الكرام :

يطوف الفلك دورته كل عام لتشرق علينا شمس الأرض المقدسة مكة والمدينة ، ونستمتع من خلالها بذكريات سيدنا إبراهيم الخليل وولده جدنا سيدنا إسماعيل .

هل سمعتم بمؤتمر عالمي بهذه الكيفية ، مؤتمر لم يدع إليه أحد ، ولا ينظمه أحد ، كل أعضاء المؤتمر يعرفون ماذا سيفعلون غداً ، يدورون في المناسك بقدرة قادر ، (٢) مليون أو يزيد بحركة واحدة ودائرية حول صخور بازلتية في مكة ثبت أنها أقدم صخور العالم ، قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ... ﴾ وقال ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

نتذكر ونحن نقف أمام المقام مقام إبراهيم كيف وقف عليه الخليل وهو يبني أول بيت لله وضع للناس .

ونذكر ونحن في المسعى السيدة هاجر حينما كانت تسعى بين الجبلين مستغيثة بالله أن يسقي ولدها الرضيع ، فسقاها مولانا عز وجل وولدها بماء زمزم .

ونرى الناس مقبلين على الله متعلقين بأستار الكعبة ينادون يا الله يا الله ، تائبين منيبين مستغفرين مما جنوه في سنوات حياتهم . فما أحلاها من رحلة إلى الله تعالى .

الحج يكفر الذنوب الصغائر ، والتوبة تكفر الذنوب الكبائر لذا قال ﷺ :
(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه) (حم . خ) .

لا بد من التوبة والإنابة مع الحج ليرجع منه الحاج وقد ولد من جديد ،
الحج للأمة ولادة جديدة ، وأعمال الجوارح لاقيمة لها مالم يصحبها عمل قلبي
وهو التوبة والإخلاص ، ولهذا يبين مولانا عزوجل في كتابه ﴿ وما أمروا إلا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ عبادة مع إخلاص تساوي عملاً متقبلاً .

أخي الحاج : عليك أن تعلم أن ذهابك إنما هو لتطهير النفس والروح .

يأخي : أنت لا تسافر في نزهة (سيران) أنت ذاهب لتعود إنساناً آخر ،
لتعود طاهراً منوراً كيوم ولدتك أمك .

هذه هي الحكمة من مشروعية الحج ، ما شرع الله من عبادة إلا لحكمة ،
أليس من أسمائه الحكيم . حكيم فيما خلق ، حكيم فيما شرع :

الصلاة قال عنها مولانا عز وجل ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾

الصيام قال عنها ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

الزكاة ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

الحج قال فيه ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
... ﴾ .

لذا حرّم الله على الحاج تحريماً شديداً المعاصي ، المعاصي خارج الحج محرّمة ، ويشند تحريمها في أثناء الحج ، غيبة ، نيمّة ، جدل ، ألفاظ لا تليق بالمسلم ، أنت في بلد حرام ، وشهر حرام وتلبس ثوب الإحرام ، حرّمت بعضها فوق بعض .

إن الله لما تكلم على الأشهر الحرم قال ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ ﴾ . بالمعاصي والموبقات .

على الحاج إن أراد أن يكون حجه مبروراً أن يكون هيناً سهلاً ﴿ أذْلةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، لا نكداً غليظاً فجأ سيء الملكة ، على الناس أن يأمنوا منك وتأمين منهم ، هكذا قال مولانا عز وجل ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

الحج يدرّب الإنسان على تطبيق مبادئ الأمن والسلام ، كن رجلاً مسلماً لرجل ، حتى البيئة يجب أن تسلم منك فلا تصطاد ولا تقطع شجراً . قال تعالى ﴿ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا ﴾ وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرَمٌ ﴾ .

أنت تذهب إلى الحج لتكسب الأنوار لا لتعود بالأوزار ، فإن لم تكن قادراً على حمل هذه المعاني فلا تذهب حتى تستعد لها .

الحج تدريب على المساواة ، تدريب على العدل كل القادمين إلى بيت الله عبيد ، لا يوجد هناك وزير ولا أمير ولا حاكم ، كلهم عبيد ، كانت قريش تدع الناس يفيضون من عرفات ، وهم (أي القرشيون) يفيضون من مكان

خاص في الحرم ، فأمر الله نبيه الكريم ، ومن ورائه المسلمون أجمعون أن
﴿أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ .

مساواة ، عدالة ، لا تميز طبقي ولا عنصري ، لا يوجد في الحج أنا ، أنا
مستشار ، أنا فلان ، كلهم عبيد تساووا في اللباس ، لامتياز في الحج غير
معروف واحد من واحد ، قضاء على جميع الفوارق البشرية ، والذي يرى نفسه
أنه أفضل من الناس حجه غير مقبول لقوله تعالى ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم
نذقه من عذاب أليم﴾ وفي الحديث القدسي (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري
من نافسي في واحد منهما قصمته ولا أبالي)

تصور حجي يقول لأحدهم متكبراً : أنا بدلتى التي أرتديتها قيمتها
١٥٠٠٠٠ ل.س أنا كذا ، أنا كذا ... حتى خاف عليه من غضب الله ،
وعاد من حجه ومازال منفوخ كالطبل ، هذا مثال لحاج ما فهم الحكمة من
الحج ، عندما أمر الله بخلع كل البدلات خلعتها حتى لا يتفاخر الناس بها ،
أمرهم برداء واحد فيه غاية التواضع ، وما هو اللباس ؟ رداء وإزار ، إلى ما يرمز
لباس الإحرام ، هو رمز للبدايات والنهايات لحياة الإنسان، عندما نولد عرايا
نلف في خرقة ، وعندما نموت نلف في خرقة ، هذا رمز للبدايات والنهايات .

الإحرام يرمز لبداية جديدة في حياتك ، إذا أديت المناسك على ما
يرضي الله أشرقت بدايتك ، فإذا ما أحرمت وخلعت الدنيا من حياتك وأقبلت
على الله بالتوبة وتجلت من كل شيء فعلته أو جنته يداك ، ووصلت إلى مكة
واستلمت الحجر الأسود أو قبلته إذا فعلت ذلك سجلك الله في سجل
التشريفات ، فقد وقف سيدنا عمر أول طوافه مرة ليستلم الحجر الأسود

ويقبله وقال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك . فإذا بسيدنا ابن عباس (حب . ك) يقول : سمعت رسول الله يقول : (إنَّ لهذا الحجر لساناً وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق) والنبي أقسم فقال (ت عن ابن عباس) (والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصرهما ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق) .

كل من يشير إلى الحجر الأسود أو يقبله يسجل اسمهم عند الله ، وقد أثبت أحد العلماء البريطانيين واسمه كاريز أن الحجر الأسود يخرج منه انبعاث إشعاعي غير مرئي يعم جميع الطائفتين ، كيف اكتشف ذلك ؟

يوجد في المتحف البريطاني ثلاث شرايح من الحجر الأسود أخذت من الحجر لما استولى عليها القرامطة ، أخذوه عنوة إلى الإحساء ثم إلى الكوفة ، ونقلوه على أربعين ناقه، كل ناقه تحمله تموت بالليل ، وبقي في مسجد سيدنا علي معلق حتى عمّ القحط، وجاء الناس فقال أحدهم : ردوا هذا الحجر إلى البيت يرفع الله عنكم القحط ، فردوه على ناقه واحدة من الكوفة إلى مكة ، لما أحضروه وأرادوا وضعه قال الناس: ما أدراكم أن هذا هو الحجر ؟ فجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ، جاء بمهمة كلفه بها رب العالمين قال لهم : هذا الحجر له مواصفات : إذا وضع في الماء يطفو ، وإذا سخن بأي نوع من أنواع اللهب فإنه لا يسخن .

أتعرفون ماذا اكتشف كارنر أخذ قدر حجم الحمصة من إحدى الشرائح الموجودة في المتحف وحملها بمليون خط تليفوني فتحملت ، حملها بمئة مليون خط تلفون فتحملت ثم قال : هذا نوع من أشباه الموصلات لا نظير له في

الأرض .سألوه هل له نظير في المجموعة الشمسية ، قال : ولا بالمجموعة الشمسية هو حجر لامن الأرض ولا من السماء فقال له أحد المسلمين :هذا حجر من الجنة فقال وكيف ؟ قال نبينا سيدنا مُحَمَّد قال لنا : الحجر الأسود أو (الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله تعالى نورهما ، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب)(حم . ت . حب) فأسلم كارنر مباشرة وكنتم إسلامه .

فماذا وجد كارنر ؟ وجد أن الحجر الأسود يخرج منه انبعاث إشعاعي غير مرئي، ووجد في حجم الحمصة أنها تخرج ألف شعاع أو تزيد ، الشعاع الواحد يخترق ١٠.٠٠٠ شخص ، شعاع قصير الموجة ينفذ في الحجاج ، أنا أريد أن أقول للحجاج الذين يطوفون من بعيد : اطمئنوا ، مهما كنتم بعيدين عن الكعبة ،ولو في الدور الثاني الحجر الأسود يتلقى الحجاج من جميع الجهات بأشعته وسيشهد لهم يوم القيامة ، فلا داعي للتزاحم عليه لتقبيله .

تُعرفون . معشر السادة . العالم نفسه (كارنر) وهو العالم الثاني في وكالة ناسا اكتشف أن شعاعاً ليس له منتهى يصّاعد في السماء مستمر ليس له منتهى ، وأثبت أن الكعبة مركز الأرض ، فقال له رجل : حتى هذا الاكتشاف الذي اكتشفه موجود أيضاً في القرآن قال تعالى ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

فيا أخي الحاج : عندما تطوف حول الكعبة أنت تطوف في مركزية الأرض .

أعرفون ماذا يعني هذا الكلام ؟، يعني أنه لا يوجد إنحراف مغناطيسي عند الكعبة، منطقة الكعبة ليس للمغناطيس فيها وجود ، فالحاج يطوف دون أن تؤثر فيه الجاذبية الأرضية ، فأنت حول الكعبة لا تبدل طاقة ، بل تشحن بطاقة تنبض من الحجر الأسود لذلك طلب منك النبي أن تستلمه في كل طوفة ، لأنه باستلامك له تتقاطر منك الذنوب وتتجد الحياة وينبض القلب ، كلما دار الحاج في المناسك حتى يأتي على آخرها، ويتحلل بالخلق والتقصير ، الشرعات التي حضرت المعصية وعانت من ذنوب العبد تقص أو تخلق حتى تعود وتنبت على طاعة الله من جديد .

روبرت كانزي صور عشرة معتمرين عندما خرجوا إلى العمرة ، وجد أن لكل منهم هالة ، حول كل معتمر هالة ألوانها مختلفة بني وأخضر وأسود ، وحين رجعوا من العمرة صور العشرة المعتمرين فوجد أن الهالة المحيطة بهم تحولت كلها إلى بيضاء ، الهالة المحيطة بالحاج صارت بيضاء ، بيضاء رحمانية ، فأنت يا أخي ترجع من الحج والعمرة كيوم ولدتك أمك فقل صدق رسول الله ﷺ .

إخوتي في الله : هذه هي الدورة السنوية في المناسك ، رحلة تعطي الفرصة للحاج أن يستعيد المساحة النقية في حياته .

فهل ذاق حجاج بيت الله الحرام هذا العام هذه الروحانيات ، هل شعروا أنهم عادوا والهالة النورانية حولهم ، استناروا وأناروا ؟! أترك جواب هذا السؤال لهم للإجابة عنه ، وأدعوكم جميعاً لتطلبوا الدعاء من الحجاج تنفيذاً لقول المصطفى ﷺ اللهم اغفر لحجاج ولمن استغفر له الحاج .

بعد حج بيت الله الحرام

. ٥٤ .

الحمد لله الذي خصَّ بيته الحرام بمزيد التشريف والتفضيل ، وأَهَّلَه
بكمال التعظيم على البقاع والتبجيل ، وافترض حجه على من استطاع إليه
السبيل ، ودعا عباده إلى حجه بلسان رسوله إبراهيم الخليل ، وجعله مهبط
الرحمة والتنزيل ، ومألفاً للملائكة الكرام وجبريل .

أحمده على مامننا من إنعامه الشامل الجزيل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربنا الملك الجليل ، شهادة
تتوي قائلها غرف الجنان وظلها الظليل .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المبعوث في التوراة والإنجيل ، نبي
خصه الله بالخلق العظيم والنسب الطاهر الأصيل .

اللهم صل وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أمان أهل الأرض
وسادات كل جيل ، وسلم تسليمًا .

أما بعد : معشر الأخوة الكرام :

أحمل لكم اليوم سلامين عطرين عزيزين السلام الأول من أمير الأنبياء وأمين وحي السماء وسيد الرسل والأنبياء سيدنا ومولانا مُحَمَّد ، حيث تتوافد الوفود وفود الحجيج والزائرين إلى مقام النبوة ومنبع الهداية ، ويرتبطون بمسجد سيدنا رسول الله ارتباطاً حميماً ، فما أن تدخل مدينة نبيك الأعظم حتى تشعر بكل الدروب تقودك إلى ذاك المكان الأطهر حيث بنى رسول الله القاعدة ، فتحول المكان فيها من مجرد مكان إلى قيمة ومعنى ، أصبح جزءاً روحانياً وسط العمدة العمرانية الدنيوية ، تداخلت الأرواح وتسامت العلاقات بين المآذن والقباب بين الذات والمكان ، عناق مستمر يربط الزائر بقداسة المكان ، وتحولت القلوب النابضة والأرواح الدافئة إلى رموز تربط الأرض بالسماء ، وأصبح رسول الله ﷺ ملاذاً غير محدود حول العباد إلى أحباب وعشاق ، وما أن وقف الركب أمام الحبيب حتى نادى الأحاسيس قبل الألسن بجميع اللغات: السلام عليك يا رسول الله

والتقى الحبيب بحبيبه ورحلت الأرواح عبر ذلك السرادق ، فجمع الشرق بالغرب والشمال بالجنوب ، فتحية لك يا رسول الله من أهل الشام .

وهنيئاً لأهل الشام برسول الله .

أيها الأحبة : والتحية الثانية التي أحملها لكم من مهبط الوحي ومنبع الهداية ومهوى الأفئدة ، من الكعبة المشرفة ، تحية تحييك ، من مكة بجبالها وتلالها وسهولها ووديانها .

هنا انبثاقة أنوار العلوم هنا مهوى قلوب وأرواح وأنظار
ومن هنا خير من سارت به قدم وخير هاد ومبعوث ومختار
هنا أتى الروح للمختار يأمره اقرأ فما أعظم المقروء والقاري
دعا يرجف والتفكير في ذهل إلى خديجة يشكو خوف أضرار
قالت له : لن ترى ضيماً ولا يا مكرم الضيف والمعدوم والجار
كدرا وأشرق الفجر من بوابة الغار
فقام ينشر للدنيا هدايته

وانبعث النور ، وقام سوق العدل ، ونصب ميزان القيم ، ورفع منبر الحق ،
وبزغ فجر الفضيلة .

أيها الإخوة : من مكة أم القرى أحمل لكم التحية ، على رمالها عُقر
الشرك ، وعلى ثراها مُزق الوثن ، وفي أوديتها أزهق الباطل ، وعلى صخورها
تحطم الكفر والإلحاد .

من مكة : حيث بدأ التاريخ غضاً طرياً ، ووقع نور السماء على بساط
مكة فأشرقت النفوس وغردت المشاعر وهللت الأرواح ، الله أكبر ، لبيك
اللهم لبيك . وعلى أحجار مكة المباركة قصم عنفوان عدوان أبرهة ، ودُحر
جيشه ونكست أعلامه وخسأت فيلُه فجعلهم الله كعصف مأكول ، وانفتح
دفتر ولد الكون يوم سيدنا مُحَمَّد ، انفتح دفتر الكون حين هبطت كلمة أقرأ ،
وسجل قلم التاريخ الكرامة لأمة مُحَمَّد ، وشع فجر التوحيد يوم نزلت اقرأ انبعث
الإيمان قوياً يوم الرحلة العظيمة والسفر المبارك لسيدنا مُحَمَّد ﷺ وقبلها .

كان النبي يلقي صفوفاً
وأتاه جبريل مُرّني : فيما
فيرد الرحيم رداً ذكياً
لا، لا ، أمتي حنانك
من نكال وفتنة وامتحان
أن يبادوا أو يُطَبَّقَ الأخشاب
بحروف من الرضا والحنان
يا جبريل ملء حنان

فيا أخا الإسلام : صدق أو لاتصدق ما أروعها من رحلة ، وما أعظم
من منظر يأخذ الألباب حين ترى الطائفين حول البيت العتيق يعبدون الواحد
، وينادون الفرد الصمد ، فنظر يهز النفوس ويطرب المشاعر ويمتدح الأرواح
ويبعث الأفراح .

بالله عليك :

- هل رأيت لباساً قط أجلّ من لباس العبودية ، لباس الحجاج
والمعتمرين؟!

. هل رأيت رؤوساً أعزّ وأكرم من رؤوس المخلقين والمقصرين ؟.

. هل مرّ بك ركب أشرف من ركب الساعين ؟ .

. هل تجلّت لك روح المساواة والأخوة والوحدة فبدت لك جليلة كالشمس
ناصعة كالبدر ؟ هل رأيت في أكثر دول العالم تحضراً مثل هذا التجمع: لا
إقليمية ولا عنصرية، ولا عصبية ولا طبقية، لا فضل لعربي على أعجمي إلا
بالتقوى ، الله أكبر

أرى الناس أصنافاً ومن كل
إليك انتهوا في غربة وشتاتٍ
بقعةٍ
لديك ولا الأقدار مختلفاتٍ
تساووا فلا الأنساب فيها
تفاوت

كلهم جاؤوا لبيت واحد ، لرب واحد ، لنبي واحد ، تركوا الديار وفارقوا
الأهل وقدموا لمنازلة إبليس وإرغام الطاغوت ، قدموا جميعاً ليعلنوا وحدة الأمة ،
ويؤكدوا العهد ويجددوا الولاء لله تعالى ، نشيدهم واحد ، زيهم واحد ،
منهجهم واحد ، يطرحون الزينة ويرتدون الكفن ، يطوفون جميعاً حول الرمز
الخالد ، يمثلون أمر الخليل في الطواف ، ويركضون في طلب رضا الله في
السعي ، يذبحون الشرك والكبر على صعيد عرفات ، ويقذفون الباطل ويرجمون
الضلال ، ويسحقون الغواية في رمي الجمار ، فهل تعرفون ماذا فعل الله
بهؤلاء!؟

إن مولانا عز وجل يباهي بهم ملائكة السماء والأرض ويقول : هؤلاء
عبادي جاؤوني شعباً غبراً من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ، ويخافون عذابي ،
ولم يروني فكيف لو رأوني .

فلو كان عليك (أيها الحاج) مثل رمل عالج (أي متراكم) أو مثل أيام
الدنيا أو مثل قطر السماء ذنباً غسلها الله عنك .

فهنيئاً لحجاج بيت الله الحرام ، هنيئاً لمن قال لهم رسول الله

(اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر لهم الحاج).

اللهم لا تحرمنا هذا الشرف كل عام ، وارزقنا العودة إليه مرات ومرات
على أحسن حال وخير مآل .

اللقاءات الخمسة بعد العيد

. ٥٥ .

الحمد لله الذي أذاق الطائعين حلاوة الطاعة ، وعلق قلوب الموفقين بالمساجد والجماعة ، وجعل الصلاة رأس العبادات ، وخصها بالجمعة على سائر الجماعات فجعلها من أفضل الأعمال الصالحات .

أحمده سبحانه وتعالى على ما أفاض على صفوفها من أنواع التجليات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الصلاة كنهر يغتسل فيه أحدنا في اليوم واللييلة خمس مرات .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله كانت قرّة عينه في أداء الصلوات .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ما قامت الأرض والسموات وسلم تسليما .

أما بعد :فيا معشر الإخوة الكرام :

التقي بكم ضمن اللقاءات الخمسة التي شرعها الإسلام لأتباعه ، لقاءات واجتماعات مفروضة على المسلم لأنها تمثل وحدة المسلمين مهما

اختلف أوطانهم وألوانهم وأجناسهم ، ذلك أنهم أمة قوية متماسكة عظيمة الترابط ، قد ارتفعت صلتها إلى درجة الأخوة ، ثم تجاوزتها إلى منزلة الحب ، ثم علت حتى وصلت إلى مرتبة الإيثار ، إن لقاءاتنا المشروعة معاً تعزز هذه الروابط ، ذلك لأن أمتنا أمة عقيدة وجنسية ، ليست جنسية الدم والوطن ، ولكنها جنسية الأخوة والروح ، جنسية أيدها الله في كتابه وشرعها بين عبادة قرار لا يقبل النقض لأنه مبرم ، اسمعوا هذه القرارات الإلهية تصرح بها الآيات القرآنية :

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾
التوبة ٧ . ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات ١٠ .

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران ١٠٣ .

هذا هو الإسلام الذي جاء به سيد الأنبياء والرسل الكرام ، فارفعوا رؤوسكم عالياً بهذا الدين ، ارفعوا رؤوسكم لا بلبينين ولا بخر وشوف وستالين بل ارفعوا رؤوسكم بسيدنا مُحَمَّد فقد دعا إلى قضايا المحبة والتآخي واجتماع الكلمة ، وطبقها هو حرفياً بنفسه ، أما غيره ممن يدّعي الإصلاح فهم كذابون يجب رجمهم بالحجارة لأنهم كذبوا على شعوبهم وأتباعهم فقط سيدنا مُحَمَّد هو الذي يرفع المسلم رأسه عالياً له اسمعوا إلى كلامه وأنتم تصلون عليه يقول :
(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

اسمعه وهو يقول : (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)

لأجل ذلك كله شرع لنا الإسلام لقاءات الأحبة، لقاء على أساس الدين، ليس فيه معصية ولا راقصة ولا مغنية ، ليس فيه تهتك ولا تكشف، بل هو لقاء على شروط الدين .

اللقاء الأول : في صلاة الجماعة يلتقي فيها أهل الحي الواحد خمس مرات في مسجدهم ، أمرهم أن يلبوا النداء ويأتوها ممثلين أمر الله تعالى بالأذان ففي الحديث (جه): (من سمع النداء فلم يأتها فلا صلاة له إلا من عذر)، وفي رواية عن أبي الدرداء (أحمد): سمعت رسول الله يقول (مامن ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) فمن سمع النداء عليه أن يأتي المسجد ليصلي في الجماعة ، لا صلاة له في غيره إلا من عذر وأعظم جماعة تقام فيها الصلاة هي صلاة فجر الجمعة في جماعة لأنهم يوم عظيم عند الله تعالى وفي الحديث (هب)(أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة).

اللقاء الثاني: لقاء هذا اليوم يوم الجمعة ، يلتقي فيه أهل الأحياء المتصلة يأتون جميعاً ويغلقون المساجد المتعددة ليصلوا بالمسجد الجامع ، فصلاة الجماعة في مسجد الحي ، وأما صلاة الجمعة ففي المسجد الجامع للأحياء كلها، يتبادلون الحبة والتحية ويستمعون إلى الذكر الحكيم ، وفي ذلك يقول

عز من قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

سمي جمعة لما جمع فيه من الخير ، وقيل : لأنه جمع فيه خلق آيينا آدم ، ويسمى أيضاً بيوم المزيد لزيادة الخيرات فيه ، وهو أفضل أيام الأسبوع وإن كان آخرها ، لأن أول الأسبوع السبت ، قال ﷺ : (لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة) (حب) (يعتق الله فيه ستمئة ألف عتيق من النار) (القضاعي عن أنس) من مات فيه من المسلمين كتب له أجر شهيد ووقي فتنة القبر ، وهي السؤال بأن يخفف عنه ، لأن عدم السؤال أصلاً خاص بالأنبياء ونحوهم كالشهداء .

كان هذا اليوم يدعى في الجاهلية بيوم العُرُوبة أي البين العظيم ، وأول من سَمَّاه جمعة كعب بن لؤي أحد أجداد نبينا ﷺ ، وهو أول من جمع الناس بمكة وخطبهم وبشّرهم بمبعث النبي ﷺ و أمرهم باتباعه ، إذ سمي جمعة لجمع سيدنا كعب بن لؤي الناس فيه ، وفي الحديث الشريف (طب) (عن سيدنا أنس قال : (عرضت الجمعة على رسول الله جاء بها جبريل عليه السلام في كفه كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء ، قال ما هذا يا جبريل : قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولقومك من بعدك ، ولكم فيها خير ، فتكون أنت الأول وتكون اليهود والنصارى من بعدك) وفي الحديث أيضاً (طب . حسن) قال رسول الله ﷺ (تحشر الأيام على هيئتها ويحشر يوم الجمعة زهراء منيره ، أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى خدرها تظلمهم يمشون في ضوئها ، ألوانهم كالثلج بياضاً وريحهم كالمسك ، يقومون في جبال

الكافور ، ينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون).

أما اللقاء الثالث: معشر الإخوة : فهو صلاة العيد عيد الفطر و عيد الأضحى فهو لقاء أهل البلد الواحد جميعاً، لذلك شرعت في أوسع مكان في البلد ليسعهم جميعاً، لذلك شرعت في المصلى يتبادلون البهجة والتهنئة في العيد في كل عام مرتين ، مع البشاشة والدعاء بالمغفرة والمصافحة إن اتحد الجنس ، فلا يصافح رجل أجنبية ولا عكس يهتتون بعضهم بقولهم : أحياكم الله لأمثاله ، كل عام وأنتم بخير ، تقبل الله منا ومنكم وغفر لنا ولكم .

فهذه اللقاءات الثلاثة بالترتيب :

أولاً . لقاء الجماعة لأهل الحي .

ثانياً . لقاء الأحياء أي أهلها في الجامع يوم الجمعة .

ثالثاً . لقاء أهل البلد جميعاً في المصلى .

ولذلك يؤذن للمرأة غير ذات الهيئة أن تخرج ولو كانت حائضاً ، فعن السيدة أم عطية الأنصارية قالت : (أمرنا أن نخرج العواتق والحيض في العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين وتعزل الحيض المصلى) .

وهذا لغير ذوات الهيئات الجميلة ، أما الشابات ذوات الهيئات فيكره لهن الخروج ولو بإذن أزواجهن ، وأما غيرهن فيخرجن في ثياب المهنة لئلا يفتنّ الرجال .

إخوة الإيمان : إن خروج أهل البلد الواحد إلى مصلى العيد يظهر شوكة المسلمين وقوتهم في وجه أعداء الإسلام ، ولذلك كان رسول الله يظهرها أمام اليهود الذين كانوا يجاورونه ، ليظهر قوة المسلمين واجتماعهم ووحدة كلمتهم ، ولهذا إذا ضاقت المساجد وكثر التشويش فيها بالزحام فالأفضل الخروج إلى المصلى في الصحراء ويستخلف الإمام ندباً في المسجد من يصلى بمن يتأخر من ضعفة المسلمين .

معشر الإخوة : إن هذا المشهد يذكر بالحشر يوم القيامة ، وبالوقوف بين يدي مولانا عز وجل ، ولهذا فضلت الصلاة بالمصلى على الصلاة في مسجده ﷺ .

اللقاء الرابع : في بيت الله الحرام في الحج فهو لقاء المسلمين جميعاً في أرض المعمورة يأتونها كل عام يعظمون الله وحده ، فهو لقاء فريد لا يحصل إلا مرة في كل عام ، يقول عز من قائل ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ..﴾ ومن مدرسة الإمام مسلم يقول ﷺ (مامن يوم أكثر من أن يعتق فيه عبداً من الناس من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم ملائكته ..)

ومن مدرسة الإمام أحمد (إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول (انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثاً غبراً) .

اللقاء الخامس : لقاء الناس جميعاً يوم المحشر في عرصات يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَشْقُقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَّاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ وفي مدرستي

البخاري ومسلم عن أمنا السيدة عائشة تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول
(يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : الرِّجَالُ
وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ
يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) .

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ : أعظم هذه الأيام وأفضلها يوم الجمعة ، ولذلك لا تقوم
الساعة إلا يوم الجمعة ، فمن مدرستي الإمام أحمد وأبي داود عنه ﷺ (إن يوم
الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله ، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى
ويوم الفطر، وفيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم ، وأهبط الله فيه آدم إلى
الأرض ، وفيه توفى الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله فيه شيئاً إلا أعطاه
إياه ما لم يسأل حراماً ، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ولا سماءٍ ولا
أرض ولا رياح ولا جبال إلا وهنّ يشفقن من يوم الجمعة)

ولفضل هذا اليوم كانت فيه ساعة الإجابة ، وقد اختلف فيها على
أربعين قولاً أقربها هي الساعة التي تكون بين صعود الخطيب على المنبر وحتى
تنتهي الصلاة ، وقبل الجمعة وقيل بعدها ، ولذلك كان الصحب يستحبون
التبكير إليها ليحضرُوا ساعة الإجابة وهذا التبكير من أفضل الأعمال ، وفيه
ثواب عظيم تقف فيه الملائكة على أبواب المساجد يكتبون القادمين الأول
فالأول ، يرفعون أسماء الأوائل إلى مولانا عزوجل ، فإذا خرج الإمام طووا
صحفهم وجلسوا يستمعون إلى الخطبة .

فمن مدرستي البخاري ومسلم : (إذ كان يوم الجمعة وقفت الملائكة
على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ومثلُ المهجر (أي الذي يأتي

باكرًا) كمثل الذي يهدي بدنه (ناقاة) ثم كمن يهدي بقرة ثم كبشاً فدجاجة
فبيضة ثم إذا خرج الإمام طووا صحفهم وجلسوا يستمعون الذكر) .

هذا أول برنامج للمسلم يوم الجمعة .

والبند الثاني في برنامج يوم الجمعة التطيب لها ولبس أحسن الثياب ،
تماماً كما كان القائد الأعلى للأمة سيدنا مُحَمَّد فمن مدرستي الإمام أحمد وأبي
داود (من غَسَّل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا
من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة صيامها وقيامها) .

وعند الإمام أحمد (احضروا الجمعة وادنوا من الإمام فإن الرجل ليكون
من أهل الجنة فيتأخر عن الجمعة فيؤخر عن الجنة وإنه لمن أهلها) .

إن الخيرات لتصبّ يوم الجمعة صباً على من يحضر الجمعة ، وخاصة إذا
اتبع الإتيكيت المطلوب ، فمن مدرسة ابن ماجة : (إن هذا يوم عيد جعله
الله للمسلمين فمن جاء الجمعة فليغتسل ، وإن كان طيب فليمس منه ،
وعليكم بالسواك) .

على المسلمين أن يرفعوا رأسهم عالياً بالإسلام وبسيدنا مُحَمَّد ﷺ ، إن
سيدنا مُحَمَّداً يريد من أتباعه أن يكونوا كالشامة في الخد .

وكثير من الناس يتجاهل هذه الأوامر النبوية يأتون بلباس العمل أو بلباس
البيت ، وينسى التطيب ، بل يأتي تنبعث منه رائحة العرق من عمله ، أما
سيدنا مُحَمَّد فاسمعوا ماذا يريد منا يقول : (د . خزيمه) : (من اغتسل يوم

الجمعة ومس من طيب امرأته إن كان لها ولبس من صالح ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يلبس عن الموعدة كانت كفارة لما بينها ، ومن لغى وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرا) (أي ذهب عليه ثواب الجمعة) ولذلك كان لنبينا حلة يلبسها في العيدين والجمعة ، ليعلمنا أن يكون ليوم الجمعة ثوب خاص تنبعث منه رائحة العطر والنظافة .

لكن أعظم شعيرة من شعائر يوم الجمعة هي الصلاة على سيدنا محمد ﷺ ، فمن مدرستي الإمام أحمد وأبي داود (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثرُوا من الصلاة فيه علي ، فإن صلاتكم معروضة علي . قالوا : يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (بليت) قال : (إن الله جل وعلا حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) فكانت أعظم نعمة في حياتك هي نعمة المصطفى ، لولاه ، لكننا فجاراً ضلالاً قطع طرق ، وإنما اجتباننا الله بفضل سيدنا محمد ﷺ فانتشلنا به من مستنقعات الجهل و اللهو والكفر والشرك إلى عبادة الواحد الديان ، فكان من شكر تلك النعمة أن تكثر من الصلاة عليه يوم الجمعة لتنال شفاعته يوم القيامة .

ياأحباب سيدنا محمد ﷺ : إذا أردتم أن نجتمع في اللقاء الأخير هناك مع

سيدنا

محمد ﷺ في الجنة فلنكثر من الصلاة على النبي هنا ، اسمعوا وهو يخبرنا عن اللقاء الأخير يقول (ق) (إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فيها كثران المسك فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ، ويتجلى الرب

تبارك وتعالى وينظرون إلى وجهه النور فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً. فيقولون: ومالنا لانزداد وقد لقينا ربنا عزوجل) .

فيا معشر الإخوة الكرام : حيّ على السوق الذي يجتمع فيه المحبون برب العالمين وبسيد المرسلين ، أنتم مدعوون لتنفيذوا اللقاءات الخمسة ، لنجتمع معاً في اللقاء السادس

لقاء الجماعة ، ولقاء الجمعة ، ولقاء عيد الفطر ، ولقاء عيد الأضحى ، ولقاء الحج .

اللهم لا تحرمنا الأنس بنبيك ولا تحرمنا الأنس ببيتك الحرام ، واجمعنا عليك وفرّقنا عليك ولا تجعل حوائجنا إلا إليك .

استقبال رمضان

. ٥٠ .

الحمد لله الذي جعل الصيام جنة من العذاب وفضَّله على سائر الأعمال فهو يجزي به بغير حساب ، وفضل شهر رمضان فأنزل فيه الكتاب ، وخص فيه أمة الحبيب الأعظم بمزيد التكريم والثواب ، منحهم فيه ما لا يحصى من غيض نوال وقبول أعمال ودعاء مستجاب ، ووعدهم فيه شمول الرضا وعتق الرقاب .

أحمده سبحانه وتعالى حمد من إليه أناب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كاملة بحسن المآب .

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله المخصوص بجوامع الكلم وفصل الخطاب . الذي منَّ الله به على المؤمنين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب .

اللهم فصلّ وسلم أكمل الصلاة وأعظمها على أشرف مخلوقاتك وأكملها سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه خير آل وأصحاب وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام :

ها هو رمضان قد حلّ بيننا ضيفاً عزيزاً على قلب كل مسلم ، ها هي دروب الخير تمتد أمامنا بلا انتهاء ، ها هو رمضان يللم شمل الأمة الأمة بعد الضياع ، ويجمعها في زمرة واحدة بعد التشرذم ، ها هي ينابيع الخير تتدفق من جديد بعد أن جفّت العيون والسواقي ، ها هي الجموع المسلمة تولد من جديد تحت المآذن والقباب .

فطوبى لمن اغتنم هذه الأيام ، كنا نقول : هل ندرك رمضان العام القادم ، وها هو رمضان بيننا وكأن حلم لا نكاد نستقبله إلا ونودعه ، ولا ندري أينسلخ عنا رمضان بتوبة أم بغفلة ، بعودة أم بشرود .

فيا أخا الإسلام : اخلع حجاب نفسك عنك ، اخلع هواك وارحل بثوب انكسارك وافتقارك إلى الله ، لقد كنت في غفلة عن هذا ، فأنسك اليوم بالله ، لقد كنت غائباً فأحضر قلبك وتعالى إلينا ، إلى مجالس الإيمان كي لا يصدأ قلبك . إن عُمرّاً ضيّعت أوله حري بك أن يشند حرصك على آخره ، كم عدد أيام عمرك مع الله من يوم عرفته ، فإياك أن تموت قبل أن تعيش ، ها هو الأمل الحي قد عاد إليك ها هو طبيب القلوب والأرواح ، ها هو السائق إلى الجنان ، ها هو واحة الأمان ، رمضان وما أدراك ما رمضان الرء رحمة ، والميم مغفرة ، والضاد ضمان للجنة ، والألف أمان من النار ، والنون نور الواحد

الديان . فلماذا الإدبار ، لماذا نقطع الطرق تسكعاً ، لماذا نصوم عادة ونفطر تخمة ، نقوم عادة وننام غفلة ، لماذا نمضي الوقت لهواً ولعباً ، لماذا ننفق عمرنا بين هذا المسلسل وذاك .

أتدري يا أخي المسلم وأنت في هذه الحال أن طفلاً يذبح في فلسطين وأماً تترمّل أتدري وأنت تلهو وتعبث أمام راقصة تافهة فاجرة أن دماءً لإخوتنا في العراق تسيل على أضها باسم الديمقراطية .

عُدْ إليه ، ارجع إليه فإنه يقبلك ، تب إليه فإنه يحبك ، قال موسى لمولانا رب العالمين : يارب إذا قال العبد لك وهو راكع يارب ماذا تقول ؟ قال : أقول له لبيك وإذا قال يارب وهو ساجد قال أقول له : لبيك وإذا قال يارب وهو عاص قال : أقول له لبيك .. لبيك .. لبيك

أيها المسلم : هل نسيت نبيك الأعظم عندما كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه هل نسيت أنه وهو يبكي ولصدره صوت كصوت الماء المغلي من شدة البكاء .

لماذا رمضان بالذات يتحول ضمن الوسائل الإعلامية المرئية إلى برامج أشد فتكاً من غير رمضان ، لماذا المسلسلات مكثفة في رمضان وجديدة ، هل سألت نفسك مَنْ هو وراء هذا ؟ حولوا رمضان من شهر عبادة وتقوى وجهاد وعزّة إلى شهر لهو وعبث ، أين ذلك المهدير الإيمان الجارف الذي كنا نسمعه في رمضان ، أين أولئك الذين مدحهم الله بقوله : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أهكذا كانت

سيرة القائد الأعلى للأمة سيدنا مُحَمَّد ،سيرة أيقظت العالم من سبات الضياع والتشتت واليأس والإحباط ، فأين تلك القلوب التي تنفتح لسيد الخلق وحبيب الحق ، يذهلني حديث أبي الدرداء عندما قال : (خرجت مع رسول الله في شهر رمضان في حر شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر ،وما فينا صائم إلا رسول الله وعبد الله بن رواحة) (م ١١٢٢) .

بأبي أنت وأمي يا جدّاه ! تعلم أمتك الصبر الشديد ، بأبي أنت وأمي يابن رواحة ألزمت نفسك الدرجة العليا من المتابعة والافتداء ، فمن منكم يفتح قلبه في هذا الشهر لفقه ابن رواحة فيغمس نفسه في سبيل الله على قدم نبينا المصطفى ﷺ ، من منكم يعاهد الله على ألا يخرج من رمضان إلا وقد أعاد بناء نفسه ، وطلّق غفلته وسار إلى الواحد الديان ؟! من منا يعاهد الله على ترك الذنوب ويلزم نفسه التقوى في هذا الشهر ، والله يضمن له أن يستمر في الخير معه بقية عامه .

من يتخرج من الدورة رمضانية وهو يعاهد الله ألا يكذب ولا يغتاب ولا يمشي بباطل هل يرجع الشاردون ؟ هل يتوب العاصون ؟ هل يهتدي الضالون ؟هل يستيقظ النائمون؟ من يعمل :

والجار أحمد والرحمن ناشيها

لدار غداً رضوان خازنها

والزعفران حشيش نابت فيها

قصورها ذهب والمسك طينتها

الجنة التي تفتح أبوابها في رمضان وينادي مناديهها يا باغي الخير أقبل تعال إلينا ، تعال لنمنحك لنعطيك ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، أقبل إلينا بحسن الصيام وحسن القيام والإكثار من الطاعات .

وحسن صيامك ألا يكون فقط مجرد صيام البطن والفرج ، ولسانك مفطر ، وعينك مفطرتان ، وأذناك مفطرتان ، وجوارحك مفطرة ، بالكذب والغيبة والسخرية ، وأذناك مفطرة بسماع الأغاني الفارغة والألفاظ السخيفة وشخص فتاة بلا حجاب ولا جلباب ، لا ينبغي لك يا أخي المسلم أن يصوم بطنك وفرجك وكلارك مفطر ، تصوم عما أحله الله لك (من الطعام والشراب) وتفطر على ما حرم الله من المعاصي ، اسمع إلى نبيك وحيبيك يحذرك من هذا الاتجاه فيقول : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " (خ . د) " والصيام جنة (درع من المعاصي) " فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يضحك فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم " (ق) .

الأمر إذاً ليس كما يفعل بعض الناس غفر الله له ، يتناول بلسانه على الخلق ثم يقول : اعذرني فيإني صائم ، وكأن الله شرع الصيام ليفسد أخلاق الناس ، لا ، بل ينبغي للصائم أن ينضبط ، أن يهذب نفسه ، أن يصون لسانه كما يصون أذنه كما يصون عينه ، كما يصون جوارحه كلها ، وصدق رسول الله (جه ن) : " ربّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، أتعب نفسه وأجهد جسمه وأجاع بطنه ، ولكنه لم يقم للصيام بحقه " ولذلك ذهب السيدة عائشة أم المؤمنين وذهب عدد من فقهاء السلف كالأوزاعي وذهب

الأولياء والعارفون بالله إلى أن الغيبة والنميمة والكذب وبقية المعاصي تفطر الصائم ، وأن من ارتكب شيئاً من ذلك فعليه أن يقضي يوماً بدل هذا اليوم ، وقال سائر الصحابة وجمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة ومذاهبهم أنها لا تفطر الصائم ولكنها تذهب ثوابه وأجره عند الله .

فيا أخي المسلم : هذه فرصتك ، الصيام يقربك من رحمة الله لأنك حرمت نفسك مما اعتادته لالشيء إلا لإرضاء الله تبارك وتعالى ، ما الذي غيرك ، كنت تأكل وتشرب في الصباح والظهيرة فغيرت نظام حياتك ، ثرت على مألوفاتك ما الذي جعلك تفعل هذا ؟ إنها العبودية لله تعالى ، ولأنك أصبحت بمستوى العبودية ، لأنك وصلت إلى درجة التذلل والإنكسار كافأك الله تعالى فقال : كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضِعْف قال الله تعالى : إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به يدع الطعام من أجلي ويدع الشراب من أجلي ويدع لذاته من أجلي ويدع زوجته من أجلي (ق . خز) .

من أجل من صمتتم؟ من أجل من حفظتم فروجكم ؟ من أجل من تركتم المعاصي، من أجل من صليتتم؟ من أجل الله تعالى وحدوا الله ، لأنك فعلت ذلك جعل الله دعاءك مستجاب وأنت صائم (الصوم الحقيقي) فقال: من تحبون أن تصلوا عليه :ثلاثة لاترد لهم دعوة : " دعوة الصائم ، ودعوة الوالد على ولده " فلتوجه جميعاً بالدعاء إلى الله تعالى : اللهم أقبل صومنا ، أقبل قيامنا ..